
338
نسخة منسقة
مجلة الابتسامة
عمر طاهر
مقالات
A.M.
كمين القصر العيني
أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش.م.م
مجلة الابتسامة
http://www.maktbtna2211.com/

كمين القصر العيني

عمـر طاهـر

مقالات عام الثورة الأول

كمين القصر العيني

عمـر طاهــر

مقالات عام الثورة الأول

إهداء

إلى رقية عمر ..

وإلى زملاء اللجنة الشعبية فى كمين (القصر العينى – المبتديان)..

وإلى شهداء مصر فى كل زمان ومكان .

مقدمة

(١)

هذا الكتاب يبدأ بمقالات تنتقد آداء بعض الثوار في وقت كانت الأغلبية الساحقة (بصادقيها ومنافقيها) تدعمهم، وينتهي بمقالات تنحاز بدرجة كبيرة للثوار في الوقت الذي صاروا فيه هم وأنصارهم أقلية مستضعفة.

يبدأ بمقال يدافع عن حسن شحاتة، وينتهي بمقال يرفع مانويل جوزيه إلي عنان السماء.

يبدأ بمقالات تعظم دور الجيش وتدافع عنه باعتباره خط أحمر يستحق ثقة كاملة، وينتهي بمقالات تقف للجيش على الواحدة وتتمنى رحيله عن الصورة في أقرب وقت.

يبدأ ببيان ثورى لإبنتى المولودة في عز الثورة تبث فيه فرحتها بميلاد دولة القانون، وينتهى بمقال أشكو أنا فيه من انبهار ابنتي المتجدد بدولة "محطة التت الفضائية".

أنا أشبهك يا صديقي في كوني لا أحب كثيرا تلك الكتب التي لا تقدم جديدا.. مجرد تجميع لمقالات سبق نشرها، لكن أثناء تنسيق هذه المقالات حسب ترتيبها الزمنى على مدى عام (زمن كتابتها) كنت أرى هذه التغييرات التي حدثتك عنها وهى تنمو ببطء فاستقر في يقينى أن هذا التغيير من المؤكد أن حدث ما يشبهه عندك، الأمر الذي يجعل هذا الكتاب توثيقا لسنة قد تكون هي الأغرب والأكثر سخونة في حياتنا أنا وأنت.

هذا كتاب للذكرى.

ولكن قبل أن تقرأ أسمح لي أن أعود معك إلى الخلف قليلا...

(٢)

القاهرة يوليو ٢٠٠٩

أشياء كثيرة تربطنى بمنطقة وسط البلد ..

معظم الصحف التى عملت بها والتى ترتب على وجودها فى هذا المكان ارتباط شرطى بمقاه المنطقة، ارتباط شرطى ترتب عليه أن تصبح هذه المقاه أماكن لتجمع أرباب المهنة، أرباب المهنة الذين حولوا المقاه بطبيعة الأمر إلي صالونات أدبية و ثقافية، هذه الصالونات أصبحت في نهاية التسعينيات الإرهاصة الأولى لبرامج التوك شو فى مصر كلها، بل أن معظم مقدمى أشهر هذه البرامج وهم أبناء قدامى للمنطقة اكتسبوا مهارات المهنة من اختلاطهم برواد هذه المقاه .

كان الواحد يلتقي بأصدقائه أثناء التنقل بين شوارع وسط المدينة من مقهى لآخر بالأريحية نفسها التي تلتقي بها فى الصالة بمن يشاركونك السكن في الشقة نفسها، وكانت الإشتراكية هي المسيطرة على فلسفة تعاملاتنا اليومية، فمهما كانوا الجميع مفلسين يكفي وجود شخص واحد حاصل لتوه على مكافأة من الجريدة التي يعمل بها ليمنح جيلا بأكمله شعورا بالثراء الفاحش، فالإحتياجات بسيطة تبدأ بساندوتشات المكرونة وتمر بأكواب الشاي والقهوة وتنتهي بأن يضع الجالس علبة دخانه أمامه متاحة للجميع سواء من يشاركونه المنضدة نفسها أو المقهى نفسه أو الإنسانية عموما، وفي كل الأحوال يضمن لك الأصدقاء دائما في نهاية اليوم ما يكفيك لاستقلال مواصلتين واحدة تأخذك إلى منزلك وواحدة تعود بك إلى وسط المدينة فى الصباح.

ليست المدينة الفاضلة كما بدأت تعتقد حضرتك، فكل تجمع له أمراضه التي تشبهه سواء كان تجمعا لفنيين الخراطة أو للنخبة المثقفة، لكن الأمر إجمالا كان به من الراحة والونس ما ينسيك مرارة

بعض المتطفلين والمرضى وعديمى الموهبة .

لا تظن أنني سمسار يود أن يبيعك شقة فى وسط المدينة وإن كانت هذه تفصيلة لا يستهان بها من قصة حياتي، حيث قضيت هذه السنوات أبحث عن فرصة للسكن فى هذه المنطقة، ولكن لأن الله يعلم جيدا أننى لن أتحمل ملابسات العيش وحيدا أعزب في وسط المدينة بما ينطوى عليه الأمر من فساد متوقع، كان رحيما وكلل مجهوداتي للسكن هناك على مدى عشر سنوات بالفشل الذريع.

في يوليو ٢٠٠٩ وبعد أكثر من عشرة أعوام قرر الله أن يستجيب لدعائى ولكن بشروطه.. فمنحنى الشقة التي أحلم بها فى وسط البلد .. وزوجة أيضا .

الله يعرف كل شىء.

(٢)

عندما تقرر أن أسكن هناك كنت أتلقى السؤال نفسه يوميا (حد يسيب المعادى ويسكن وسط البلد؟.. ليه عملت كده؟)، صدق أو لا تصدق كنت أقدم إجابة واحدة لا تتغير.. كنت أحسبها إجابة مفرطة في السخرية لكنها قدمت لي برهانا جديدا على صحة نظرية "تفائلوا بالخير تجدوه".. كنت أرد دون تفكير في كل مرة قائلا "عايز أكون قريب من الثورة لما تقوم".

صباح يوم ٢٨ يناير كانت زوجتي على شفا أن تضع مولودنا الأول، يفصلنا عن حدث الولادة ما بين ساعات وأيام، قررت أن أنقلها في صباح هذا اليوم لمنزل حماتي باعتبار أن شقتنا التي تطل على شارع القصر العينى ستكون خطرا على حالتها، كانت الشقة قد تشبعت قبل يومين بالغاز والدخان، تسكن حماتى على بعد خمس عمارات في عمق

المنطقة، فقلت لنفسي أن إقامة زوجتى لديها في هذه الظروف الخاصة تبدو أفضل كثيرا.

كان للسكن في قلب الحدث ميزة إضافية، فكلما اشتد أثر الغاز المسيل للدموع أثناء المواجهات كنت أصعد إلى شقتي لأستشهد لمدة نصف ساعة ثم أغسل وجهى لأنزل من جديد، وهكذا إلى فوجئت فى إحدى المرات بالبواب قد أغلق باب العمارة بالجنزير واختفى، فلم يكن أمامى إلا العودة إلى الشقة مكسورا، تسللت إلى الشرفة تحت وطأة القصف المتبادل وعلقت علم مصر (علم المنتخب سابقا) وظللت ألوح بعلامة النصر إلى أن ابتعدت المصادمات باتجاه آخر الشارع، ثم بدأوا الجنود في الانسحاب، فنزلت ومسحت بالبواب أرض المعركة.

في صباح اليوم التالى كنت أتأمل الجدار الخارجى للعمارة التي تقطن بها الحماة فوجدته مليئا بآثار الخرطوش، أما المسافة ما بين ماسورة الغاز الخارجية الرئيسية وحائط العمارة فقد كانت مستقرا لفوارغ طلقات الغاز التى كانوا الجنود يطلقونها لأعلى طول الوقت.. كانت المعركة أمام بيت حماتى أكثر ضراوة.

(٣)

أحتاج وقتا طويلا حتى أندمج مع جيرانى الجدد فى كل مرة أغير فيها سكنى، خلال هذا الوقت يمنعنى الخجل من أن أقدم جملة مفيدة بلا ارتباك، لذلك اكتفى بأن أبادلهم طيلة الوقت ابتساما حقيقيا صادقا، حتى عندما يكون لدى أحدهم حالة وفاة تصيبنى لعثمة داخلية قبل أن أقدم جملة التعازى المألوفة فكنت أستعيض عنها بابتسامة أخرى لكنها أكبر من كل مرة.

فى مساء السبت ٣٠ يناير كانوا كل من ابتسمت فى وجوههم خلال الفترة الماضية يقفون إلى جوارى أمام باب العمارة.

بعد أن ذاع أمر السرقة والبلطجة وهروب المساجين وحتمية تكوين لجان شعبية وجدنا أنفسنا نقف فى الشارع نتعرف على بعضنا البعض للمرة الأولى، كان التوتر يخفي وداً ما، ولم يحول الذعر بيننا وبين السخرية من طقم سكاكين المطبخ الذى يقف به رجالة بشنبات أمام بيوتهم، الضحك كان ملهما ورفع مستوى التواصل الفكرى بيننا فتغيرت خطة التسليح كالتالى ..سحب الحواجز الحديدية الموجودة أمام البنك المجاور لعمارتنا و استخدامها فى غلق الشارع بالطول، تجميع صناديق البيبسى و الكوكا كولا الفارغة من كل شقة ووضعها خلف أحد السيارات التى تركن أمام العمارة بحيث تكون هذة السيارة ساتراً يمكن من خلفه قذف المشتبه بهم بالزجاجات فى منتصف الرأس تماما ، سرعة العثور على عدد كاف من السنج و الصافوريات والسيوف و الكزالك و الشوم العادى و المدبب و توزيعها على كل من فى الكمين .

التنسيق مع اللجان الشعبية الموجودة (قبل – بعد) لجنتنا لإحكام الرقابة على أى سيارة تمر و الاتفاق على علامة ما تؤكد لنا أنها مرت بالفعل من اللجنة التى تسبقنا و أنها تخلو تماماً من أية مشاكل، كنا فى البداية قد اتفقنا على أن تكون العلامة هى رفع مساحات السيارة ، وهى فكرة سرعان ما ثبت فشلها بعد أن أكتشفنا أن معظم السيارات بدون مساحات أصلا ، ثم اتفقنا على أن تكون إرغام قائد السيارة على أن يسير و شنطة سيارته مفتوحة وهو أمر يصعب السيطرة عليه فى بعض السيارات الحديثة التى تنغلق شنطها اتوماتيكيا بمجر السير ، ثم اتفقنا على أن تكون كلمة سر يقولها قائد السيارة بنفسه أو من يرافقه بعدما اكتشفنا أن أول قائد سيارة كان من الصم و البكم ، وفى كل الأحوال يتم التنبيه على قائد السيارة أن يجتاز كل اللجان القادمة و الرخص فى يديه و «نور الصالون مفتوح».

كانت كلمات السر تتغير كل فترة بدأت ب (سبع الليل) و مرت ب (الأشباح) و انتهت ب(مصرى أصلى).

رفض كل الاقتراحات المؤذية مثل العرض الذى تقدم به أهلى عبر اتصال هاتفى من سوهاج يعرضون فيه نقل قطع خفيفة من البنادق الآلية لدعم عمل اللجنة ، أو اقتراح الرفاق فى السيدة زينب بأن يمدونا بفرد حى أو حتى فرد خرطوش، لكن فى الوقت نفسه تم اعتماد بعض الاختراعات التى تبناها بعض الرفاق ، مثل عصا المقشة الطويلة المثبت فى نهايتها سكين حاد بحيث يمكن استخدامها كرمح، أو الكرابيج البلدى المنقوعة طول الوقت فى زيت مواتير، بينما تخلينا عن فكرة الاستعانة بكلب بعد أن أحضر واحد مننا (كلب بلدى) و ربطه فى الحاجز لكنه أرهقنا لفترة طويلة حيث كان مريضا ومنهكا من كثرة الغاز الذى استنشقه أثناء المواجهة ،وكان بحاجة للتغذية و التدفئة و الطبطبة طول الوقت فأطلقنا سراحه.

أما القرار الأهم فقد كان تحويل مدخل العمارة إلى بوفيه يقدم المشروبات الساخنة المجانية طول الوقت للرفاق باستخدام الكاتل المملوك لحارس العقار و بدعم تموينى من كافة شقق العمارة .

كانت الأيام العشرة الأولى صعبة إذ كنا طول الوقت فى انتظار الأشباح التى على وشك الوصول إلى الكمين الذى نقف فيه ، كان يزورنا كل فترة شاب على موتوسيكل طالبا مننا أن ننتبه و فى كل مرة كان يقدم سببا مختلفا ..

انتبهوا " فيه عربية من بتوع التوحيد و النور مسروقة و جواها بضاعة بنص مليون جنيه" ، انتبهوا " فيه عربية كيا حمرا بازاز فيمية فيها اتنين بيضربوا نار على الناس فى اللجان" ، انتبهوا " فيه عربيتين اسعاف فيهم مساجين هربانين مرفعين السواق " ، انتبهوا "

فيه واحدة منقبة فى عربية جيب سودا بتوزع كحك بعجوة مسمم على الناس فى اللجان" ، انتبهوا " أى حد يجيى يقولكم عايزين متبرعين بالدم امسكوه .. طب ليه؟ .. بيحقنوا الناس بفيروس و فيه ٣٠ واحد ماتوا فى البساتين" ، انتبهوا " فيه ٥٠ واحد هجموا على العيال فى بركة الفيل و الدنيا ولعة و فيه ضرب نار" ، انتبهوا " أى ضابط شرطة يعدى عليكوا امسكوه وسلموه للجيش" ، انتبهوا " وصلوا المنيل و جايين على هنا؟ ..هم مين؟ .. ماحدش عارف هم مين" .

كانت أيام صعبة ..

هل تريد أن تعرف الحصيلة ؟

سيارة بها ضابط شرطة قال لنا أنه من طاقم حراسة فتحى سرور،قلنا له سنسلمك للجيش فرحب بذلك كثيرا ، فمن المؤكد انه كان سيلقى هناك معاملة أفضل من التى يلقاها كل خمسمائة متر فى لجنة.

شاب مريب للشك بلا بطاقة عند تفتيشه تم ضبط خواتم ذهبية معه، تم تسليمه للجيش ، اعترف للضابط أنه سرقهم من محل كبير فى المهندسين ، بعد أسئلة كثيرة عرف الضابط أنه أحد فروع محل "داماس" فقال له " ده الدهب .. فين الألماظ بقى؟" فقال له " واللهى ما كان فيه ألماظ .. المحل كان متكسر دخلنا مالقيناش غير شوية الدهب دول و شوية حاجات فضة سبناهم" ، فقال له الضابط" وهو داماس بتاع فضة؟ .. ما هو ده الألماظ يا بن العبيطة".

قبل التنحى بيومين تنهد سمير الأشقر الأب الروحى للكمين قائلا لنا حكمة الأيام الماضية " بقالنا أسبوعين واقفين فى البرد ومابنناماش علشان هوا ".

(٤)

فى اليوم الثالث استفحلت ظاهرة ندرة السجائر و كروت الشحن و العيش البلدى.

كانت الأكشاك الموجودة فى المنطقة قد تحطمت خلال المواجهات دون استثناء ، أما المحلات الكبيرة التى كانت تفتح أبوابها لساعتين فى صباح كل يوم فقد نفد كل ما بها من دخان و كروت شحن فى اليوم الأول بالرغم من كون خدمة المحمول مقطوعة.

خال زوجتى لديه من المعارف من يقطنون فى أماكن بعيدة شبه مستقرة ما سمح له بأن يجلب كميات من الدخان كانت هى المداد الرئيسى لرجال الكمين.

أما أهلى فى سوهاج فبعد عودة خدمة المحمول كنت اتصل بهم يوميا ليملوا على رقم كارت شحن جديد سرعان ما ينفذ مع كثرة الاستهلاك لمتابعة ما يحدث طول الوقت.

وحده الخبز كان مشكلة ..

فى يوم وبعد بزوغ ضوء النهار و بينما الرفاق فى اللجنة يستعدون للعودة إلى شققهم ، لمح واحد مننا من بعيد شاب على دراجة يسير و يحمل تقفيصة عيش بلدى فطارده إلى أن أتى به حيث نقف.

"رايح فين و العيش ده بتاع مين؟"

"بتاع أشرف اللى فاتح عربية فول جنبكم"

كان الاتفاق مع شاب الدراجة مليئا باللطف و الحزم و الإغراءات ..

"عايزينك كل يوم تجيب لنا ٢٠٠ رغيف"

وقف واحد مننا يحصى عدد الشقق و السكان و الظروف التى نعيشها فانتهى إلى نتيجة وافقنا عليها جميعا..

"عايزينك كل يوم تجيب لنا ٥٠٠ رغيف".

لم تمنعنا الأرغفة الخمسمائة رغيفا من أن يكون ختام برنامجنا اليومى عند عربة أشرف بائع الفول ، كان البرد و الإجهاد و السهر و مشاوير الإطمئنان على من فى الميدان المتكررة طول اليوم كل هذا كان كافيا لأن نلتهم أشرف نفسه فى كل صباح.

ينتهى الإفطار الفاحش و يلم أشرف أشيائه و ينصرف بعد أن نفد كل ما يمكن أن يقدمه ، ثم يسحب كل واحد من السكان ما يلزم أهله من طاولات الخبز المفرودة فى مدخل العمارة ثم يتجه إلى شقته .

أما فرن الفينو فقد كانت شبه مخصصة لدعم أهل الميدان، كانت شنط المخبوزات تصبح جاهزة بعد منتصف الليل لنتولى نقلها إلى هناك .

مرة وحيدة منعنا فيها ضابط الجيش من الدخول إلى الميدان خوفا علينا ..كانت مساء موقعة الجمل ، كانت الأعيرة النارية تدوى لدرجة أنها أسقطت من يقف مثلنا على بوابة الميدان من جهة القصر العينى.

كان الشعور بالعجز يومها موجعا ..جعل دموع بعضنا تتساقط بحرقة ، وكانت الغصة محكمة عندما توقفت سيارة إسعاف خارجة من الميدان عند الحاجز و فتح السائق باب السيارة و أنزل منها شخصا كان ما برأسه يسيل على وجهه مختلطا بالدماء ، تسمرنا فى أماكننا و نظرنا له بذهول فقال " مات مش هاقدر اعمل له حاجة .. هادخل آخد واحد لسه فيه الروح يمكن أقدر ألحقه".

(٥)

كل ساعتين كنت أصعد للإطمئنان على اقتراب موعد ولادة زوجتى.

بسبب الغلاسة التى تشهدها لجنتنا و اللجان الأخرى فى التضييق على الغرباء كنت أدعو الله أن يهل موعد الولادة فى الصباح حيث لا لجان ولا زحام.

و بالفعل فى تمام منتصف ليلة الخميس ٣ فبراير قالت حماتى "لازم نتحرك على المستشفى دلوقتى".

المستشفى فى المنيل.. و سمعة اللجان الشعبية هناك تسبقها ، والأساطير التى يتم تداولها عن جهود المنيلاوية الخارقة فى ضبط الخارجين عن القانون تجعل الواحد يفكر ألف مرة قبل أن يهوب ناحيتهم .

لم يكن هناك بديلا عن التحرك فى وفد مكون من عدة سيارات ، كانت الخطة أن يتواجد الشباب فى السيارة الأولى لشرح ملابسات هذة الزفة للواقفين فى كل لجنة بحيث تقصر المساحة الزمنية اللازمة للتفتيش و الاستجواب و فحص الرخص ، و تقليل الجهد المبذول فى دحض الشك الفطرى الذى يسيطر على كل من يحاورك وفى يده سلاح يسألك" إشمعنى يعنى جى من هنا ؟".

أصدقائى أيضا يعرفون أننى أحمق و متسرع و ساخر فى عز الأوقات التى لا محل فيها للسخرية أبدا فنصحونى ألا أفتح فمى حتى نصل إلى المستشفى .

فى المنيل كان لدى قراء يعرفوننى أكثر من المربع الذى أسكن فيه ،استقبلنا واحدا منهم على مدخل المنطقة و أصر أن يرافقنا بنفسه حتى المستشفى ،فزادت الزفة سيارة فولكس حمراء مكتوب عليها بالإنجليزية

Fuck

الأمر الذى أكد لى أنه من قرائى فعلا.

فى المستشفى كان (وصول) رقية إلى الكوكب فى يوم اسمه أصلا جمعة (الرحيل) ، تفائلت بالمفارقة و تذكرت العم صلاح جاهين و هو يقول " لابد ما يموت شىء علشان يحيا شىء ".

كان هناك فترة على بعضها من العمر توشك أن تموت حتى تبدأ فترة جديدة حياتها .. فترة لم يكن بها اى شىء واضح فى هذة اللحظات سوى قطعة من اللحم الأحمر لا ترانى بينما أنا لا أرى غيرها .

(٦)

توفى حمايا بينما رجل غريب يقف ليلا فى أحد شوارع تونس يهتف " بن على هرب .. بن على هرب".

كان الحزن على حمايا يضيف بعدا ثالثا على كل ما يعيشه الواحد فى هذة الأيام ، كنت أقولها دائما فى وجهه و فى غيابه أنه أحلى ما فى زيجتى ، وكان رحيله سببا كافيا لعدم عمل سبوع للمولودة ، لم يكن هناك أى مجال ل (دق الهون) الذى تقول الأساطير الشعبية أنه تقليد يحمى المولود من الخضة طوال عمره ، لم أدق لها الهون و تأكدت أنها ليست أسطورة فالبنت حتى هذة اللحظة تفزع إذا قلت لها صباح الفل بصوت أعلى من المعتاد قليلا.

لكن جدتها قالت لا مانع من هز الغربال و نطر الملح و الصلاة على النبى فى أذنيها ، كان الطقس مختصرا فى حضور والدتها و جدتها واحدى قريباتها فقط و كنت أصورهم بكاميرا الموبايل ..

كان التليفزيون مفتوحا و كنا ننتظر خبرا هاما ..

أثناء تصوير الطقس كنت أستمع إلى صوت عمر سليما فى الخلفية و لم أكن أتوقع جديدا ، إلى أن أقر بتخلى مبارك فظللت أنقل الكاميرا ما بين البنت و عمر سليمان إلى أن انتهى الخطاب.

جريت باتجاه السلم .. كانت الفرحة أكبر من انتظار الإسانسير ، وأمام باب العمارة كان الشعب الذى قضى الأيام الماضية يفكر ألف مرة قبل أن يمر من هذا المكان يمنع سكانه الأصليين من الخروج من عماراتهم من فرط الإزدحام.

عدت إلى مدخل العمارة و جلست على السلم .. التفت إلى يمينى ناحية بئر السلم فوجدت مئات من أرغفة الخبز البلدى ممدة على الطاولات كما هى و لكنها قد تخشَّبت تماما و تراصت طبقات فوق بعضها .

(٧)

قضى بعضنا أحلى لحظات عمره فى الميدان ، وقضاها بعضنا فى اللجنة الشعبية ، أما أنا فاعتبر نفسى شخصا محظوظا إذ كنت أقف فى أقرب لجنة شعبية للميدان فعشت المشهدين فى وقت واحد. وأقول لنفسى ربما لو كان استجاب الله لدعائى من أول يوم دعوته فيه أن يسكننى وسط البلد لكنت مللت الأمر مبكرا و هجرت المنطقة إلى الأبد ،و لكن الله أراد لى أن أصحو كل يوم لأقرأ الفاتحة لشخص لا أعرفه مر بتجربة ما منذ مئات السنين وفى نهايتها ابتسم فتوردت التجاعيد حول عينيه ثم قال جملة أصبحت خالدة فيما بعد " هيييه .. كل تأخيرة و فيها خيرة".

عمر

القاهرة

٦-٢-٢٠١٢

ثورة الشك

فتحتُ الراديو فوجدتُ المذيعة تخبرني بأنني سأستمع الآن لأغنية «ثورة الشك» لأم كلثوم، اندهشت مرتين: الأولى لأنّ روتانا لم تأخذ هذه القصيدة ضمن ما اشترته من تراثنا الغنائي، والثانية لأنني لم أكن أتوقع أن أستمع لكلمة «ثورة» على لسان مذيعة حكومية .

إنها «ثورة الشك» بلا جدال، صدقَت المذيعة، وصدق الشاعر عبدالله الفيصل، إذا كانت هناك ثورة فلن تكون ثورة الجوع، فالحقيقة أنه لا أحد يموت جوعًا بيننا، لا لأنّ الحكومة تراعي الفقراء، ولكن لأنه مازال في قلوب المصريين بعض رحمة وتعاطف، والشعب يحمل همَّ بعضه قدر استطاعته؛ فُرادى وجماعات وهيئات خيرية وبنوك للطعام، وأسر ميسورة أو متوسطة الحال، وشباب جامعي وجمعيات تابعة للمساجد والكنائس، برامج «توك شو» تعرض حالات إنسانية، وتجمع تبرعات على الهواء للعلاج، والتعليم، والسفر للعمرة. فكهاني يهادي عمال النظافة ببعض الفاكهة، جزار يتصدق على سيدة فقيرة بنصف كيلو لحم، وبعض المواسير، أسرة تشارك البواب والسايس والشغالة بعضًا من طعامها الطازج، باب للخير في صحيفة هنا ومجلة هناك، لن يموت في هذا البلد شخص جائعًا ..إلا الطعام ..المصري لا يستسيغ طعامًا وهو يعرف أن أحدًا في محيط حياته يتضور جوعًا.

لن تكون «ثورة الظلم»؛ فنحن أرباب نظرية «يا بخْت من بات مظلوم ولا باتش ظالم»، نحن نحتضن المظلوم بطريقتنا، ونعوضه خيرًا، ونمنحه تقديرًا ربما لم يكن يحصل عليه لو حصل على حقه عادي، وستجدنا نمنح بريقًا ما للاعب الحرّيف الذي لا يحصل على فرصة، أو الفنان الموهوب سيئ الحظ، أو الشخص المحترم الذي كان عمره في الحياة قصيرًا.

لكنها ستكون «ثورة الشك»، الشك في كل من يوجد داخل المنظومة الحكومية أو الرسمية، شك يبدأ بالمناصب الكبيرة، ويمر بمذيع النشرة، ولا يتوقف عند «عوض المخبر» الذي انهال ب»باكيتة البانجو» ضربًا على خالد سعيد فهشم رأسه، شك في أن تحصل على فرصة عادلة، شك في أن تلجأ للقضاء فينصفك، شك في أن تلجأ للشرطة فتحميك، شك فيمن نجحوا واحتلوا مناصب كبيرة، شك في وجود طابور خامس يُتلف الحياة في مصر ببطء، شك في حملة الأقلام، شك في الطبيب الذي تقع تحت يديه، شك في مدى صلاحية ما تأكله للاستهلاك الآدميّ، شك في أن تعيش حياة آمنة فلا يبدد سلامك شخص مسنود، أو مدير فاسد، أو جار يتفنن في إيذائك، أو متطفل يسرق فرصة تستحقها، شك في تقرير الطبيب الشرعيّ، وفي بيان وزارة الداخليّة، وفي حقيقة الصراع بين المحامين والقضاة، ونزاهة رجال اتحاد الكرة، وحرص المسؤولين على مصالح الوطن الداخليّة والخارجيّة، وصِدق الوعود الحكوميّة، ومبرِّرات المقصرِّين، وصفاء ضمير علماء الدين.

المصريون الآن يعيشون في مرحلة الشك العاصف بعد أن فقدوا الثقة في كل من يتحدث إليهم أو يتحدث بالنيابة عنهم، وطال الشك حتى من نؤمن بأنهم محل ثقة (تأمَّل تعليقات القرَّاء على المواقع الإلكترونية واذكر لي خمسة أشخاص هناك إجماع على كونهم فوق مستوى الشبهات أيًّا كان نوع هذه الشبهات)، أصبح المصري يخرج من منزله وهو (مخون) ويتوقع الضربة من أي اتجاه، إنه جحيم أكبر من جحيم الفقر والظلم، لو كنت مكان أي مسؤول مصريّ لشعرت بالخوف الشديد، فالمصري الآن (يشك) في كل من يوجد داخل المنظومة .. لكنها مجرد مسألة وقت وسيبدأ في (الشك) عليه.

(نُشِرَ هذا المقال في جريدة الدستور قبل قيام الثورة ب ٦ أشهر)

٢٠ دليلاً على نجاح ٢٥ يناير

أفاق بعد إغماءة طالت، كان صدره قد تشبع بدخان القنابل المسيلة للدموع، سألني: «تفتكر نجحنا؟»، قلت له: بالرغم من صعوبة الإجابة عن السؤال لأن الأحداث مازالت قائمة، فإنني أستطيع أن أقول لك إننا «لحد دلوقتي» نجحنا، طالبني بدليل، قلت له: ٢٠ دليلاً وليس واحدًا فقط.

١. استنفار كل قوات الداخليّة الديجيتال لإغلاق تويتر والفيس بوك، بالرغم من أن الداخليّة تعرف قوتهما التحريضية منذ سنوات، فإنها لم تقطع عن الموقعين الخدمة في مناسبات نضالية سابقة مثل دعم البرادعي للترشيح للرئاسة، أو في هبّة ٦ أبريل، ربما كانت الداخلية مقتنعة بأن الأمر لا يستحق.. لكن الأمر اختلف هذه المرة.

٢. التشويش على شبكات المحمول ويا لها من فضيحة، الخوف على النظام كان أقوى من الخوف على مواطن قد يحتاج للاتصال بالإسعاف أو المطافئ، كانت شبكات المحمول لا تسقط إلا في المنطقة التي سيمر بها موكب السيد الرئيس، هذه المرة كان النظام كله بحاجة للمرور من هذه «الزنقة».

٣. عنف «الداخلية».. ودعني أسألك: من أكثر اللاعبين تعرُّضا للعنف في أرض الملعب؟ إنه - بلا شك - اللاعب «اللي معاه الكرة».

٤. تطور لهجة «الداخلية» على مدى اليوم هو شهادة نجاح، بدأت الداخلية بـ«تناشد» المواطنين، ثم تحولت مع منتصف النهار إلى «تهيب» بالمواطنين، وبنهاية اليوم كانت الأمور قد حسمت.. الداخلية «تحذِّر» المواطنين.

٥. خروج الشيخ حافظ سلامة، قائد المقاومة الشعبية في السويس، للمشاركة في ثورة الغضب، الشيخ حافظ، أطال الله عمره، خرج مجاهدًا ضد إلغاء معاهدة ١٩٣٦، وزود المجاهدين الفلسطينيين بالسلاح ضد بريطانيا عام ٤٤، واشترك في مقاومة العدوان الثلاثي ٥٦، وشارك في المقاومة أيام النكسة، وشارك في ٧٣، وقاد مقاومة الغزو الإسرائيلي للسويس، رافضًا إنذار شارون قائد الجيش الإسرائيلي وقتها بتسليم المدينة، ثم بعد سنوات خرج في مظاهرات ٢٥ يناير ٢٠١١.. هل تفهم قصدي؟!

٦. توقف حالات الانتحار التي بدأت تنتشر في أوصال البلد حتى وصلت إلى ٧ حالات في ثلاثة أيام.. توقفت يوم ٢٥ يناير إذ شعر المقدمون على الانتحار في هذا اليوم أنه على هذه الأرض ما يستحق الحياة.

٧. تأجيل الدوري.. ربما لم يصدر القرار رسميًّا، لكن الأنباء تؤكد أنها مسألة وقت، كرة القدم التي خدّرت الملايين خلال السنوات الماضية اكتشفت الحكومة بعد ٢٥ يناير أن المخدِّر فقد مفعوله من فرط استخدامه.. الناس فاقت.

٨. بيان «الداخلية» الذي يحمّل الإخوان المسلمين مسؤولية هذه الأحداث، «الداخلية» هنا تبحث عن مبرر يسمح لها باستخدام القوة المفرطة والضرب في المليان دون مساءلة أو إدانة.. فالواقفون في التحرير تابعون لجماعة محظورة و«اللي تعرف ديته اقتله».

٩. نقلاً عن «المصري اليوم» بالأمس «الاتحاد الأوروبي يطالب مبارك بالاستماع للمطالب الشعبية».

١٠. أن تسمع في قائمة المظاهرات أسماء مدن ومناطق كنت تعتقد أن وطنية سكانها ماتت إكلينيكيًا، هل سمعت من قبل عن مظاهرة في أسيوط؟ أو بني سويف؟ أو الشيخ زويد؟ أو وكالة البلح؟ .. بلاش.. سمعت قبل كده عن مظاهرة في شارع محمد علي؟

١١. عدم ظهور رد رسميّ على غضبة الشعب، الرد الرسميّ يعتبر اعترافًا به ويورِّط النظام في الانحناء أمامه، النظام عندنا يعترف بالإرهاب ويرد رسميًا عليه.. لكن أوجاع الشعب يرونها «حاجة جرافيك».

١٢. مانشيت جريدة الأهرام في اليوم التالي.. «احتجاجات واضطرابات واسعة.. في لبنان»!.. «راجع النقطة السابقة».

١٣. يوم الغضب إجازة رسمية مدفوعة الأجر.. كان الحصول على راحة من الشقا دون أن يخل هذا بميزانية البيت نجاحًا مبكِّرًا لـ٢٥ يناير، على الأقل ساهمت الغضبة في أن يحصل الناس الشقيانة على مهلة لالتقاط الأنفاس.

١٤. التشويش الإعلامي.. أن يظهر المذيع الرسمي في التليفزيون الرسمي بينما الأمور مشتعلة في كل مصر ليتحدث عن قناة الجزيرة وعن سوء نواياها، وعن كونها «كمبروسر» يضخم الأمور، كاد يظهر للمذيع أربعة قرون من فرط ما يفعله، ويقال إنه لولا نقص في الكالسيوم أصابه في طفولته لكانت القرون بادية للجميع الآن.

١٥. أن يكون التعليق شبه الرسمي الوحيد به لهجة الخالة الأرملة المعقدة، فعلى طريقة «ماكنش العشم» قال رئيس الوزراء: «يؤسفني أن تحدث هذه المظاهرات في يوم احتفالنا في عيد الشرطة».. حسنًا.. فلتكن الطلعة المقبلة في عيد الأم.

١٦. البحث عن ثغرات أدبية للتقليل من شأن الغضبة بعد الفشل في العثور على ثغرات أخرى.. لا تنصت للأستاذ أسامة سرايا إذ قال إن غضبة المصريين جاءت خالية من الإبداع؛ لأنها رددت الهتاف نفسه الذي أشعل تونس «الشعب.. يريد.. إسقاط النظام» .

١٧. رجوع البرادعي.. قال البرادعي إنه رفض أن يتواجد في البداية حتى لا يسرق الأضواء من الشباب، هذا ما قالته أيضا نادية لطفي عندما رفضت أن تشارك في فيلم «أولاد العم»، أيقن البرادعي أن التغيير أصبح وشيكًا فعاد، «ولن أقول ليركب الموجة»، ولكن لأنه يعرف أن التاريخ سينتقده إذا لم يكن في الشارع في هذه الأوقات.

١٨. مؤتمر صحفي لحزب الوفد في منتصف الليل يعلن فيه التضامن مع الجماهير، ويدعم مطالبها، اعتبر السيد البدوي أن نجاح ٢٥ يناير أمطار هادرة، الحزب بحاجة لها ليغسل ما علق بسمعته السياسية من أتربة مؤخرًا، نجاح المتظاهرين جعل المؤتمر الصحفي «حاجة متستناش للصبح».

١٩. الإنتربول يبحث عن «بن علي». سألني صديقي: وهل ثمة دليل على أن غضب المصريين هو الذي جعل الإنتربول يطالب بالقبض على الرئيس التونسي السابق؟ فقلت له: «وهو يعني كان فيه دليل إن شيكابالا رفع الجزمة لجمهور الأهلي؟».

ابتسم صديقي، فآلمه الجرح الكائن في جبهته.. فقلت له:

الدليل العشرون على النجاح أنك الآن يا صديقي تمتلك بجرحك هذا حكاية مشرفة تستطيع أن ترد بها على ابنتك عندما تقرأ كتب التاريخ بعد سنوات وتسألك: «وانتوا كنتوا ساكتين ليه على اللي بيحصل ده؟

(نشر هذا المقال في المصري اليوم يوم جمعة الغضب ٢٨/١/٢٠١١)

كمين الصقر العيني

لم يفهم الرئيس مبارك الرسالة .. قالوا له إن الشعب اختار التغيير لطعم الجمبري، لم يلاحظ مبارك أن الشعب أفرط خلال الشهرين الماضيين في التهام كميات من الفوسفور للدرجة التي "خلّت مصر تولع"، كذلك لم تكن السيدة الفاضلة حرمه تعرف أنها بتدشين حملة "كمبيوتر لكل بيت" كانت تضع حجر أساس الثورة التي خرجت من " الفيس بوك".

أبطال الثورة شرفاء لكن يجب ألا يسرقوا الأضواء من أبطال اللجان الشعبية التي تهرب منها سيارات البوليس، لن أنسى ماحييت الشخص الذي اشتبهنا به أمام منزلي، وأقسم لنا أنه رئيس مباحث قسم السيدة، صدقناه ولذلك سلمناه لأقرب نقطة جيش، أما في كمين المنيل يجلس صديقي على كرسي بعيدًا عن الحاجز واضعًا ساق فوق ساق، ويستوقف زملاؤه السيارات، ويسحبون الرخص ويحملونها له ليقرر هل تمر السيارة أم تعود، وفي إحدي المرات منع سيارة من الدخول سأله قائدها عن السبب فقال له: "أمن ومتانة"، هذا الصديق أتصل به يوميًا لأعرف منه أحدث الشائعات ..بالأمس قال لي: الداخلية فتحت أبواب جنينة الحيوانات، و"هرّبت اللي فيها" لإثارة الذعر، أقف في كمين القصر العيني، بينما يقف صديقي في المنيل وصديق آخر عند نادي الشمس، لكننا نؤمن أننا جميعًا نقف في الشارع نفسه.

غيرت الثورة أخلاق الكثيرين فقد اعترف لنا "دوكشة" أشهر لص في المنطقة أنه قد سرق جهاز كمبيوتر من البنك المجاور لنا وأنه يود تسليمه، وعندما أتى به وقف قائد الكمين فوق الكرسي صائحا بصوت عالٍ " سقفة لدوكشه الحرامي" فصفقنا له جميعًا وزغردت النساء من البلكونات، كان احتفالًا مهيبًا أسال دموع دوكشه، فقررنا أن نعينه مسؤول التدفئة في الكمين، فكان يحضر لنا كل ليلة كمية من الاخشاب تجعل النار

مشتعلة حتى طلوع النهار، حتى منصور أشهر فتوة في المنطقة تعاطف مع الثورة وشارك في المظاهرات وعندما رجع حكى لنا كيف كان يهتف مع الناس من أعماق قلبه "الشعب يريد إخصاء النظام".

في المقابل اختفى من الصورة تمامًا المطربون الذين لا يفوتون مناسبة تخص مصر دون سيل من الأغنيات .. توقفوا تمامًا لأنهم لم يعرفوا الاتجاه الذي يجب أن تصب فيه الأغنيات هذه المرة؟ فأنت محل اتهام بالخيانة طوال الوقت سواء أيدت الرئيس، أو أيدت الثورة، سواء شاركت في النظاهرات أو جلست في بيتك، الارتباك طال الجميع، التليفزيون المصري يدعم بقاء النظام بطريقة تجعلك تتمنى رحيله بأقصى سرعة، وتليفزيون الجزيرة يهدم النظام بطريقة تجعلك تتعاطف لأول مرة في حياتك مع النظام الذي مسح بكرامتك الأرض .

الرئيس يخشى التنحي خوفًا من الفوضى، والمتظاهرون باقون في أماكنهم للسبب نفسه، المتظاهرون يخشون إن رحلوا أن ينكِّل بهم النظام، والنظام يخشى إن رحل أن تنكِّل به المحاكم، ويطارده الإنتربول، قطع النت والاتصالات والقطارات حشد المشاعر لصالح المتظاهرين، وقطع عيش الكثيرين في ظل عدم قدرة المتظاهرين على وضع نهاية واقعية ومحكمة للأحداث بدأ يحشد مشاعر البعض لصالح النظام .

لا توجد ضمانات لما وعد به الرئيس، ولنكن واقعيين؛ لا توجد ضمانات للبدائل التي تطرحها الثورة، الناس العادية فرحة بما حققه الشباب، وتخاف أن يضيعه الرئيس بنظامه الخبير في التحايل، أو أن يضيعه الثوار بافتقادهم لقيادة مخضرمة قادرة على ملاعبة نظام يبدو كسلحفاة عجوز مطمئنة، يرون أن الخصومة مع النظام يجب أن تكون شريفة، وأن قدرة الثورة على تحقيق أهدافها مع الحفاظ على كرامة مبارك سيحسب لها، وسيعتبره التاريخ إنجازها الأكثر نبلا، لكن الحديث عن شرف الخصومة لا معنى له أمام دماء ٢٠٠ شهيد أهانهم الرئيس

عندما أعتقد أننا قد ضحينا بهم من أجل إقالة بعض الوزراء.

هناك خيانة في أروقة النظام لا نفهم مداها.. هل كانت الخيول والجمال محاولة لدعم مبارك أم لتعميق ورطته؟ هل كان الخيالة يقصدون شرًّا بالفعل أم زُجَ بهم خصوصًا وأن كمية الزينة والألوان المبهجة التي وضعوها فوق دوابهم تنم عن أناس خرجوا يشاركون في زفة بلدي لا حرب؟! كيف مرّوا أصلاً إلى الميدان عبر قوات الجيش التي كانت تفتشنا تفتيشًا دقيقًا كمتظاهرين؟

الأشخاص المحسوبون على النظام "يجرّون ناعم" في البرامج بطريقة مقززة مثل مسجل خطر "ممسوك في لجنة" يتحدثون باستفاضة عن احترام الشرعية والدستور بعد سنوات تناوبوا خلالها الاعتداء على الشرعية في إحدى الزراعات المهجورة، والأشخاص المحسوبون على الثورة (ولا أقل صنّاعها) استعاروا من النظام السابق أسوأ ما فيه، فصاروا يتحدثون في البرامج بلهجة استعراضية ديكتاتورية، ويدلون بتصريحات لا تبلّ الريق .

لا يوجد شيئ واضح سوى أن النظام هو الذي ورّط نفسه بنفسه عبر سنوات من القهر والفساد للدرجة التي تجعلك تؤمن أن أية خسائر سيسبّبها رحيله المفاجئ (مقارنة برحيله) هي مكاسب، وأن أبطال الثورة الحقيقيين شرفاء لا يملكون أجندة سوى حب جارف لهذا البلد، المشكلة أنها أجندة غير كافية في هذه اللحظات .

لكن في النهاية لا بديل عن الوقوف مع أهل ميدان التحرير ظالمين أو مظلومين، فأنا منحاز للثورة انحيازًا يؤجل كل المناقشات، والأسئلة، والفلسفة الفارغة حتى عبور النقطة التي نقف فيها، أنا شخصيًّا قررت تأجيل سؤال "دوكشة" عن مصدر الأخشاب التي يموّن بها الكمين كل ليلة لأنني أصبحت أثق فيه ثقة عمياء.

(نشرت على موقع الدستور الأصلي قبل التنحي بأسبوع تحت عنوان «أهو ده اللي صار»)

بيان رقم ١ من رقية عمر طاهر

أعمامي الثوار

قال الطبيب لوالدتي: إني سأصل بعد يوم ١٥ فبراير، لكن منذ سمعت عن يوم جمعة الغضب وأنا أتحرق شوقًا للمشاركة فيه، لذلك ومع رفع أذان ظهر هذه الجمعة كنت قد وصلت إلى الوجود، نزلت في غرفة العمليات ..لم أصرخ أو أبكي ..فقط ملأت الدنيا "تفافة" لدرجة أن والدي الذي كان حاضرًا لحظات الولادة هتف داخل الغرفة قائلاً "البت .. تريد .. التف ع النظام" ..بالمناسبة تاريخ ميلاد والدي ٢٣ يوليو .. تقدروا تقولوا إن العيلة كلها رايحة منها.

المهم .. أنا سعيدة بوصولي في هذا اليوم وبقدرتي على المشاركة في هذه الثورة النبيلة ولو "بالتفافة"، وأؤكد لكم لولا أني سمعت بوقفتكم في التحرير ما كنت لأخرج من رحم السيدة والدتي، كانت لديّ تحفّظات على الوصول إلى العالم، بينما البلد الذي سأعيش فيه شعاره «لا حياة لمن تنادي»، خاصةً وأن والدي ووالدتي اللذين كانا يعملان في الدستور أصبحوا الآن "مابيعملاش حاجة" بعد أن تحايل النظام بمعاونة السيد البدوي على إجهاض الجريدة التي ساهمت بشكل كبير في تشكيل وجدان وعقل جيل الثورة .. (سمعت أن السيد البدوي يتفاوض مع النظام حاليا باسم الثورة .. لدي تعليق لكن قد يغضب ماما).

المهم .. شجعتني الثورة على الخروج للنور قبل الموعد المتوقع، وأود أن أقول لأعمامي الثوار إنني أشكركم لأنكم بكل شرف وشجاعة قدمتم الفرصة لي ولجيلي لأن أحيا في ظروف أفضل كثيرًا من التي تعيشون فيها، شكرًا للشهداء الذين فرشوا طريق الثورة بدمائهم، شكرًا على صمودكم، ولقدرتكم على ملاعبة النظام الذي أهلك كل من لاعبه خلال الثلاثين عامًا الماضية.

ربما لم يكتمل إنجاز الثورة، (ولهذا فقد رجعت إلى الحضانة بعد يومين من مولدي؛ لأن الجو لازال يحمل قدرًا من التلوث)، لكنني مؤمنة أنها مسألة وقت، يؤسفني أن تضطرني ظروفي الصحية للتواجد في الحضانة خلال هذه اللحظات التاريخية، لكن الحضانة أرحم كثيرًا من مشاهدة هناء وشيرين بتوع المحور، أو الست بتاعت العاشرة مساءً التي تذكرني بلاعبي السيرك، وأود أن أخبركم أنني أقود الثورة في مكاني .. في الحضانة التي اعتصمنا فيها أنا وصديقاتي، وقدتهم في مظاهرة جابت أنحاء المستشفى، واشتبكنا مع الممرضات، لكننا أجبرناهن على الانسحاب بعدما رج هتافنا المكان " كده ميت لون، وكده ميت لون .. والجمعة مظاهرة المليون".

أعمامي الثوار

أرسلت لكم والدي في ميدان التحرير محمَّلا بكيس كبير من الشيكولاتة لتوزيعها على كل من يقابله، والدي أصلع، ويرتدي نظارة طبية شبه نظارات الغطس، وهو أول من دعا للثورة في فيلم كتبه اسمه "طير أنت" عندما خرجت الجموع في أحد المشاهد صارخة "الكبير لازم يرحل".

أتمنى أن تصلكم الشيكولات وأنتم في أمان، وأرجوكم أن تشدّوا حيلكم شوية، فقد بدأت أكره الحضانة، وأتمنى أن تقام لي عقيقة ماحصلتش في ميدان التحرير، لكن هذا لن يحدث إلا إن تحققت مطالبكم .. هكذا قال لي الأب.

أعمامي الثوار

قلبي معكم

تقبّلوا مني هذه الهدية البسيطة .. وتحيا مصر.

(نشرت على موقع الدستور الأصلي قبل التنحّي بيوم)

ثورة «ولكن الله رمى»

قال عمر سليمان: إن البديل هو الفوضى، هل فكر سيادة النائب ما هي السيناريوهات المطروحة كبديل لسيناريو ٢٥ يناير؟

١ـ الرئيس توفي فجأة، رجال النظام يُحكمون سيطرتهم على البلد بقبضة حديدية؛ لتمرير الحكم لجمال مبارك، ثورة للشعب تُقابل بحملة اعتقالات وتنكيل وإخراس لكل الأصوات الشريفة، سيناريو ستدعمه القوى الخارجية باعتبار أنه لا بدائل.. بعد عدة أشهر سنتأقلم مع الوضع الجديد، ونبتلع ألسنتنا أمام دعم الإعلام، والجيش، والشرطة، والبرلمان (وبتوع نزلة السمان) للرئيس الجديد، بعد قليل جمال يدخل بالبلد في شجرة.

٢ـ الرئيس توفي فجأة، يحدث انقسام داخل مؤسسة السلطة، خناقة على التورتة بين أكثر من جهة: (جمال وعز) ضد (صفوت الشريف وأقرانه) ضد (الجيش)، وربما يطمع في الحكم حبيب العادلي!! خناقة لا ضحايا مؤكدين لها سوى الشعب نفسه، ستطول المعركة.. وحتى اللحظة التي يعلن فيها أحد الأطراف سيطرته على الأمور سنكون مررنا بكل أشكال الجوع، واختلال الأمن، والتدهور الاقتصادي.. سنرى البلد ينهار بالتصوير البطيء.

٣ـ الرئيس توفي فجأة، انقسام داخل مؤسسة السلطة، تمر شهور طويلة والمعركة مشتعلة دون وجود طرف قادر على حسمها لصالحه بشكل نهائيّ، تسوء الأمور أكثر فيرى المجتمع الدولي نفسه ملزمًا بالتدخل لحماية مصر من الانهيار، فجأة نجد قوات الأمم المتحدة موجودة في قلب العاصمة، إما أن تتوحد صفوف المتناحرين لمقاومة التدخل الأجنبي، وساعتها قد نواجه تدخُّلا أمريكيًا صريحًا، أو على الأقل تحالفًا

أوروبيًّا أمريكيًّا، وإما أن تفرض علينا القوى الدولية السيناريو الذي تراه الأنسب من وجهة نظرها، لا من وجهة نظرنا.

٤ـ الرئيس يشرف على انتقال السلطة لجمال مبارك بمشاركة بعض المعارضين الذين سيورطهم النظام في انتخابات رئاسية مسرحية؛ ليصبح جمال رئيسًا شرعيًّا أمام العالم.. بعد قليل جمال يدخل بالبلد في الشجرة «اللي فوق».

٥ـ الرئيس أطال الله عمره لا يقتنع بقدرات جمال مبارك كخليفة له (على الأقل في هذه المرحلة)، ويبدأ في نوفمبر فترة رئاسية جديدة.. الأمور مستقرة إلى أن نعود للنقطة رقم (١) من جديد.

يوم ٢٥ يناير كان هناك سيناريو آخر عنوانه (ولكن الله رمى)

شاب مصري وطني مقيم في الإمارات (يعيش في فيلا بحمام سباحة، ويقبض بالدولار، وهي ليست تهمة، ولكنني أقصد أن وضعه فوق مستوى الشبهات السياسية، الأمر الذي جعل الداخلية نصف مهتمة بالأمر)؛ يطلق دعوة عبر الـ«فيس بوك» للتظاهر يوم عيد الشرطة (دعوة تتكرر يوميًّا على النت من جهات عديدة)، تقوم الشرطة بمكافحة الحدث (كعادتها)، وتحشد كل قواتها في (القاهرة) فتنجح في السيطرة عليه في ساعة متأخرة من الليل بعد صولات وجولات وضحايا من الطرفين.

الجميع في القاهرة يذهبون إلى النوم، وفي يقينهم أن المسألة قد انتهت، لكن (السويس) كان لها رأي آخر.

(المصري اليوم .. بداية كتابة مقال يومي في المصري اليوم، وصادف أن يكون ذلك صباح يوم تخلّي مبارك الجمعة١١/ ٢/ ٢٠١١)

ثورة «ولكن الله رمى» (٢)

ما نجحت فيه الشرطة في القاهرة يوم الثلاثاء فشلت فيه بجدارة في السويس، ربما كانت القاهرة تشتعل بحماس شباب الفيس بوك، لكن السويس اشتعلت بحماس شباب تربىّ على حكايات الآباء والجدود الذين قاوموا حصار الجيش الإسرائيلي بقيادة شارون في ٧٣، أصبحت السويس مصدر إلهام جديد للبلد كله، ودليلاً على نجاح الدعوة التي تجددت بعد أن اكتسب المتظاهرون (قدرًا من الجرأة)،عززه كليب انتشر في كل العالم لشاب في قصر العيني يقف في مواجهة مدرعة أمن مركزي بمفرده ليرغمها على التوقف وسط تكبيرات المتظاهرين.

كما عززه اعتصام المحامين والصحفيين، وانسحاب محمود سعد من «مصر النهارده»، وصور للميدان المزدحم بالمعتصمين ألهبت حماس الشعب كله، ونمت شعورًا بالندم على عدم التواجد في الميدان، منهم من فاتته اللحظة لأنه التزم بيته، ومنهم من فاتته لاستحالة التسلل إلى الميدان بسبب الحصار الأمني.

عززته قصص مستفزة متداولة على النت عن الضرب والإهانة التي تعرض لها الكثيرون، مصحوبة بصورة يظهر فيها الصحفي محمد عبدالقدوس مسحولاً على الأرض، بينما جنود الأمن المركزي يسحبونه من ساقيه.

عززه أيضا إعلان اتحاد الكرة تأجيل مباريات الدوري العام بطلب من الأمن.

وأخيرا البراد،عي يعلن أنه في طريقه إلى القاهرة.

أما تحذير الداخلية من تكرار ما حدث، فهو القشة التي قصمت ظهر البعير.

فجر يوم الجمعة.. بدأ النظام يدق المسمار الأول في نعشه بأن قطع الاتصالات وقطع الإنترنت.

«فأغشيناهم فهم لا يبصرون».. كان النظام يعتقد أنه يجهض التحرك بهذا التصرف، لكنه كان محرِّضا قويًا على التحرك، ٤٠٪ ممن شاركوا في جمعة الغضب كان باستطاعتهم متابعة الفعاليات والمشاركة فيها بالنضال عبر الفيس بوك، لكن بما أنهم قد حرموا من آخر فرص النضال، وأصبحوا يعيشون في عماء قلة الاتصالات، لم يكن هناك مفر من النزول إلى الشارع.

يوم جمعة الغضب كان سقف طموح المظاهرة هو الوصول إلى ميدان التحرير والاعتصام به؛ لإبلاغ الرسالة، يكذب من يخبرك بغير هذا.

كنت شاهدا على موقعة قصر العيني التي تكررت بكل تفاصيلها في الجيزة، وكوبري الجلاء، الشرطة في قمة توترها وعنفها، المدرعات التي شوه كليب شاب قصر العيني صورتها طاحت في البشر، كان الاستفزاز باعثًا على الصمود والتقدم.

نقلة جديدة في السيناريو الرباني.. ثبّت الله أقدام المتظاهرين لأول مرة منذ زمن بعيد، وأرعش قبضة الشرطة، كان وزير الداخلية يتابع الأمر من بيته في المهندسين حتى الرابعة عصرًا، تلقى معلومات سلبية جعلته يخرج من منزله مرتديًا الترينج سوت متجهًا إلى الداخلية.

كانت قوة الشرطة قد أوشكت على الانهيار.. من المؤكد أيضا أن قوة المتظاهرين البدنية لم تكن لتصمد كثيرًا.

كانت مسألة وقت قبل أن تسيطر الشرطة على الوضع نسبيًا.. لكن الله ألهم النظام أن يدق المسمار الثاني في نعشه.

النظام يتعجل في اتهام الشرطة بالتقصير، ويلوح للوزير بنزول الجيش، العادلي يعتبرها إهانة من النظام، فيقرر معاقبته حتى يحافظ على (برستيجه)، فيصدر أمرًا لقواته بالانسحاب (خليهم يورونا الجيش هيعمل إيه)، البلد يقع فجأة في قبضة المتظاهرين في مفاجأة كبيرة لهم قبل أن تكون مفاجأة للنظام لتشتعل الأحداث.

ثورة «ولكن الله رمى» ٢

مازلنا في جمعة الغضب..

يتمنى أهل الثورة لو أن إعدام العادلي يجوز دون محاكمة، الحقيقة أنه بتدقيق النظر إلى المسألة ستصبح الثورة مطالبة بإقامة تمثال لهذا الرجل، فما كانت الثورة لتنجح لولا أن أصدر الأمر بانسحاب قواته، بغض النظر عن الباعث على هذا التصرف، خلل مهني، أو سوء تقدير، أو مؤامرة على النظام، اعتبرني مختلا عقليًا، وتخيل معي أن العادلي كان يقصد بهذا التصرف دعم الثورة، وفتح الأبواب أمامها لتنطلق في الشوارع.. أعرف أن تاريخ إدارته لا ينبئ بهذا النبل، لكن أعتى المجرمين في أكثر السيناريوهات تعقيدًا يمر بلحظة تطهير.. مجرد فكرة.

سحب العادلي قواته مشكورًا ومُنح المتظاهرون دفعة معنوية هائلة عندما شاهدوا جنود الأمن المركزي وهم في حيرة من أمرهم، هل ينسحبون بوجوههم أم بأقفيتهم، حيرة عارمة لم ينقذهم منها سوى سيارات الجنود الكبيرة التي نجت من الحرق والتدمير، وسارعت بحملهم من النقطة التي يقفون فيها، ثم هربت بهم عبر شوارع جانبية، أما مَن لم يلحق بهذه السيارات من الجنود أو الضباط، فقد اضطر بالأمر المباشر إلى خلع ملابسه الميري، والتصرف في أي ملابس مدنية.. هناك من لم يستطع أن يغير ملابسه فتم سحله بالملابس الداخلية في الشوارع.

في هذه اللحظة لم يكن هناك شخص واحد في الشارع ليس له ثأر مع الشرطة، لذلك كانت المواجهة غاضبة لم ينهها سوى ظهور مدرعات الجيش.

«الجيش نزل» كانت الجملة غامضة وغير مفهومة، لكنها تحمل شيئًا يلمس القلب، الجيش هذا الكائن الخرافي الوقور على بعد خطوات منا، اختلطت الهتافات بالدموع، وكانت الخطوات في اتجاه ميدان

التحرير كأنها خطوات شخص يمشي للمرة الأولى في حياته.

كانت الشحنة العاطفية كبيرة، وكان لفظ «حظر التجول» في حد ذاته محرضًا على التجول إلى ما لا نهاية، أنا شخصيًا كنت متحمسًا من فرط السكريّات التي غذيت بها جسدي، فقد أخبرني أحدهم بأن البيبسي هو أفضل علاج لآثار القنابل المسيلة للدموع، يومها، شربت ثلاث زجاجات من الحجم العائلي قبل أن أعرف أن المفروض أن أغسل وجهي بها.

في الطريق كانت أدوات العساكر الفارّين تملأ الشارع، مررت بمشاجرة بين اثنين على إحدى الدروع التي تحمل شارة الأمن المركزي، بينما يقف في الناحية الأخرى شاب صغير يرتدي خوذة أحد العساكر، رافعًا يده بعلامة النصر، هنا وفي عز السعادة شعرت بغصة ما.

ظلت هذه الغصة عالقة بقلبي إلى أن أطل الرئيس ليلا ليقسم مصر إلى نصفين، النصف الأول كان يكافح طول اليوم حتى منتصف الليل، وقلبه مفعم بحلم التغيير، ولكن ما الذي كان يحلم بتغييره؟

كان يحلم بتغيير النصف الثاني الذي ظهر من مصر بعد منتصف هذه الليلة، رئيس لا يجيد الاستماع إلى شعبه، ويتعالى على غضبه، وحفنة من البلطجية، واللصوص، والعشوائيين.

فوجئت مصر في لحظة واحدة بخطاب بارد من الرئيس، وكائنات ممسوخة تسطو، وتحرق كل ما تمر به، هل كانت مصادفة أن يظهرا في التوقيت نفسه؟

ثورة «ولكن الله رمى» (٤)

ما بين خطاب إقالة الحكومة، وخطاب لن أترشح لانتخابات الرئاسة، قدم النظام للثورة فرصة ذهبية للاستمرار في الاعتصام، ورفع سقف المطالب، فلقد رأينا جميعا إقالة نظيف ثمنًا بخسًا لا يوازي الرعب الذي سببته مدرعات الأمن المركزي وهي تنطلق مسرعة لتدهس المتظاهرين بالجملة، رأينا أن تغيير وزير الأوقاف في هذه الظروف «استهبال سياسي»، وكان الإبقاء على أكثر من عشرة وزراء من الحكومة القديمة دليلاً على هشاشة النظام الذي فرّغ دائرة الحكم من أي أسماء قادرة على الإصلاح والتجديد، أما التخلي عن رجال الأعمال دون أن يطلب المتظاهرون ذلك صراحة؛ دليل على اعتراف ضمني للنظام بأن هذه الوجوه مكروهة، جعلت هذه الخطوة المتظاهرين يؤمنون بأنهم على صواب، وأنهم يسيرون في الطريق الصحيح، فقد ضحى الرئيس بأصدقاء الابن لتخفيف حمولة المركب التي كانت تسير بخطوات ثابتة في اتجاه ما بعد البراميل.

بعد ساعات تم التخلي عن الوجوه التي أجمع الشعب على كراهيتها بداية من أحمد عز ونهاية بجمال مبارك، في إشارة لافتة لغلق مشروع التوريث، إذن النظام فاهم كل حاجة، وعارف الصح من الغلط دون أن يذكر المتظاهرون أسماء بعينها.. لماذا إذن تمسك بضراوة بهذه الأسماء خلال السنوات الماضية؟

شعر المتظاهرون بأنهم في مركز قوة، لأن النظام يتنازل بالتدريج.. ظهور النظام بهذا الشكل البائس جعل المتظاهرين يشعرون بأن النظام إما يحاول أن يكسب أرضًا ليستعيد القيادة ثم ينهال انتقامًا من المتظاهرين، وإما أنه نظام هش بالفعل لا نأمن على أنفسنا في عهدته، وهكذا بدأت الأفواج تهل على ميدان التحرير معلنة التضامن مع أوائل الفاتحين.

ثم ظهر الرئيس مرة أخرى.. وكان مجرد ظهوره للمرة الثانية على التوالي في أقل من ٧٢ ساعة دليلاً جديدا على أن المتظاهرين في مركز قوة، فالرئيس «طلته عزيزة»، وليس سهلا أن تجبره على الظهور بنفسه بهذا الشكل المتلاحق إلا لو كنت صاحب شرعية، وفي الموقع الأفضل.

كان خطاب الرئيس الثاني عاطفيًا للغاية، أنا شخصيًا تعاطفت مع رغبة الرئيس في أن يموت في بلده، وأعدت النظر إلى الموضوع من جديد، فاكتشفت أن الثغرة الواضحة في الثورة هي عدم قدرة أحد على قيادتها، أو اختزالها في شخص بعينه، لقد تحرشت الثورة بالنظام تحرُّشا جماعيًا يصعب تحديد المسؤول عنه.

والثغرة الواضحة في النظام أنه بلا مصداقية، وصرت أتحدث مع الجميع عن فكرة «شرف الخصومة» حاملاً مبادرة فليبق المعتصمون في أماكنهم بصيغة «المراقب الدولي»، الذي يشرف على الإصلاح، وليبق الرئيس في مكانه بصيغة الموظف الذي ينفذه حتى نستلم منه البلد.

هناك من اقتنع، وهناك من طلب مهلة للتفكير، وبتنا في الميدان الليلة نصف متيقظين نصف نائمين، ثم تلاشت كل فرص التعقل عندما هجم علينا الكفار من فوق ظهور الخيل والجمال.

أنصاف نجوم الثورة

أُلملم اليوم أوراق الكتابة عن ثورة «ولكن الله رمى»، والتي حاولت فيها أن أثبت لنفسي أن «الشعب أراد الحياة»، فمنحه الله الإذن بأن يسّر له ما أراد. أو كما يقول شيوخنا الكبار: «التيسير علامة الإذن».. أما بعد..

لابد لنا أن نعطي كل ذي حق حقه، فإذا كان الشباب المصري قد ألهم العالم كما قال أوباما، فيجب أن نعترف بأن «السويس» هي التي ألهمت الشعب المصري، السويس التي لم تأخذ هدنة حتى استقر المتظاهرون في التحرير مساء جمعة الغضب، لم تخرج في مظاهرة بل كانت تخوض حربًا شرسة شتتت أفكار النظام والداخلية.

السويس التي سقط فيها أول ثلاثة شهداء كانت «بوعزيزي» ثورة يناير، وفي الوقت الذي كان فيه هتاف أهل التحرير «سلمية.. سلمية» كان هتاف السوايسة «يا بيوت السويس يا بيوت مدينتي.. أستشهد تحتك وتعيشي أنتِ».. أرجو ألا تسرق الفضائيات والصحف منهم هذا المجد.. كفى احتفالاً بأنصاف الأبطال.

إياك أن تمنح قناة الجزيرة أكثر من حقها، فإذا كنت قد استفدت منها مرة خلال الثورة، فقد استفادت هي ألف مرة. أرجوك لا تمنح قناة «لم تكن تقف إلى جوار الثورة لوجه الله» ما لا تستحقه، ولا تجعلها ضمن الراكبين على هذا المجد. سيكون عاراً على الثورة، وعلى الشهداء أن تكون قناة الجزيرة هي الراعي لكل ما حدث. يؤسفني أن أرى بعض الأصدقاء على الـ«فيس بوك» يحملون شعار «الله.. الشعب.. الجيش.. الجزيرة».

لابد من توجيه الدعوة من قبل الثورة لأسر الجنود الذين استشهدوا خلال المواجهات للتواجد في الميدان والاحتفال بهم. الآن بعد نجاح الثورة يمكن اعتبار هؤلاء الجنود المصريين البسطاء ضحايا من

أهالينا، اضطرتنا الظروف القاسية للعبور فوق أجسادهم حتى نصل إلى ميدان التحرير، هؤلاء الجنود من سيهتم بأن يواسي أسرهم سوى هذه الثورة النبيلة؟

لابد من الحفاظ على «برستيج» الثورة من قبل محبيها، ففي كل دول العالم تحدث إضرابات تقود إلى الثورة، نحن البلد الوحيد في التاريخ الذي أدت فيه الثورة إلى إضرابات.

كما أن الإعلان عن استمرار الاعتصام في الميدان حتى تتحقق مطالب الثورة يعتبر إهانة للجيش الذي احتضن الثورة، وإشهارًا لعدم ثقة الثورة فيه. وهو أمر سيحول حياتنا إلى جحيم، ويهدم من الأساس ثورة كان شعارها «الجيش والشعب إيد واحدة».

لا بديل عن احترام المعارضين للثورة، والتخلص من القوائم السوداء التي ظهرت خلال اليومين الماضيين للتنكيل بمن اتخذوا موقفًا مؤيدًا للنظام، قامت الثورة لأن النظام كان يكمم الأفواه، ويقهر معارضيه، ويسخر منهم.

ألا يليق بالعهد الجديد أن يتخلص من أحد أكبر مساوئ العهد القديم؟ إن كنت تريد دعم الثورة فعلاً تقبل وجهة النظر الأخرى، واحترم عقليات معارضيك، ولا تقهرهم، ودعهم يشعروا بأن هناك تغييرًا ما حدث بالفعل «على الأقل في هذه الجزئية»، فإذا كان النظام السابق قد منحك هامشًا ديمقراطيًا وهو متضرر، فأنت الآن مجبر على احترام من يخالفك. ستسقط الثورة في اللحظة التي يتحول فيها ميدان التحرير إلى رمز جديد للديكتاتورية.

ملاحظات (١٧-٢-٢٠١١)

منذ يومين انفتح باب الكلام مع الأصدقاء عن الأشياء التي تؤرِّق أنصار الثورة، أو التي يجدونها غير مريحة، أو جديرة بالتوقف عندها لدراستها، كان الحوار مطوَّلا خرجت منه بأفكار كثيرة اخترت منها كام فكرة كان هناك شبه إجماع عليها، ورأيت أنها جديرة بأن أشركك فيها صديقي القارئ.

١.. اضطرارك في أي وقت لأن تجعل كلامك مسبوقًا بجملة " طبعًا أنا مع الثورة " إذا كنت تفكّر في طرح وجهة نظر مخالفة أو مختلفة.

٢.. عدم وجود مطلب واحد من الثوار بنسف جميع الأحزاب السياسية الموجودة حاليا على الرغم من كونها أحد أركان نظام مبارك.

٣.. تسميتها ثورة "الفيس بوك"، البعض يرى أنها إهانة لكثيرين يناضلون على أرض الواقع منذ سنوات، ويدفعون الثمن بعيدًا عن النضال على أرض عالم افتراضيّ آمن، هذا بخلاف أنك إذا "بصيت بصة" على الفيس بوك حاليًا بعد نجاح الثورة ستجد عشرات الألاف يناضلون بالسخرية من "الراجل اللي واقف ورا عمر سليمان".

٤.. رغم الثورة لا زال الخوف من مرتضى منصور موجودًا، ففي الوقت الذي تناضل فيه الثورة عبر متاهات البحث عن المتورطين في أحداث "موقعة الجمل"، فات الكثيرون مقاضاة منصور، وهو الشخص الوحيد الذي يبث له عبر النت تسجيلًا يدعو فيه المتظاهرين المؤيدين لمبارك للتحرك فورًا باتجاه التحرير وسط هتافات هانجة.. "على فكرة السيديهاية معايا".

٥.. الخوف من أن يتحول دم الشهداء بمرورالوقت إلى "لبانة" في فم أي شخص موجود على الشاشة يتحدث باسم الثورة، بدون أن يمتلك أية جملة مفيدة أخرى.

٦.. تحول البعض المفاجئ بدون مقدمات من العزف على طبلة النظام إلى العزف على طبلة الثورة، مثل أن تتقمص جريدة الأهرام فجأة دور جريدة صوت الأمة بعد الثورة بمانشيت يتحدث عن ثروة علاء مبارك ووالدته.

٧.. الناس اللي كانت بتنزل التحرير بس علشان تتصور مع الدبابة.

٨.. المصريون الذين ظلوا لمدة ٣٠ عامًا في ظروف معيشية رديئة، ومع ذلك رفضوا الخروج في المظاهرات لخوفهم من أن تضر البلد، نزلوا مؤخرًا إلى الشوارع في مظاهرات لها مطالب فنوية دون أن يفكروا أن هذا سوف يضر الثورة.

٩.. أسئلة المصريين الساذجة حول حدث من نوعية "هما ليه مافتحوش سجون الستات؟".

١٠.. إنشغال الناس بموقف أبوتريكة السياسي في هذه اللحظات التاريخية.

١١..الشعب المصري عاطفي لدرجة مربكة يصعب معها قياس الأمور بطريقة سليمة، فالناس الذين كانوا مع الثورة انقلبوا بعد خطاب الرئيس الذي أسال دموع الأمهات "وهما هما برده" انقلبوا تاني بعد بكاء وائل غنيم في أحد البرامج.

١٢.. وائل غنيم نفسه .. وهذه قصة شرحها يطول.".

هناك انقسام، البعض يرونه بطلًا، والبعض يرونه شخصًا وضعته الظروف في مقدمة الحدث، شعبية غنيم تزداد كلما زاد الهجوم عليه؛ لأن مهاجميه لا يقدمون أسبابًا مقنعة لكراهيته، فهي أسباب تتروح بين (كليب له يرقص فيه بعد التنحي بطريقة مستفزة تجعله يبدو في هذه اللحظة وكأنه نسي الشهداء اللي كان بيعيط عليهم)، أو أن (الحظاظة إلي في إيد وائل

مش ماشية مع واحد ثورجي أبدًا)، أو (الأسد اللي على التيشيرت اللي بيظهر بيها هو رمز الماسونية)، امتعاض البعض من وائل سببه أيضًا عدم قدرة محبي وائل على تقديم أسباب منطقية للالتفاف حوله سوى أسباب عاطفية، بعض الممتعضين يرون أنهم لم يظلوا معتصمين لمدة ١٨ يومًا في الشارع معرضين أنفسهم للخطر حتى يصبح رمز الثورة في نهاية الأمر شخصًا لم يظهر إلا في الأيام والساعات الأخيرة، بخلاف أن وجوده في صدارة المشهد يظلم كثيرين حققوا النصر، وعادوا إلى بيوتهم مصابين، ولم "ولن" يعرف عنهم أحد شيئًا.

للأمانة وبغض النظر عن أية انطباعات شخصية أرى الحكم عليه قبل مرور وقت كافٍ سذاجة لا تليق بالثوار، وإن كنت ميًّالا لتصديق نظرية جيفارا "أنا لست محرِّرا، المحرِّرون لا وجود لهم، الشعوب هي التي تحرر نفسها".

١٣.. غرابة أن تسأل أي شخص في مصر عن الثورة فيقول لك بدون تفكير: "أنا كنت معاهم من يوم ٢٥".

١٤.. السخرية من أحمد عز لأنه كان عازف درامز .. ما العيب في المهنة؟

١٥.. كمَ الاتهامات المجانية المتبادلة حاليًا تجعل الواحد يشعر بالخوف من أن نكون قد أخطأنا عندما فتحنا النار على عمر سليمان؛ لأنه قال إن المصريين ليسوا مؤهلين للديمقراطية.

١٦.. اعتبار فكرة التعاطف مع مبارك، خيانة للثورة، وجعل الشماتة فيه فعلًا إجباريًّا، البعض وأنا أولهم يرون أننا يجب أن نتعامل مع مبارك بالطريقة التي تليق بنبل الثورة، لا التي تليق به.

١٧ .. عدم وجود ملهم للثورة يمكن للناس أن تلتف حوله، وتقيم الثورة من خلال ما يقرره، أو يفعله.

١٨.. عدم احترامنا لقرار حظر التجول .

١٩.. المماطلة في محاكمة القتلة والسفاحين.

٢٠.. شعور ما بأن هذه الثورة بحاجة لثورة كمان.

وبعدين يا سيادة اللواء؟ (٢٦-٢-٢٠١١)

عاد السيد وزير الداخلية محمود وجدي ليتحدث عن العناصر الأجنبية، ويؤكد أن الشرطة لم تطلق النار على المتظاهرين، (يا سيادة اللواء أعرف أن حضرتك جئت إلى مقعد الوزير من المعاش بما يعني أنك كنت موجودًا في منزلك عندما وقعت الأحداث، أنا بقى كنت في الشارع وبأقولك ضربوا نار)، يعني حضرتك في هذه الأوقات الحساسة لم تفكر حتى في تغيير خطاب الشرطة، فما بالك بتغيير الأداء.

هل تابعت حضرتك كليب مدير أمن البحيرة على اليوتيوب، الذي يخاطب فيه ضباطه أمام الكاميرا بجرأة القذافي قائلًا (الكلام عن محاكمة قيادات الداخلية كدب، واللي يمد إيده على سيده يتضرب بالجزمة، وإحنا أسيادهم وإحنا الأمن).

يا سيادة اللواء أنت الآن في ظرف تاريخي، والشرخ الذي حدث في علاقة الشعب بالشرطة محتاج قرار إزالة للعلاقة كلها، وصياغتها من جديد، ومع احترامي لحضرتك.. أنت الآن مطالب بأن تكون رجل سياسة، وعلم اجتماع، وطب نفسي، وباشمهندس قبل أن تكون رجل أمن، هناك ضباط شرفاء مقهورون ويشعرون بأنهم كانوا (كبش فداء) لكل ما حدث، ويرسلون لي اقتراحات موجعة لحل مشكلتهم مع الشعب أقلها اقتراح بـ(جمع كل رجال الشرطة وأسرهم في ميدان التحرير، ورجمهم حتى يموتوا ويهنأ الناس بمصر)، فهم يدفعون ثمنًا مبالغًا فيه لشيء لم يرتكبوه؛ لأن حضرتك لم تقم حتى هذه اللحظة بنشر قائمة العار التي تضم أسماء سفّاحي الثورة، وفاسدي جهاز الشرطة الذين أذاقونا المر خلال السنوات السابقة، وهناك ضباط مثل الباشا بتاع دمنهور عادوا لعملهم، وقد انتفخ كبرياؤهم أضعاف ما كان منفوخًا قبل ٢٥ يناير، والنتيجة أنهم هينفخونا كلنا عندما تتاح لهم الفرصة، وهناك ضباط

أصبحوا يقفون في الشارع بشكل خال من أي هيبة يحزنني أنا كمواطن ويشعرني بالقلق، فكيف سيحميني هذا الضابط ويداه ترتعشان.

إذا كان الناس يحملونك مسؤولية سائق الميكروباص الذي أطلق عليه أحد الضباط النار في المعادي، فأنا أحملك مسؤولية ما تعرض له الضابط على يد الأهالي؛ لأنك لم تتعامل مع شعور عام لدى بعض فئات الشعب حاليًا بجماليات التحرش بالشرطة، حضرتك لم تصغ أي سياسة تسمح للشرطة بإعادة الانتشار بشكل يحفظ لها هيبتها، ويحفظ كرامة المواطن، لم تفكر في خطة لإعادة تعريف الشعب بالشرطة، لم تستطع أن تقنع بعض رجالك بأن الثورة ليست عدوتهم، ولم تقدم ما يجعل الشعب يؤمن بأنه يومًا ما سيصبح مع الشرطة إيد واحدة، لأن حضرتك مازلت تتحدث عن أهمية مباحث أمن الدولة، والعناصر الأجنبية، وبراءة الشرطة من دم الشهداء.

انتهى زمن (اللي مالوش خير في حاتم مالوش خير في مصر)، وكنت أتوقع أن تعيد زمن (من حكمدار العاصمة إلى أحمد إبراهيم أرجوك لا تشرب الدواء)، لكن الواضح أننا سنعيش زمن (أنا شايف خلق جديدة وحاسس فيهم بابتسامة أمل.. انسوا).. من فيلم «اللي بالي بالك» يا سيادة الوزير.

العاشرة صباحًا ٢٧ / ٢ / ٢٠١١

في هذا التوقيت قررت إني هابعت المقال وأدخل أنام، لن أنتظر بيان الجيش عما حدث فجر السبت، جهازي العصبي يتهاوى بالتدريج.

كان الجنود يقفون في منتصف شارع قصر العيني، رأيت صفعات تنهال على رأس أحد الشباب، ثم تركوه ينصرف، الشباب يهتفون ضد الجيش، الجيش نزل على ركبة ونص وشد الأجزاء، النساء في البلكونات يصرخن: (حرام عليكم كفاية تعبنا)، الجنود ينظرون إليهم، ثم يستديرون عائدين للخلف، وكأنهم شعروا بالإحراج، الجيران نزلوا الشارع، ومسحوا بكرامة المتظاهرين الأرض، وهم يكررون الكلام نفسه: (حرام عليكم تعبنا كفاية).

تخوين الجيش ليس بطولة، وهو الإجراء الأغبى على الإطلاق، لو كان الجيش سيئ النية فسيستغل هذا التخوين، ويفرض أحكامًا عرفية وهيقولك: «الأجواء غير مناسبة لإجراء انتخابات»، ولو الجيش حسن النية، واستمر تخوينه، فسيقول لك: «سلامو عليكم واتفضلي يا وزارة الداخلية استلمي الشارع، والشعب لأني مش قادر عليهم».

عندما يورطنا المناضلون في اختيار من دول نحاسب مين ساعتها؟ الناس اللي عايزة تبات في التحرير هي أول من كسر قاعدة الجيش والشعب إيد واحدة، إذا كان الجيش احترم رغبتنا وأزاح الرئيس مش قادر تصبر عليه ساعتين الليل؟ عدم احترام حظر التجول إهانة عسكرية، ومادام هناك حظر تجول مفروض منذ أسابيع، فليس منطقيًا أن تسأل: «اشمعنى اهتم بتطبيقه النهارده السؤال غير منطقي.. بس برده اشمعنى النهارده؟»

النضال أصبح صوتًا عاليًا، ومرمطة على النت، وشغل متعصبين كرويين سذج، وحرص «في عزّ مطاردة الجيش للمناضلين في كل مكان على حد تعبيرهم» على الاتصال بتويتر، والجزيرة، ورويترز لإثبات حالة كمناضلين.. أصدقك إزاي وأنا مش عارف إذا كنت بتناضل، ولا بتسجل اسمك في كشوف الثورة على الهواء؟

من المخطئ في هذا المشهد؟ .. ضابط جيش أظنه عميدًا يمسك الميكروفون في ميدان التحرير ويقول بكل أدب: «يا أولاد مش هينفع يبقى فيه منصة.. انتوا بتقولوا قدام تليفزيونات العالم كلام يضرنا»، فيخرج له شاب في عمر أولاده رابط رأسه بشريطة علم مصر، قائلًا بمنتهى الجليطة: «ولو حطينا المنصة هتعمل إيه يعني؟» فقال له الضابط دون تردد: «هاضربك بالنار»، قالها ثم ألقى المايك وانصرف بعيدًا، هل هذا الصبي هو واحد من الشباب المصري الذي ألهم العالم؟ وهل ضاق خلق الجيش بعد أسابيع وسط المدنيين الذين لا تتلاءم حياتهم مع حياة العسكرية؟

الجيش حائط أمان الثورة، وخلف هذا الحائط يقع الجحيم، لكنه حائط يمنعنا أيضا عن رؤية الشمس بكامل استدارتها..

والثورة كان يفترض أن ترفع من روحنا المعنوية، لكنها تكاد أن تعصف بمشاعرنا وعقولنا..

وعلى الفيس بوك يقولون إن الجيش والشعب (مابقوش إيد واحدة) ولم يلتفت أحدهم إلى أن الشعب والشعب أصلًا مش إيد واحدة..

وأنا في هذه اللحظة لا أصدق سوى جيراني الذين صرخوا في الجميع: (حرام عليكم كفاية تعبنا تعبنا).

مبارك يقول في خطاب عيد الشرطة"لقد أثبتت مصر أنها أقوى من المحن، وأثبت المصريون أنهم شعب متماسك وعنيد"، (وهكذا كان مبارك هو أول من تنبأ بنجاح الثورة)، وبينما كان خطاب الرئيس يستحوذ على مساحة كبيرة من صفحات جريدة الأهرام، إلا أن موقع الجريدة أشار إلى أن الأكثر قراءة في هذا اليوم كان موضوعًا بعنوان (جوزيه :لست ساحرًا لإصلاح العيوب).

العادلي في حواره مع أسامة سرايا قال عن المظاهرات المتوقعة: "أطالب المثقفين بتوعية هؤلاء الشباب، فكيف لشاب أن يخرب وطنه؟" (الأمر الذي يثبت أن الخراب كان سابق التدبير لتلفيقه للشباب)، وقال أيضا: " الشباب ونزولهم للشارع ليس له أي تأثير والأمن قادر على ردع أي خروج والشرطة لن تتهاون معهم"، وعلى سبيل التخفيف قال: " لكن الداخلية ترحب باختيارالشباب لهذا اليوم للاحتفال مع الوزرارة بشهدائها ..لذلك سنسمح لهم بالتعبير عن آرائهم، وسنقوم بحمايتهم، ولكن لفترة محدودة" ..(قدرها المتظاهرون فيما بعد بـ ١٢ إلى ١٥ دقيقة، في الوقت نفسه كان طنطاوي يكرم قادة الجيش الذين أحيلوا للتقاعد، ويستقبل القيادات الجديدة التي اختارها القدر لتكون خير داعم للثورة.

اقتصاديًّا توقع ممثلو صندوق النقد الدولي ارتفاع معدل التضخم خلال الفترة المقبلة ودعوا إلى إلغاء دعم المنتجات البترولية؛ لأنه لا يصل إلى مستحقيه، بل يحصل عليه الأغنياء فقط، واعتبروا مصر من أسوأ دول المنطقة من حيث مستويات التعليم، وحذروا من ارتفاع عدد العاطلين إلى ٧.١ مليون بحلول عام ٢٠٢٠.

أما مركز دعم اتخاذ القرار في مجلس الوزراء، فقد صرح في هذا اليوم أن ٨٤٪ من سكان القرى المصرية يحتاج الفرد الواحد منها إلى

٥٠ جنيهًا شهريًا ليصل إلى مستوى «خط الفقر»، وقال إن تحسين نوعية الخبز وزيادة كميته كانا أبرز مطالب السكان، خاصة أنه الوجبة الأساسية لهم في وجبتي الإفطار والعشاء، اللتين تقتصران على الخبز مع كوب الشاي.

كان طبيعيًا أن نقرأ بعد ذلك تأكيد مجموعة من الخبراء والمتخصصين في أمراض الذكورة، أن نسبة الضعف الجنسي بين المصريين ارتفعت إلى ٦٤٪ بين الرجال (وهي الدراسة التي نفاها على أرض الواقع رجال مصر الذين تحرشوا جماعيًا بالنظام على مدى ١٨ يومًا).

وفي الوقت الذي أعلن فيه عن بدء نشاط البرلمان الجديد بدأت امتحانات الإعدادية في القاهرة، وجاء سؤال التعبير في مادة اللغة العربية قائلًا " عاشت مصر منذ فترة وجيزة مرحلة من مراحل تطور الديمقراطية، تمثلت في انتخابات أعضاء مجلس الشعب ٢٠١٠، على أي أساس تختار المرشح في دائرتك»؟

وقد نفت هيئة هيومان رايتس واتش ما جاء في سؤال مادة التعبير، إذ قالت في تقريرها المنشور في هذا اليوم

«رغم وعود بإنهاء العمل بقانون الطوارئ، إلا أنه تم تجديد العمل به مرة أخرى مع رفض الإفصاح عن عدد المعتقلين بموجب هذا القانون، لكن منظمات حقوقية تقدره بـ ٥ آلاف شخص، وانتقدت المنظمة استهداف رجال الأمن للمدونين والصحفيين الذين انتقدوا السياسات الحكومية، وكشفوا عن انتهاكات لحقوق الإنسان، واتهمت المنظمة مباحث أمن الدولة بإخفاء عدد كبير من السياسيين العام الماضي، وتورّط الشرطة في أعمال تعذيب وصفتها بأنها ممنهجة في الأقسام».

وبخصوص المظاهرات المتوقعة في يوم الغد قال بيان «شباب ٦ أبريل»، أنه ستنطلق في الغد مظاهرات في القاهرة الساعة الثانية

ظهرًا، وتنتهي في الخامسة مساءً أمام مبنى وزارة الداخلية، و«تم تحديد الشعارات والمطالب لهذه المظاهرات، والمتمثلة في رفع الحد الأدنى للأجور إلى ١٢٠٠ جنيه، وربط الأجور بالأسعار، وإلغاء الطوارئ، وإقالة وزير الداخلية»، وفي حزب الغد نشب خلاف بين أيمن نور، وجميلة إسماعيل، قال «نور»: إن المظاهرات لن تنتهي في اليوم نفسه، داعيًا إلى استمرارها عدة أيام حتى تأتي بنتيجة، بينما استبعدت «جميلة» أن يتحول يوم الغضب إلى ثورة، أو انتفاضة شعبية، وقالت: «مفيش ثورة شعبية لها موعد مسبق»، (وه النظرية التي حطمها المصريون فيما بعد).

فى المقابل أكد شباب حزب الوفد موافقة السيد البدوي، رئيس الحزب، على مشاركتهم في هذه المظاهرة بصفاتهم الشخصية (بعدها ظهر البدوي مساء ٢٥ يناير يعلن دعمه للمظاهرات)، بينما رفضت الطوائف القبطية الثلاث: الأرثوذكسية، والكاثوليكية، والإنجيلية دعوات المشاركة في المظاهرات والاحتجاجات قائلين: «هذه المظاهرات لا نعرف هدفها، أو من يقف وراءها»، (في الوقت الذي كان فيه شباب الأقباط يحمون المسلمين أثناء الصلاة في التحرير)، في المقابل استعدت حملة «مبارك أمان لمصر» لمواجهة المظاهرات بتعليق ٧٠ ألف بوستر للحملة في الشوارع، التي تنطلق فيها المظاهرات، مكتوب عليها ٢٥ يناير هو يوم «الوفاء للقائد والزعيم مبارك».

في الفن صرح صفوت غطاس أن حجم بيع مسلسل عادل إمام الجديد وصل إلى ١٠٢ مليون جنيه قبل أن يبدأ تصويره (هذا قبل أن يضع الثوار عادل إمام على رأس قائمة أعداء الثورة)، وفي الأدب (مشيها الأدب) نشر خبر عن صدور كتاب بالفرنسية "ماليبرتيه دو دونسيه" (حريتي في الرقص) تأليف الراقصة دينا بسعر ١٨ يورور، ويضمّ

صورًا لها ولأشهر الراقصات في الأماكن السياحية في مصر، ويتحدث عن أدق تفاصيل الرقص الشرقي (كانت الراقصات هن أجرأ من يتكلم عن الحرية في هذا الوقت ..بالبلدي وبالفرنساوي).

وفي الرياضة بينما الفيس بوك يدعو للثورة اهتم الأهرام بخبر تدشين صفحة "إحنا بنات أهلاوية جامدين على الفيس بوك" تضم ٣٥ ألف جامدة، أما الأهلي نفسه، فقد كان يحتفل بدخول أبو تريكة نادي المئة قبل أن يحتفل تريكة بالثوار في التحرير يوم جمعة التنحي، بينما كان الزمالك يعلن عن معاقبة شيكابالا لتغيبه عن التمرين قبل أن يدخل شيكابالا التاريخ بوصفه صاحب أول هدف رسمي بعد ثورة ٢٥ يناير.

كانوا في التحرير

هل ستصدقني إذا قلت لك إنني خلال الـ«١٨يومًا بتوع الثورة» التقيت في التحرير بكثيرين لم أكن أتوقع أن أراهم هناك؟ رأيت مجدي مهنّا يطالب الشباب بالثبات على موقفهم، ويدعم مطلبه بكشف أسرار لم نكن نعرفها عن فساد النظام السابق، رأيت يوسف شاهين يتفحص وجوه الثوار لاختيار واحد يصلح بطلًا لفيلمه الجديد «هيه ثورة»، رأيت الكابتن ثابت البطل يدير أحد مداخل الميدان، ويقوم بنفسه بتفتيش المارّين إلى الداخل، رأيت عاطف الطيب يتأمل شابًا ثوريًا أسمر انسالت دموعه تأثرًا بإحدى الأغنيات الوطنية التي كانت تبثها إذاعة الميدان، رأيته يقترب من هذا الشاب ليصافحه ويحتضنه، ثم رأيته يبتسم عندما اكتشف أن هذا الشاب هو أحمد زكي.

رأيت الدكتور محمد السيد سعيد يراجع مع الثوار بيانهم الأول، ويعيد ترتيب المطالب حسب أهميتها، رأيت محمود السعدني يشرح لشلة من الأولاد والبنات الأخطاء التي وقعت فيها ثورة يوليو حتى يتفادوها في الأيام المقبلة، رأيت بليغ حمدي وقد انتحى جانبًا بعوده يضبط أوتاره، وإلى جواره فؤاد حداد يملي عليه كلمات أغنية جديدة تقول: «ولا شهيد إلا وتمنى.. لو إنه شاعر ثم لو غنى»، ثم توقفا فجأة عندما بدأ السيد النقشبندي يؤذن لصلاة العصر، ظل الشيخ الغزالي والشيخ الشعراوي (يتعازموا مين اللي يصلي بالناس)، حتى اقترب أذان المغرب، فأمّ الجميع سليمان خاطر، صلينا في حماية د.يونان لبيب رزق الذي ما إن فرغت الصلاة حتى عاد لجمع شهادات الشباب لتوثيق الثورة.

بعدها رأيت سعاد حسني تقوم بإعداد ساندويتشات الجبن والحلاوة للمتظاهرين، وإلى جوارها جمال حمدان يشرح لها كيف تجلى الجزء المشرق في الشخصية المصرية داخل حدود الميدان، على مقربة منهما كان العالم سليم حسن يقف حراسة على المتحف المصري.

رأيت الكاتب محمود عوض ود.عبدالوهاب المسيري وهما يؤلفان بين وجهات نظر الطوائف السياسية المختلفة الموجودة في الميدان، والفنان محيي اللباد يرسم على وجوه الأطفال علم مصر بطريقته، وعلى مقربة منه أسامة أنور عكاشة يدخن على باب خيمته، ويضع لمساته الأخيرة على الحلقة الأولى من مسلسله الجديد «ليالي التحرير»، وفي الخيمة المجاورة كان الشاعر الفلسطيني محمود درويش يحل ضيفًا على رجاء النقّاش، وقد استلقيا على أقفيتهما من الضحك، بينما علاء ولي الدين يحكي لهما عن مغامراته مع الأمن المركزي في جمعة الغضب.

وحده كان د.مصطفى محمود يجلس شاردًا يشاركه التأمل في صمت نصر حامد أبوزيد، لم يقطع صفوهما سوى صوت صلاح جاهين، وقد التف حوله الشباب يغنون «واللي هيبعد من الميدان عمره ما هيبان في الصورة».

لا تصدقني.. هه؟ مش مشكلة، يكفيني أنني قد اقتسمت متعة مراقبة هؤلاء الكبار في صحبة صديق أحبه اسمه.. خالد سعيد.

تعالى نلضم أسامينا

لم يسبق أن شعرت من قبل بهذا الشغف المجنون لزيارة كل مدينة في مصر، أكاد أجن وقد ضيعت بعضًا من وقتي في اختيارات ساذجة عند السفر إلى (شرم، والغردقة، والساحل، وإسكندرية)، ألوم نفسي وقد انتصفت ثلاثينيتي قبل أن أدخن سيجارة على شاطئ رشيد الذي قهر الإنجليز، قبل أن أتذوق صيادية السوايسية، وأشاركهم غناء السمسمية، قبل أن أتوحد مع صحراء الواحات الداخلة والخارجة، قبل أن أقضي الليل مستمتعًا بأساطير حربنا ضد إسرائيل على لسان بدو «نخل» في قلب سيناء، الأقصر «الغزالة المحنية»، كيف لم أدع لها نفسي حتى تتحقق نبوءة فؤاد حداد، فنجدها (في إسكندرية ترسينا).

كيف فاتني أن أحضر صباحات المنزلة، وأن أقف وسط أصدقائي الدمايطة في عقر مدينتهم، طالبًا منهم تقديم دليل ينفي ما يشاع عن بخلهم، وأن أقضي الليل مع أصدقائي القناوية عند هويس نجع حمادي، كيف لم أكن موجودًا وبلبيس (بتلبس دبلتها)، كيف فاتني أن أمرّ على عمال المحلة؛ لأقول لهم إن مدينتهم أثبتت في ٦ أبريل أن الثورة مسألة وقت (بعد المحلة ما حلتها).

كيف تكاسلت عن حضور مولد سيدي إبراهيم الدسوقي في كفر الشيخ، أو مولد سيدي الفرغل في أبوتيج، أو سيدي أبوالمحاسن الشاذلي في صحراء البحر الأحمر أو سيدي أحمد البدوي في طنطا، كيف فاتني شرف أن أصلي في مسجد سيدي الغريب؟!

كيف أقول إنني مصري، ولم تبلل قدمي مياه رأس البر، وجمصة، وبلطيم، وبحيرتي البرلس والمنزلة؟ ولم أختبر حلاوة القرصة الدمياطي، أو طزاجة السمان البري في عزبة البرج، أو مزازة صينية السردين المشوي في فوّة، أو سلطنة قوالب السكر الجلاب في كوم

أمبو، أو فتنة طاجن ثعبان البحر في بورسعيد.

أنا المشتاق أن «أخدك يا منصورة في باطي» هل لي أن أقضي ليلتي في جزيرة الورد أستمع لقصائد وأغنيات أصدقائي هناك، أنا الذي أتيه فخرًا بأسماء مدن عاشت بطولات ولحظات تاريخية، هل سيسمح لي القدر بأن تطأها قدمي لأراها بعيني لا بعيون كتب التاريخ؟ .. القنطرة شرق، والقنطرة غرب، وإيتاي البارود، وبحر البقر، وأبوزعبل، وبورفؤاد، وبحيرة التمساح، والعلمين، وبورتوفيق، معلبات العصائر والمربّى التي طالما أنعشتني في الطفولة، وكانت تحمل اسمًا من اثنين (قها.. أو.. إدفينا)، هل يصح أن أكبر فأعرف أنهما اسمان لمدينتين في الدلتا، فلا أفكر في زيارتهما لرد الجميل؟!

هاموت وأزور مصر، أقولها من أبعد نقطة في قلبي وجاهز، شنطتي فوق كتافي، سجايري في جيبي، الكاميرا في الجاكيت، ولا تفهمني غلط بس أنا أي حد يقول لي تعالى دلوقتي.. هاروح، تعالى معي يا صديقي.. تعالى نلضم أسامينا.

كأنها ديانة جديدة (٧-٣-٢٠١١)

بعد خطاب التنحي بساعتين ظهر المخرج محمد دياب على الـ«بي. بي. سي»، وسألته المذيعة عن شعوره، فقال: «زي شعوري في أول مرة أحب، أو أول مرة ألمس فيها واحدة» وقتها سخرت من تعليقه، وقلت: «عايزين كلام أنشف من كده»، الآن أنا مدين باعتذار لدياب، وأؤكد أن الحديث عن الثورة يجب أن ينطلق الآن من هذه الأرضية.

الثورة فعل رومانسي، وفي الأيام الأولى خرج معظمنا وهو يحمل شحنة عاطفية أكثر منها سياسية، حتى هتافنا كاد أن يصبح قصيدة (حرية وعدالة اجتماعية)، أعتذر لدياب لأن الحديث عن الثورة حاليا أصبح أنشف مما ينبغي، للدرجة التي تجعل توجيه الاتهامات أسهل من توجيه الجماهير.

ستقول لي طب ودم الشهداء، اسمح لي حقهم لن يضيع وأحلامهم تتحقق بقوة، لكن ماذا عن علاقتنا ببعضنا البعض؟ لن يرضوا عنا الشهداء إذا اكتشفوا أنهم ماتوا لنتشاجر يوميًا على الـ«فيس بوك»، وشاشات التليفزيون بأداء مشجعي الكرة المتعصبين للدرجة التي طفشت كثيرين من أحضان الثورة وجعلتنا شعبين، لن يرضوا عندما يجدون الثوار لا يفرقون في العداوة بين حبيب العادلي، وطلعت زكريا (بالذمة ينفع الثورة العظيمة تعمل راسها براس ممثل كوميدي؟)، لن يرضوا ونحن نخون ما هتفوا به قبل أن يموتوا (الحرية)، لن يرضوا عنا الشهداء وكل واحد دلوقتي بيبدأ كلامه بديكتاتورية كلمة (المفروض)، لن يرضوا وهم يروننا نختزل الثورة في جلسات نميمة، لن يرضوا وهم يرون أن «الحتة الحلوة اللي فينا» اللي اتعملت بيها الثورة هي أول شيء يضيع بعد نجاح الثورة.

جزء من الثورة الآن في ملعب السياسة، هناك من يقوم بدوره في هذا الملعب، ونحن ندعمه بقوة، لكن خارج هذا الملعب نحن بحاجة لأن نتعامل مع الثورة، ونبشر بها كأنها ديانة جديدة ندعو لها بالحكمة والموعظة الحسنة والترغيب، ديانة تجب كل ما قبلها، بحاجة لأن ننقل للناس شعورًا بالأمان، وأن نساعدهم على أن يصدقوا أن الثورة تغير كل شيء للأفضل سياسيًا وإنسانيًّا، نحتاج أن نقول لمن يخشى الثورة إن مَن دخل بيته فهو آمن، ومَن اعترض على شيء فهو آمن، ومن لفت النظر لأخطاء فهو آمن، نحتاج أن نُلْهِم الناس حماس العودة لأعمالهم، ونُلْهِم البسطاء محبة البلد الذي تغير، ونلهم الثوار الفنويين أهمية أن يتظاهروا لتطهير مواقعهم لا من أجل ١٠٠ جنيه، نريد أن ننقل للناس رسالة مفادها أننا تعلمنا الدرس جيدًا، ونؤمن بأن النظام السابق سقط؛ لأنه كان يتعالى على معارضيه، وأن الأيام المقبلة هي الأجمل على الإطلاق حتى لو كنا سنتعب فيها «شوية زيادة»؛ لأننا سنتعب لأول مرة في حياتنا بمقابل.

لقد قدمت لنا الثورة ٢ مليون جيفارا.. لكنني سأعتبرها خرجت من حيز ميدان التحرير إلى مصر كلها عندما تقدم لنا صلاح جاهين واحد.

أكرر اعتذاري لدياب، وإن كنت أود أن أسأله: «أنت حسيت بإيه بالضبط في أول مرة تلمس فيها واحدة»؟

«مواطن ومخبر وحرامي» (٨-٣-٢٠١١)

أثناء مشاهدتي لقطات موقعة أمن الدولة كانت هناك جملة واحدة تتردد في عقلي: «كنت متأكد.. كنت متأكد.. بس كنت شاكك»، بالرغم من أنها جملة لعمرو عبدالجليل من «كلمني شكرا»، فإنه رويدًا رويدًا أكتشف أن حياتنا في ظل النظام السابق يمكن تلخيصها في عنوان واحد: «مواطن ومخبر وحرامي».

لا تخف على الثورة أو تخاف منها، لكن احذر اثنين: الإعلامي الذي يقول إن الثورة «مباركة»، فربما يكون من أذيال النظام، وربما يكون تأنيث اسم الرئيس إشارة للبدء في حرق أي ملفات أو فرمها، واحذر «حسن كاميرا»، هذا الرجل الأسمر ذو الزبيبة المنتفخة في جبهته، الذي يطل عليك من أي مكان تتواجد فيه كاميرا تليفزيون، حسن هو رمز لكل من يفكر في الركوب على أكتاف الثورة، رأيته خلال الثورة في تقارير عن الاعتصامات وأغنيات وطنية وفواصل، وأخيرًا مع الإخوة المسيحيين الذين تظاهروا اعتراضا على أحداث أطفيح أمام التليفزيون منذ يومين.. وبالرغم من كل هذه الزبيبة فقد وقف أمام الكاميرا محشورًا بينهم، وهو يصرخ: «حرام اللي بيعملوه فينا ده».

احذرهما، لكن قل شعرًا في (السويس)، تلك المدينة التي كانت سببًا رئيسًا في انهيار الداخلية

واختفائها.. كانت هي أول من أعاد الداخلية للشارع بكل احترام، وإن كان البعض قد شككني في مبادرة عودة الشرطة القائمة على (شعب + شرطة + عالم دين + اعتذار علني + قسم جديد)، فالسويس العظيمة أثبتت لي (أنه ينفع)، منذ بدأت الثورة، وأرى ما يحدث هناك.. هو الصوت، ونحن الصدى، وحتى يومنا هذا مازالت السويس قادرة على أن تتفاعل مع الثورة بطريقة تلمس القلب، وتثير المشاعر.. أكاد

أجزم أن مفعول الغاز المسيل للدموع مازال قائمًا هناك.

أنا شخصيًا لو لم أكن صعيديًا لتمنيت أن أكون سويسيًا.

قل شعرًا.. لكن لا تقع في فخ الربط المباشر بين الثورة والسياحة، فالعالم الذي تخشى أن ينفض من بين يديك سياحيًا يرسل لك قادته ليزوروا ميدان التحرير، قارن بين مشهد وزير خارجية فرنسا في الميدان يترجل بلا حراسة، ومشهد معبد الكرنك وقد أخلاه النظام السابق لساركوزي وصديقته، حتى يتبادلا فيه القبلات، ولا تنفعل عندما تسأل: «هيه الناس دي ليه بتروح التحرير تاني؟»، فهو دليل على أنك لم تذهب إلى التحرير أولاني.. فالذهاب إلى التحرير حاليًا قد يكون ظاهره النضال، لكن باطنه الراحة التي يجدها أي واحد منا في مسقط رأسه.

لا تحزن على إلغاء معرض الكتاب، فقد ترك لنا أمن الدولة كميات من الملفات تحت شعار «القراءة للجميع»، ولتشكر الله على أن الشعب استعاد ملفاته التي كان أمن الدولة يضطهده بها.. كده مش فاضل غير الـ«سي ديهات» اللي عند سيادة المستشار.

الاتحاد والنظام والعمل (٩-٣-٢٠١١)

أرجوك لا تشغل نفسك بأفكار بعيدة عن الموضوع الذي سأفاتحك فيه اليوم، وهو «القرارات التي اتخذتها ثورة يوليو في شهورها الأولى»، لا تقل لي إن الزمن غير الزمن، والثورة غير الثورة، أو إن ثورة يوليو هي السبب فيما نحن عليه الآن، لا تشغل بالك في البحث عن النوايا المستترة خلف هذه القرارات، ما بين يديك الآن أفكار مجردة، تعال نفكر أن نقتبس منها ما يليق بثورتنا، ويتسق مع احتياجاتنا في هذه المرحلة.

١. أذاع القائد العام بيانًا دعا فيه الهيئات والمؤسسات والأحزاب إلى تطهير صفوفها من الفاسدين، وذيول الفترة السابقة.

٢. طلب القائد العام من كل الأحزاب السياسية الموجودة على الساحة أن تقوم بإعلان برامجها المحددة بطريقة سهلة وواضحة حتى يتعرف الشعب على وجهة نظر كل حزب.

٣. صدر مرسوم بقانون ينص على العفو الشامل عن الجرائم السياسية التي وقعت في مصر في التاريخ ما بين توقيع معاهدة ٣٦ وقيام ثورة يوليو.

٤. صدر مرسوم بشأن فصل الموظفين غير الصالحين للعمل، وإلحاقهم بالوظائف التي تتناسب مع حقيقة إمكانياتهم، وكان الجيش هو أول من طبق هذا المرسوم، وبناء عليه أحيل إلى المعاش نحو ٤٥٠ ضابطا، وتم إلحاق أعداد كبيرة منهم بوظائف إدارية.

٥. صدر قانون بتخفيض إيجارات المساكن التي أنشيءت قبل ١٠ أعوام بمقدار ١٥٪، تيسيرًا على المستأجرين.

٦. صدر مرسوم بقانون بإنشاء مجلس دائم لتنمية الإنتاج القومي في كل المجالات الاقتصادية بعضوية الكفاءات في كل المجالات المختلفة.

٧. قرار وزاري بأن تكون السيارة المخصصة لكل وزير سيارة شعبية يتم استخدامها في حدود التنقلات المهنية.

٨. دعوة المواطنين إلى المساهمة في مشروع (معونة الشتاء) الذي يهدف إلى التبرع بالملابس لإعانة الفقراء على برد الشتاء.

كان الشعب كريما فلم يكتف بالتبرع بالملابس، بل تبرع ماديًّا بما قيمته ٤٠ ألف جنيه خلال أسابيع.

٩. الدعوة لمشروع «الشجرة»، بحَثّ المواطنين على غرس الأشجار كل في منطقته، وكذلك تشجير جانبي النيل من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال.

١٠. صدور مرسوم بإنشاء (محكمة الغدر) يحاكم أمامها المسؤولون عن جرائم استغلال النفوذ، سواء كان موظفًا عموميًّا، أو عضو برلمان، أو أي شخص كان مكلفًا بخدمة عامة، والعقوبة هي الحرمان من الحقوق السياسية، والحرمان من تولي الوظائف في الشركات، ورد الأموال التي تحصّل عليها من طريق غير شرعي.

١١. البدء فورًا في مشروعات قومية، فكان (مشروع كهربة خزان أسوان، ومشروع الحديد والصلب)، ولتمويل هذه المشروعات أعلن عن مشروع (قطار الرحمة) لجمع التبرعات من جميع أنحاء البلاد، وقد شارك في هذا المشروع الخيري الذي دعم اقتصاد البلد في هذه المرحلة عدد من كبار الفنانين والفنانات والكتاب والرياضيين.

١٢. صدور مرسوم بإنشاء وزارة (الإرشاد القومي)، وقد أسندت إلى واحد من خيرة مثقفي عصره (فتحي رضوان)، وكان أول قراراتها اختيار عنوان عريض يعمل الشعب كله تحته بتعميم شعار للعهد الجديد من ثلاث كلمات: (الاتحاد والنظام والعمل).

عندما فشلت الثورة (١٠-٢-٢٠١١)

مسيرات تأييد كبيرة بعرض البلاد وطولها تطالب بمبارك رئيسًا لمصر مدى الحياة.. مجلس الشعب يستجيب لإرادة الشعب، ويمرر المادة (أم ٤٤) التي تجعل مبارك رئيسًا «مش» مدى حياته هوّ.. لأ مدى حياة مصر.

القبض على بتوع التحرير بتهمة محاولة قلب نظم الحكم، ويتم الحكم عليهم وهم في سيارة الترحيلات بالإعدام.. استغاثات يستجيب لها الرئيس، فيخفف الحكم إلى مؤبد وسط عاصفة من التهليل لرقة قلبه، بعدها يتم العثور على جثث المتظاهرين، والعادلي يقول إنهم ماتوا من الفرحة.

تغيير لقب تامر حسني من «نجم الجيل» إلى «عم الجيل»، والرئاسة تنتج بالاشتراك مع السبكي فيلم طلعت زكريا الجديد «ريس الطباخين».. نجاح سماح أنور في انتخابات مجلس الشعب عن دائرة الدقي، وأمن الدولة يمرّر للصحف القومية الملفات التي تثبت أن البرادعي حول فيلته إلى معصرة للنبيذ، وأن إبراهيم عيسى تاجر آثار، وأن زويل المستشار العلمي لتنظيم جيش الإسلام الفلسطيني، وأن وائل غنيم هو «اللي حدف الطوبة بتاعت ماتش زيمبابوي»، وأن شباب ٦ أبريل سبق أن وردت أسماؤهم في قضية عبدة الشيطان، وأن التحرش الجنسي الجماعي الذي حدث في العيد الكبير كان تحت قيادة شباب «كفاية»، وأن سمير عمر مراسل الجزيرة هو «اللي أخد رشوة المرسيدس»، وأن علاء الأسواني هو المؤلف الحقيقي لفيلم «بون سواريه».

إعلان السويس محمية طبيعية، وتهجير كل سكانها إلى عزبة الكيلو «أربعة ونص»، في الوقت نفسه يتم إعلان «نزلة السمان» منطقة حرة، والعملة المتداولة بها هي الدولار والسماح لسكانها بإقامة سباق دولي للجمال والبغال.

أحمد عز يأمر بإعدام كل أعضاء فرقة طيبة الموسيقية وعلى رأسهم حسين الإمام، ويفوز بمناقصة لتحويل ميدان التحرير إلى أكبر ورشة خراطة في الشرق الأوسط، ويقود حملة لتغيير السلام الوطني من «بلادي بلادي» إلى «سيخي طوله كام»، العادلي يقترح تحويل يوم ٢٥ يناير إلى «العيد القومي للبرنس»، وسيتم إجبار الشعب فيه على النزول للشارع بالبرنس البمبى (بالنسبة للإناث)، والأبيض بالنسبة للزملكاوية.

إلغاء العمل بـ«قانون الطوارئ» على أن يتم العمل بـ«الطوارئ» دون قانون، ويتم افتتاح أمانة جديدة داخل الحزب الوطني اسمها «أمانة البلطجة»، تهدف إلى الاستفادة من خبرات بلطجية مصر في دعم الحزب، وتسند الأمانة إلى «سيد زرجينة»، بعد يومين يتم العثور على سيد زرجينة مذبوحًا في فيلا بـ«مدينتي»، ويتم إسناد الأمانة إلى «حمادة كُخة»، أول اقتراحات «كُخة» هو منح وسام الجمهورية للخواجة «كنتاكي»، وتكريم مخترع «الترامادول».

تقنين العمل على الفيس بوك بحيث يكون متاحًا ٣ أيام أسبوعيًا من الثالثة فجرًا حتى موعد أذان الفجر، مع تقديم موعد أذان الفجر ليصبح في الثالثة والربع، ويتم إلزام كل مواطن بإيداع نسخة من باس وورد البروفايل بتاعه في إدارة مباحث الديجيتال، ويحظر إقامة أي جروب إلا بموافقة المجلس الأعلى للصحافة، ويعاقب بالجلد كل من يثبت امتلاكه حسابًا على تويتر، ويحظر مونتاج، أو إذاعة أي كليبات على اليوتيوب إلا بموافقة أنس الفقي.

تبدأ ولاية مبارك الجديدة، وأمناء الشرطة يقيمون استعراضًا بهذه المناسبة يطلقون خلاله كميات من الرصاص المطاطي، والقنابل المسيلة للدموع، فيقع معظمهم صرعى، ومبارك يحتسبهم من الشهداء

لا قدّر الله

في البداية أود أن أعتذر للأصدقاء الذين انزعجوا من عنوان المقال السابق «عندما فشلت الثورة».. أنا شخصيًا لم أحبه عندما رأيته مطبوعًا، فوضع كلمة «فشل» إلى جانب كلمة «ثورة» كان غير مريح، لذلك جعلت للحلقة الثانية عنوانًا جديدًا برجاء اعتباره استكمالًا للعنوان السابق.

الحلقة الثانية (والأخيرة) لعبت فيها دور المحرض فقط، لكن الأفكار التي ستقرؤها هي أفكار لأصدقاء أعزاء ساهموا في كتابتها، طرحت السؤال على «الفيس بوك» بعد منتصف الليل (ماذا لو فشلت الثورة لا قدر الله؟!) وجاءت الإجابات كما يلي:

«كنا هنلاقي ناس كتيرة جدًا طالعة بتقول: (أنا من يوم ٢٥ يناير وأنا بايت في ميدان.. مصطفى محمود)».

قال أحد الأصدقاء الذي شارك في قيادة إحدى اللجان الشعبية: «كنت هاكمل عمري من غير ما اتعرف على جيراني في العمارة».

«بدل أغنية حمادة هلال (شهداء ٢٥ يناير راحوا في أحداث يناير) كنا سنستمع لأغنية (أستاذ جمال مبارك ابن الريس مبارك)».

وقال صديق: «كنا هنفضل عايشين على ذكرى الأهرامات وجون حمص في إيطاليا، والدقيقتين بتوع ماتش البرازيل وجون مجدي عبدالغني في كأس العالم اللي بيذلنا بيه لحد دلوقتي».

بالنسبة للوزراء أبوالغيط في مؤتمر صحفي: «مش قلت لكم احنا غير تونس؟!»، منح العادلي قلادة النيل، أحمد زكي بدر بدل ما هيحول المدارس تجريبي كان هيخلي البلد كلها تجريبي، بطرس غالي يفرض ضريبة جديدة، وهي ضريبة إنك لسه عايش في مصر، كانوا هيلغوا

يوم الجمعة.. هيبقى خميس سبت على طول، ماتشيت الأخبار «ضبط ٨ ملايين من مثيري الشغب»، شعار مؤتمر الحزب ٢٠١١ «علشان تبقى تعمل راجل تاني».

وقال آخر: «كان المستشار مرتضى منصور هيطلع السي ديهاية بتاعت مارك ذكربرج مخترع الفيس بوك».

وقال أحدهم: «كان محمود سعد هيشتري كل بيجامات العالم بالتسعة مليون اللي كان بيقبضهم، ويقعد يغير فيهم في البيت».

وقال صديق: «بعد تنحي مبارك لأسباب صحية وتولي جمال كان سيخرج علينا علي الدين هلال، قائلًا: «هرمنااا هرمنااا لنصل إلى هذه اللحظة التاريخية».

بخصوصي أنا «كان المقال ده زمانه بيتكتب على ورق جرايد قديم جوا المعتقل على ضوء شمعة من بواقي دهن اللحمة بتاعت يوم الجمعة.. أمير الانتقام»، أو كنت هاختفي للأبد بعد انتشار لافتة «مبارك طير أنت».

وقالت صديقة: سيظهر شعار جديد «ارفع راسك فوق لما تشوف حلمة ودنك».

ورد صديق بشعار آخر كنا سنراه «أنا هانتخبك يا ريس حتى لو دمي سال.. ولو أنت ماترشحتش هانتخب ابنك جمال».

بالنسبة للفن (تامر حسني يقدم لنا أغنية «كدهوه» ردًا على أغنية محمد منير «إزاي»).

وبالنسبة للرياضة «أمن الدولة كان هيشارك بفريق في الدوري.. اسمه (اتحاد الملفات)».

بالنسبة للعالم العربي «كانوا الليبيين هيصرفوا نظر عن الثورة».

وبالنسبة للبرلمان «فتحي سرور يضع على مجلس الشعب لافتة الدخول للوطني فقط، ويجبر الأعضاء على تغيير صفتهم يا وطني يا كوتة».

أنا شخصيا ظللت طول الليل أنتظر إجابة بعينها، وعندما فقدت الأمل ظهرت هذه الإجابة تتهادى أمامي بثقة وشموخ وبساطة.. «لو كانت الثورة مانجحتش.. كنا هنعمل ثورة تاني».

مطلوب من عبود الزمر (١٤/ ٣/ ٢٠١١)

أفهم جيدًا أن يتم اعتبار الإفراج عن عبود الزمر من منجزات ثورة يناير، بما أنه أنهى فترة عقوبته منذ عشر سنوات، ووُجد رهن الاعتقال طوال الفترة الماضية ظلمًا، وبلا أي سند قانوني، وأفهم جيدًا أن هذا الرجل يستحق الاحترام، كونه ثبت على مبدأ طوال هذه الفترة الماضية، على الرغم من كل ما تعرض له من تنكيل، وأفهم أن الإفراج عنه هو إعلان لبدء عصر سيادة القانون، وأفهم أن هذا الرجل يحق له أخيرًا أن ينام ليلته هانئا بين أفراد عائلته، ولكن.. ما مبرر الزفة التي تم استقباله بها؟

بصراحة.. لا أفهم ما كل هذه الحفاوة التي استقبل بها الإعلام رجلًا اشترك في اغتيال رئيس الجمهورية الأسبق؟

لم أصدق أذني، عندما سمعت الزمر يقول للزميل خيري رمضان في "مصر النهاردة" إنه سيذهب في صباح اليوم التالي لزيارة المجلس العسكري! .. يا نهار أسود!.. هذا الرجل قتل قائد حرب أكتوبر أمام كل رجال الجيش، وفي حضور كل عناصر القوات المسلحة (أرجوك نحِّ جانبًا رأيك الشخصي في السادات كرجل سياسة، ودعنا نتفق على المبدأ نفسه)، وكيف يمكن للدكتور عصام شرف أن يستقبل في مكتبه شخصًا اعتمد على التصفية الجسدية كطريقة لإبداء وجهة نظر سياسية مختلفة؟

كيف يسمح الإعلام لعبود الزمر بأن يُمرّر وجهة نظر تقول إن الثورة حدثت كما كان يرغب خالد الإسلامبولي؟ (طيب بالنسبة لبكير وبنونة وبسيوني ومحروس وحسين طه اللي كانوا طالعين بيقولوا: سلمية سلمية، وماكنش في جيوبهم طلقة مسدس صوت.. دول موقفهم إيه؟ وهل كانوا امتدادًا لرؤية وحلم الإسلامبولي؟).

هي الثورة. هتخلط الورق ببعضه كده ببلاش؟ هي الثورة معناها أننا نتعامل مع شخص تجلت عبقريته في التخطيط لجريمة قتل، وكأنه رمز جديد للثورة، لمجرد أنه كان سجينًا سياسيًّا في العصر السابق؟ أفهم جيدًا أن نتعامل بهذا المنطق مع المهندس خيرت الشاطر؛ لأنه صاحب مشروع سياسي لم يعتمد العنف يومًا ما، أفهم أن نحتفل جميعا بالشاطر (حتى لو اختلفنا معه سياسيا)؛ لأنه عارض وقاوم الفساد دون أن يطلق رصاصة واحدة، لكن هل يستوي الشاطر بمن قال عنهم الله: «ومن يقتل مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنم».. سورة النساء؟

من حق الزمر أن ينعم بحريته بحكم القانون، لكن كيف سننسى أن عبود الزمر (ربما دون أن يقصد) كان سببًا في وصول مبارك للسلطة؟ كيف اختلطت الأمور فصار أول المتسببين في كل ما عانينا منه خلال الثلاثين عامًا الماضية، شريكًا في الثورة ومبشرًا بها وضيفًا على الشرفاء الذين أنهوا هذه المأساة؟

ننتظر من الزمر أن يعلن اعتذاره عن قتل مواطن مصري؛ لأنه اختلف معه سياسيًّا.. أنت لم تذق على يد السادات ما ذقناه على مدى ثلاثين عامًا، ومع ذلك لم نطلق رصاصة واحدة، وغيّرنا كل شيء ونحن لا نحمل في أيادينا سوى الكمامات وزجاجات الخل.. الشارع تغير يا شيخ عبود، وطريقتك في العمل السياسي مرفوضة، ولا بديل عن الاعتذار عن القتل، حتى لا يلفظك شارع الثورة سياسيًّا وفكريًّا.

وحتى تقدم اعتذارك مالكش عندنا غير جملة واحدة من ثوار خرجوا ينادون بالحرية إلى مواطن مدين لهم باستنشاق هذه الحرية: «حمداً لله على السلامة».

"نعم" مشروطة.. "لأ" قلقة.. طب وبعدين؟! ١٥ / ٣ / ٢٠١١

ضبطت نفسي سعيداً وأنا سهران أتنقل بين مقالات ولقاءات المفكرين السياسيين بحثًا عن الحقيقة، سعيد لأني شعرت فجأة بأن صوتي يوازي في القوة والأهمية صوت الـ ٨٠ مليونًا، أنا الآن أؤمن بأن صوتي سيكون فارقاً مع مصر كلها، أنا الذي عشت عمري أتحاشى انتخابات مجلس اتحاد ملاك العمارة اللي أنا ساكن فيها، وأخترع الحجج للهروب منها، أقضي الأيام السابقة والمقبلة قلقًا تحت وطأة الشعور بالمسؤولية، أدقق النظر في مقالات المعتز بالله عبدالفتاح، متأملًا إيجابيات التصويت بـ"نعم"، قد أجد عنده ثغرة يسدها فورًا محمد سليم العوا، قبل أن يقلب عمرو الحمزاوي مائدة الأفكار المنصوبة في عقلي، طيب البرادعي بيقول إيه؟ بلاش البرادعي أحسن يكون رأيه مرتبطًا بترشيحه لانتخابات الرئاسة، طيب تجربة البرازيل كانت إيه في كتابة الدستور؟

طب الحق بيقولك الإخوان بيقولوا نعم للتعديلات، طب هات كده تاريخ إيران نشوف عملوا إيه بعد الثورة، طيب خد لينك المقال ده لحسن نافعة، طب الحق افتح التليفزيون.. أحمد كمال أبوالمجد عامل مداخلة مع «مصر النهاردة»، باقول لك إيه: اعمل شير لمشروع الإعلان الدستوري اللي عامله هشام البسطاويسي في «الوفد»، خُد بالك فلول «الحزن الوطني» بيقولوا: نعم للتعديلات.. الله! ما هو ده برضُه نفس كلام الإخوان ؟ مصطفى ابن خالتي بيقول عايز استقرار وعايز عجلة الإنتاج تدور، لكن خالتي نفسها ترى أن الترقيع يصلح لبنطلون بيجامة ولا يصلح لمستقبل بلد، جوز خالتي بقى شايف إن المهم ماحدش يقاطع الاستفتاء، سألت عم محمود البواب فقال لي: يا أستاذ عمر أنا مع الثوار طول ما أنا باروح الفرن ألاقي عيش.

المؤيدون والمعارضون «مسحولين» في حب البلد هذه الأيام، من يقولون "نعم" يخشون عليها من دوام الانفلات الأمني ومخاطر الفتنة الطائفية وانشغال الجيش بالحياة المدنية في ظروف حرجة، ويرون في بدء الانتخابات خطوة إلى الأمام يستحقها هذا الوطن، ويرون أن التصويت بـ"لا" سيقودنا إلى المربع صفر من جديد، والمعارضون يرون أن الصياغة غير دقيقة وخالية من أي ضمانات ومليئة بثغرات قد ندفع ثمنها في أي وقت، واحتمالات خلق ديكتاتور جديد واردة، واحتمالات إقصاء أي قوى سياسية غير «الإخوان» وفلول «الوطني» واردة، ولا ضمانات لشكل مجلس الشعب الذي سيصيغ الدستور، ودستور ٧١ الديكتاتوري لم تصدر له شهادة وفاة رسمية حتى الآن.

المعارضون والمؤيدون يستيقظون ليلًا على صرخة واحدة «طب إيه اللي يضمن ؟». معظمنا يقول "نعم" أو "لا" خوفًا من الاختيار الثاني أكثر من إيمانه باختياره الأول، وتلك هي المشكلة.. مطلوب من المجلس الأعلى قليلًا من الصبر، وإجراء الحوار الذي وعد به لتقييم التعديلات قبل طرحها للاستفتاء، فالتعديلات بها ثغرات يسهل سدها وتحتاج لضمانات يسهل إضافتها.. الموضوع مش كيميا!

سيادة الجيش.. ما ينفعش تقول لي: فيه ثورة مضادة، وتترك لنا ثغرة بعرض التعديلات، لا أطلب منك أن تنحاز لأحد الطرفين، لكن أرجوك أن تراجع التعديلات بالشكل الذي يجعل من يقول "نعم" أو "لا" يقولها من أقصى أعماق قلبه.

سيادة الجيش.. هو أنت مصعبها علينا كده ليه؟

لأه.. تي راراراه.. لأه (١٦-٣-٢٠١١)

لأن لجنة التعديلات والجيش لا يستمعان للحلول الوسط التي طرحتها القوى المختلفة لتحقيق أفضل مكاسب ممكنة؛ لأنهما لا يستجيبان لتعديل بعض المواد التي تقابل برفض عام، ويضعاننا في خانة التصويت على التعديلات بالجملة.. سأقول "لا".

لأنني لا أثق في أحد ثقة كاملة إلى النهاية، وأريد أن أعرف الآلية التي سأحاكم بها رئيس الجمهورية قبل أن أنتخبه، وقبل أن يشرف هو شخصيًّا على إعداد دستور قد يغفل هذه النقطة، أو يصيغها بشكل مطاطي.. سأقول "لا".

لأنني أثق أن شرف "خير أجناد الأرض" سيحول بين الجيش وبين أن يتناسى وعده بتسليم السلطة إلى مدنيين إذا ما طال قليلًا اشتراكه في الإشراف على إدارة شؤون البلاد حتى تنهض بشكل سليم.. سأقول "لا".. (وإذا كان الجيش قد فعل هذا في ثورة ٥٢ فلأنه كان يؤمن بأنها ثورته، أما الآن فالكل -وأولهم الجيش- يعلم أنها ثورة الشعب). لأنني أثق تمامًا أن التصويت بـ"نعم" للهروب من مأزق الحديث حول المادة الثانية، واتقاء شر الفتنة، هو مجرد تأجيل لها، فالفتنة أجدر بأن يتم علاجها الآن؛ لأن تأجيل مواجهتها سيحولها إلى خلايا سرطانية تسري في جسد البلد ببطء إلى أن نصحو يومًا على كارثة.. سأقول "لا".

لأنه من مصلحتي ومن مصلحة الإخوان المسلمين أيضا أن أعرف بوضوح هل ستظل جماعة محظورة أم أنها ستتحول لحزب سياسي، ولأنني أريد أن أعرف كيف سيتم تنظيم موضوع الأحزاب وعلاقتها بالأديان.. سأقول "لا".

لأنني لا أعرف من هم أعضاء مجلس الشعب المقبلين حتى أطمئن لقدرتهم على صياغة الدستور، ونحن نعلم جميعًا كم حفلت البرلمانات السابقة بالفاسدين والأميين والمتعصبين والترزية والمحتكرين ولاعبي القمار.. سأقول "لا".

لأنني لا أريد أن أترك الأمور للمصادفة والحظ والنصيب، لأنني أريد أن أعرف "راسي من رجليا" قبل أن أخطو خطوة للأمام، لأنني أريد أن أتخلص من فوبيا «ايه اللي يضمن» التي تلتصق بالتعديلات أيًّا كانت نتيجة التصويت عليها.. طالما كده أو كده «إيه اللي يضمن» يبقى "لا" أحسن، ونشوف حلًّا ثالثًا.

لأنني أؤمن بأن إعلانًا دستوريًا مؤقتًا قد يكون أكثر وضوحًا وشفافية من تعديلات بلا ضمانات كافية يسهل خرقها أو التحايل عليها أو هدم كل ما بني عليها بدعوى قضائية من محام مغمور.. سأقول "لا".

لأنني أعرف أن كلمة "نعم" تبدو الاختيار الأسهل، لكنني أؤمن بأن العالم يخطو للأمام، ويرتقي تحت سحر كلمة "لا".. سأقول: "لا".

لأنني أحلم بدستور عابر للأجيال والانتماءات والرؤساء والبرلمانات يليق بالفكر الذي فرضه الجيل الجديد على شارع السياسة في مصر، مع كامل احترامي لكل الأجيال السابقة، ولأنني أحلم بدستور ثوري يعدنا بالبلد الذي نحلم به بكل دقة، بكل وضوح، بكل جرأة.. سأقول "لا".

لأنني لا أفهم كيف يعترف المجلس العسكري بوجود ثورة مضادة تسري في أنحاء البلد، ثم نقوم في هذه الأجواء بانتخاب برلمان ورئيس.. سأقول لا.

لأنني أؤمن بأنه في حالة إجماع الإرادة الشعبية على كلمة «نعم» سأكون أول من يحترم ويبارك اختيارها، على أن أبذل أقصى جهد في دعم إيجابيات هذا الاختيار ومحاربة سلبياته.. سأقول لا.

لأنني مقتنع بنظرية «وجع ساعة ولا كل ساعة» أكثر من نظرية «خسارة قريبة، ولا مكسب بعيد».. سأقول لا.

دقت ساعة العمل الثوري (٢٢-٣-٢٠١١)

بعد الكلام عن أن الاستفتاء كان أعظم يوم في تاريخ مصر، والشعب أثبت أنه عم العالم وكل هذا الكلام الذي مللت حضرتك من سماعه واللي مش هاعرف أعيده تاني لظروف المساحة (أنا من الكتاب اللي مالهمش تتمة، مع كامل نفسنتي على بلال فضل) هادخل في الموضوع وش.

أؤمن تمامًا بأن الإخوان لم يتجاوزوا، وده جواب نهائي، أنت لو رايح الصين مضطر تتكلم صيني، والإخوان تكلموا مع الناس باللغة التي يفهمونها، الإخوان تكلموا مع الناس أصلًا.

أما معظم المثقفين المعارضين بتوع لأ، فقد «اتكلموا مع بعض» في ندوات ومناظرات ومقالات أكثر مما تكلموا مع الناس مباشرة.

إذا كنت مطربًا وهناك مطرب آخر أنت لا تؤمن به لكنه يحقق نجاحات تفوقك فلا يصح أن تتهمه بالتجاوز، بل الواجب أن تعرف لماذا يهتم به الجمهور أكثر منك، وأخطر ما في الأمر أن تتعالى، وترى أن المطرب منافسك كسب هذا الجمهور؛ لأن الجمهور جاهل وظروفه صعبة.

بلاش..

عندك شخص يمكن أن تكسبه بحقيبة مواد تموينية، ظهر منافسك فقدمها له، هل ستلوم منافسك؟ على الأقل هو سد احتياج هذا الرجل، وقدم له خدمة حقيقية دون أن يضمن ولاءه كاملًا (لم يمنحها له بوصل أمانة مثلًا)، هل ستلوم الشخص المستفيد؟ لن يسمعك؛ لأنك تبيع له كلامًا فقط، طيب.. ما المانع أن الحقيبة التي يقدمها المسجد يقدمها الحزب أيضًا؟ هو إحنا ليه هنتعالى على احتياجات الناس؟

بلاش..

عندك شخص يسهل على إمام مسجد قريته أن يقنعه بأن التصويت بـ«نعم» هو تصويت للإسلام بإمارة الدائرة الخضراء، والتصويت بـ«لا» هو تصويت للمسيحية، بإمارة الدائرة السوداء رمز ملابس القس، هل فكرت أن تذهب يومًا لهذه القرية في صحبة عالم دين مستنير، هل بذلت جهدًا – غير الجهد الشفوي – في تقريب وجهات النظر بين الطرفين؟!

المهم..

قد تعتقد أنني «مش مبسوط»؛ لأنني كنت أقول لا، صدقني أنا مبسوط بخطوة للأمام، لكنني أكره المبالغة، انتهى عصر الزيطة والزفة الدمياطي، فرحتي بالاستفتاء تشبه فرحتي بطفل ينطق حروفه الأولى بكل ما فيها من «لعثمة وتفافة» .. فرحان بيه لكنني سأرقع زغروطة عندما يبدأ هذا الطفل في تكوين جملة مفيدة.

خُد بالك أن ٦٠٪ من الشعب كان يعتقد أن ما يجري في البلد هو حلقة جديدة من «إديني عقلك»، فلم يشارك في الاستفتاء، ودول أمرهم سهل، المصيبة أنه في لحظة اختيار سهلة جدًّا (نعم أو لا) ببطاقة رقم قومي كان فيه أكثر من مائة وعشرين ألف مواطن أصواتهم باطلة.. يعني إديني عقلك فعلًا!!

الخلاصة ..

لا خوف على الثورة من أي فصيل سياسي، فالثورة اختارت رمزًا لها (الميدان) الذي تصب فيه شوارع كثيرة، أتحداك أن تجد شارعًا واحدًا يستطيع أن يحتوي كل هذا الزخم بمفرده، وإذا كنت تشعر في قرارة نفسك بأن الجيش ربما يكون ميالًا لطرف بعينه.. أهو الجيش ماشي يا سيدي خلاص، وما كنت تحلم بتغييره في فترة طويلة صرت ملزمًا بتغييره في ٦ أشهر فقط، الأمر الذي يجعل العمل شيقًا ومثيرًا للتحدي، لكن قبلها يجب أن نعترف بأن القاعدة التي تقول: (المذاكرة وبعدين الامتحان) حطمها الاستفتاء، حيث إننا خضنا الامتحان أولًا.. ودلوقتي المفروض إننا نبتدي نذاكر.

الحبيب المجهول (٢٢-٣-٢٠١١)

من حقي أن أحلم بالرئيس الذي يناسب طموحاتي كمواطن.. كل الاحترام لأنصار الضمير، وكل الاحترام لأنصار الكاريزما، أنا أريد «ضمير عنده كاريزما».

من حقي أن أحلم برئيس أفرض أنا عليه البرنامج الانتخابي، ولا أنتظر حتى يتفضل هو بعرضه، أنا صاحب العمل الذي ينشر إعلانًا يقول فيه «مطلوب رئيس جمهورية»، لابد أن يفهم جيدًا أنه منذ هذه اللحظة «هو اللي بيشتغل عندي».

مطلوب رئيس جمهورية خريج جامعة مصرية، ومقاه مصرية، ومواصلات عامة، ومستشفيات حكومية، على ذراعيه آثار لسعات قنديل البحر، وتطعيم الدرن، و«قرصة» الأم المصرية في لحظات عنفها الجميل.. نريده شخصًا طبيعيًّا استعار كتابًا ومارجعوش، ولم يتزوج من الفتاة التي أحبها لكنه أحب من تزوجها، جرّب الفقر دون أن يتلف هذا كرامته، لابد أن يكون خاض تجربة القسط لمرة واحدة على الأقل في حياته، وأصيب بتسمم من أكلة كبدة وسجق على العربية، تعرض للنشل أو للنصب، وتورط في مشاجرة مع أبناء شارعه ضد آخرين، لجأ في لحظات إحباطه لمقام ستنا السيدة نفيسة، يحفظ جملًا من حوارات الأفلام الكلاسيكية التي تربينا عليها، كتب أشعارًا ساذجة في مراهقته، وكان أهله يعتمدون عليه في شراء الخبز واللبن.

مطلوب رئيس متعصب كرويًّا، يعرف أسعار علبة الدخان، وتذكرة المترو وكيلو الطماطم، وسعر الدقيقة من فودافون لفودافون، لديه هواية ما (إن شاالله صيد السمك)، أصوله من الأقاليم، لديه (بلد) يسافر إليها في الأعياد والجنازات، ولهجته بها مسحة خفيفة من لهجة البلد الأم، معانا على الموجة يعرف جيدًا الأسماء التي يشعر معها الشعب

-على اختلاف أمزجته- بالونس بداية من «بهاء طاهر» ونهاية بـ«بهاء سلطان»، ويتواصل مع الجميع، كل بطريقته، بداية من «الفيس بوك» ونهاية بـ«الفيس تو فيس».. لا يتحدث إلينا بالعامية ولا بالفصحى، ولكن بالعامية الفصيحة، يستشهد في كلامه بآيات وأشعار.. نسمع فنتعلم، كلماته تغني عن أي أبواق تتحدث باسمه، نريد رئيسًا كلما تكلم ترك في وجداننا جملًا مأثورة بها خلطة الذكاء والحماس.

كلماته حلول لا وعود، تطل من خلفه دائمًا وجوه نثق فيها تفهم وتدعم وتنصح، يمتلك أفكارًا ذكية وبها ألمعية مثل أن يجعل وزارة الزراعة هينة في قوة وميزانية وزارة الدفاع.. أن يتبنى فلسفة الدفاع عن البلد بوزارة الزراعة أصلًا، به نزق الثوار.. يمتلك جرأة إعادة النظر في كامب ديفيد واتفاقيات الغاز، وجرأة إصدار قرار بتحويل ملاعب الجولف التي تستهلك مياهًا كثيرة إلى مزارع قمح، والتلويح باستخدام القوة في أزمة مياه النيل، وسحب السفراء إذا ما مسّ أحد كرامة المصريين المقيمين بالخارج.

أريد رئيسًا «عن حب» قبل أن يكون عن «انتخابات»، لا يصبغ شعره، ويكره رابطات العنق، ولديه جرأة أن يصلي العيد مثل كل المصريين بجلباب أبيض، أريده عادلًا مستنيرًا يؤمن بديكتاتورية الإرادة الشعبية ويفخر بخضوعه لها، إذا خاصم كان شريفًا في خصومته، وإذا انحاز فللمظلومين والفقراء، أريد رئيسًا إذا امتدحته ارتبك، وإذا انتقدته انتبه، لا يتحاشى الشوارع التي أسير أنا فيها، ولا أتحاشى الدموع إذا هو انتهت ولايته أو مات.

هيّ فوضى (٢٨-٣-٢٠١١)

كان أول قرار بعد الثورة هو إلغاء وزارة الإعلام، ولا أفهم كيف تقوم ثورة في أزهى عصور «الميديا»، وهي لا تمتلك «ميديا» خاصة بها؟ لن أقول إننا بحاجة لوزير إعلام بالمفهوم الخبيث للمنصب، لكننا على الأقل بحاجة لهيئة بميثاق شرف إعلامي تلزم به الجميع وتضعنا في خدمة مشروع قومي.

ميثاق شرف إعلامي ثوري يقضي على الفوضى الإعلامية التي تربك الناس، ويحدد كل شيء بداية من مواعيد العمل.. كيف يعلن الجيش يوميًا عن حظر تجوال من الساعة الثانية عشرة بينما نرى كل يوم برامج الـ«توك شو» مستمرة حتى الواحدة والنصف صباحًا بضيوفها، بمذيعيها، بفنييها؟ .. مبدئيًا إذا كان الإعلام نفسه غير ملتزم بحظر التجوال فشيمة أهل البيت الفوضى. لن أقول إن الميثاق سيحدد الأشخاص الذين يظهرون على الشاشات، ولكن يقضي على ثغرات من نوعية منع ظهور البرادعيِ على التليفزيون المصري، ومنح عبود الزمر الفرصة للظهور على الشاشة نفسها ولو بمداخلة تليفونية.

ميثاق يحدد ضوابط للعمل بحيث لا ينحاز الأشخاص للسبق الإعلامي، والإثارة، ومناقشة أفكار نصف قوامها هلوسة على حساب الأمن النفسي للمواطنين.. ميثاق يعالج الناس من أمراض «سمعت»، و«بيقولك»، و«كانت مكتوبة على النت».

ميثاق يروّج للثورة فيوجه طاقات الثوريين، ويناقش من يناصب الثورة العداء، بدلًا من أن يهددهم مثلما فعل الدكتور شرف، (ما الفرق يا دكتور بين تهديدك هذا وتهديد الشيخ يعقوب للي مش عاجبه البلد داعيًا إياه للرحيل؟).. ميثاق يوجه أصحاب الاعتصامات الفئوية بدلًا من قهرهم.. أنا شخصيًا أنحاز إلى كل من يثور في مكانه لتطهيره من

الفساد، وأؤمن أن هذه الثورات الصغيرة بحاجة إلى توجيه ليصبح هدفها أنبل من زيادة في الراتب.. بحاجة لأن نقنع الناس بأن القضاء على الفساد سيأتي لهم بأضعاف ما يحلمون به، لكن زيادة ٢٠٠ جنيه مقابل الإبقاء على الإدارة الفاسدة في مكانها هي فساد من نوع جديد.

بحاجة إلى ميثاق إعلامي ثوري يضع مصلحة الثورة في المقام الأول، ويقينا شر فكرة استخدام الإعلاميين والكتاب وضيوف البرامج للثورة من أجل خدمة مصالح ما، أو تصفية حسابات شخصية.. ميثاق يرحمنا من النضال التليفزيوني الذي حوّل الثورة إلى وصلات ردح وطني.. ميثاق عمل إعلامي يتكفل بمهمة محو أمية الشعب السياسية، كيف تمنح الناس اختيارات للتصويت، ومعظمهم لا يفهم الفرق ليصبح الاستفتاء في النهاية مجرد «غزوة صناديق»؟ من الذي سيساعد هؤلاء الناس على حسن اختيار من سيمثلهم في البرلمان، أو في انتخابات الرئاسة؟

ميثاق عمل إعلامي يلهم الناس، ولا يجعلهم «ياخدوا جنب»، يشرح لهم إن ما نراه حاليًا هو فوضى (تدعونا إلى العمل)، وليس ثورة مضادة (تدعونا إلى الخوف)، ثورة مضادة إيه؟ هذه الثورة لم تبدأ وتنته في أنصاص الليالي مثل ثورة يوليو.. لقد استمرت هذه الثورة لمدة ١٨ يومًا في الشارع، واجهت خلالها النظام السابق وهو في عز جبروته.. حاولوا إجهاض الثورة بالأمن، والبلطجية، والحوار، وتقديم التنازلات، والجمال، والحرب الإعلامية، والتشويه، والتخوين، وفتح السجون، وترويع الأهالي، والسرقة والحرائق والتحرش.. حاولوا كثيرًا على مدى ١٨ يومًا وفشلوا، ثورة مضادة إيه اللي بتتكلموا عنها دلوقتي.. كانوا نفعوا نفسهم وهمَّ لسه في الحكم

!...

حدث بالفعل (٢٩-٢-٢٠١١)

(١)

أرسلت إدارة المدرسة في طلب صديقي والد عمر (٦سنوات)، قالوا له إن (عمر) أصاب أحد زملائه، ويريدون منه أن يعالج الأمر ويضمن عدم تكراره.

في البيت سأل صديقي ابنه عما حدث فقال له: «كنا بنلعب»، سأله عن طبيعة اللعبة فقال: «بنقسم نفسنا أربع مجموعات، الشرطة، والبلطجية، والجيش، والشعب، في الأول الشرطة بتضرب الشعب، وبعدين الشعب بيضرب الشرطة، وبعدين الشرطة بتجري تستخبى، والبلطجية بيهجموا على الشعب، وبعدين يظهر الجيش، ويقبض على البلطجية، وبعدين نروح عاملين مظاهرة نقول الجيش والشعب إيد واحدة».

سأله صديقي عن الإصابة التي لحقت بزميله، فقال له عمر: «أصله كان تبع الشرطة»، سأله: «أمال أنت كنت إيه؟»، فقال له: «أنا كنت الشعب طبعًا»، سأله: «اشمعنى؟»، فقال له «علشان الشعب هو اللي بيكسب في الآخر دايمًا».

(٢)

هي واحدة من حفيدات أحد أهرام الفن في مصر، تمتلك شقة في الزمالك لكنها لا تقيم بها، منذ أسبوع ذهبت بالصدفة لزيارة هذه الشقة فوجدتها قد تعرضت لسرقة نسبية، كانت هناك أشياء غير موجودة، كانت متأكدة أن البواب هو الذي قام بالسرقة، فتوجهت بمنتهى الثقة إلى قسم الشرطة للإبلاغ عما حدث.

استدعى الضابط البواب، واستمع إلى أقواله، بعد قليل فوجئت هذه السيدة بالضابط يصرف البواب من القسم بعد التوقيع على أقواله.

اندهشت السيدة واعترضت على أداء الضابط، فقال لها: «قبل ٢٥ يناير كان ممكن أجيب البواب من قفاه وأحجزه يومين ياخد فيهم واجب الضيافة بتاعه، ويتوضب التوضيبة التمام، ويدلنا على مكان الحاجات المسروقة من غير حتى لا محضر ولا حاجة، بس دلوقتي الوضع اتغير، والسيناريو ده مابقالوش وجود».

قالت له السيدة: «صحيح إن هيه ديه المعاملة اللي كنا بنحلم بيها.. بس وبعدين؟»، فقال لها الضابط: «هنشتغل بوليس بجد.. بالقانون».

استأذنت السيدة في الانصراف، لكن الضابط استوقفها قائلا: «معلش هتشرفينا خمس دقايق ناخد أقوالك.. البواب مقدم فيكي بلاغ إنك اتهمتيه بالسرقة وشهرتي بيه بدون دليل».

(٣)

على المقهى كنت أجلس في انتظار صديق، لفت نظري الحوار الدائر على المنضدة المجاورة، رجلان في الخمسين، قال الأول: «يا أخي مع إن الثورة دي كنا بنحلم بيها من زمان، وكنا عايزين الناس دي كلها تغور.. بس الواحد مش عارف يفرح وبقى متوتر ومكتئب طول الوقت».

كنت متحمسًا لسماع رد صديقه، وكنت أتوقعه عزفًا للحن نفسه، لكنه قال: «كان فيه واحد عيان لمدة ٣٠ سنة ومحجوز في المستشفى، وفي يوم جه دكتور جديد، وقال له: مبروك أنت خفيت تقدر تخرج من ساعتها والمريض بيدور جواه على أمراض جديدة.. يوم يحس إن عنده رجل أطول من التانية، ويوم يحس إن صدره بيزيق، وكل ما يقولوا له اخرج يقول لهم طب افرض خرجت وجاتلي غيبوبة سكر في الشارع، أو افرض جاتلي أزمة قلبية قبل ما أوصل للبيت، طب ما يمكن المرض لسه موجود بس مش باين، الراجل فضل على الحالة دي لحد ما مات.. خوفه من العالم الجديد اللي هيخرج ليه خلاه ما يصدقش إنه خلاص.. خف».

الإخوان المصريون (٣-٤-٢٠١١)

عندما خرجت ثورة يناير، كان شعارها يلخص كل الرسالات السماوية.. حق البشرية في «الخبز، والحرية، والعدالة الاجتماعية»؛ كل ما تحلم به الثورة سبق أن حلم الأنبياء بتحقيقه، وجاءوا من أجله (الرحمة، والعدل، والمساواة، والتضامن الاجتماعي، والتسامح، والنزاهة، والشرف، والرقي الفكري والإنساني)، يبدو الكلام عن ثورة يناير في هذه اللحظة على أرضية دينية.. طيبًا.. فما خلاف البعض إذن مع من يلعبون السياسة من أرضية دينية؟

هو نفسه خلافنا مع الشرطة، كانت مشكلتنا مع الشرطة (بعد استثناء شرفائها) في البدلة الرسمية، مشكلة مع مَن يرتدي البدلة، لا ليمارس عمله، ولكن ليقهرني.. ليفرض عليَّ وصاية، ويقتنص أفضلية لا يستحقها لمجرد أنه لابس البدلة (كان المصريون بذكائهم الفطري عندما يشعرون بأن الضابط أو الأمين يقهرهم دون وجه حق كانوا يقولون له: «أنت متحامي في البدلة.. طب إقلعها وأنا أوريك»)، وهو ليس خوفًا من البدلة قدر ما هو احترام لمن يصون شرفها، المشكلة نفسها عندي مع من يرتدي «اللحية» ليقهرني أيضًا، «متحامي» فيها، وهو لا يملك أمارة عليها، مع كامل احترامي وإعجابي، وشعوري بالونس والرقي في رفقة من يحترمون لحاهم، حيث إنها نبتت من أقصى أعماق قلوبهم، ولم تنبت من تحت السطح الخارجي لبشرتهم.

عندما تبدأ كلامك معي في السياسة بسم الله فأنت تقفل علي الباب لأي مناقشة، فأنا أؤمن تمامًا بكل ما يقوله الله، لكنني لا أؤمن بحضرتك، وأخشى كثيرًا من فكرة أنك تختار زاوية ضيقة جدًا لفهم كلام الله، وإن اختلفت معك أخشى أن تستسهل فتضعني في خانة أنني أختلف مع كلام الله، سأستمع لك في خشوع تام، إن كنت عالمًا، عندما تتحدث معي في كل ما يخص العبادات، والتفاسير، وعلوم التوحيد، لكن في السياسة

اسمح لي مضطرًا أن أناقشك وأختلف معك.

بالفطرة المصرية ستجدني عندما أناقشك في السياسة، وإدارة شؤون الحكم والقوانين، أضع ما يرضي الله مرجعية لأفكاري بكامل اختياري، فلا تضعها أنت سيفًا خشنًا على رقبتي، إذا كان الاجتهاد في علوم الدين والفتوى يحتمل الخطأ (وللمخطئ ثواب الاجتهاد)، فما بالك بالأمور الدنيوية التي هي محض فكر بشري، ألم يمنحنا سيدنا النبي رخصة «أنتم أدرى بشؤون دنياكم» عندما استشاره أحدهم في زراعة محصول ما، فقدم له سيدنا النبي مقترحًا ثبت خطؤه فيما بعد، فأقر لنا النبي بأننا أدرى بهذه التفاصيل؟!

لأن الدين أرقى من السياسة، ولأنه غير منطقي أن تلوح بالآخرة بينما أنت تسعى لمكاسب دنيوية بحتة، ولأن محبتي لشيخي أرقى وأصفى من حبي لكل الزعماء الذين مروا في تاريخ مصر، ولأن خطأ السياسي الديني لن يتم تحميله على السياسي ولكن على الدين، ولأن رجل الدين يجب أن يكون أسمى من أي طموحات دنيوية - لكل هذا أؤمن بأن قضية الخلط بين الدين والسياسة هي مجرد كمين فكري يشغلنا عما هو أخطر.. الخلط بين رجال الدين، ورجال السياسة.

زملكاوي مضاد (٤-٤-٢٠١١)

تفننت البرامج الرياضية في التأكيد على أن ما حدث في استاد القاهرة (موقعة الجلابية) ثورة مضادة، وده مش جمهور الزمالك، ودول مش المصريين، لأ معلش.. إحنا المصريين لم نتخلص من الغوغائيين، وجمهور الزمالك عظيم لكن مش كلهم ملايكة (أنا زملكاوي بالمناسبة، الأمر الذي يؤكد جزئية إن مش كلهم ملايكة) وسبق لجمهور الزمالك في عز أزهى عصور الاستقرار أن اقتحمت مجموعة منه مقر النادي الأهلي، وحطموا، وكسروا، وأثاروا الذعر، وفي أزهى عصور الديمقراطية، وفي ماتش كرة سلة بين الأهلي والاتحاد نزل جمهور الأهلي إلى أرض الملعب، وسحلوا لاعبي الاتحاد، وخربوا الدنيا.

أحدثك عن وقائع عمرها أشهر قليلة، لو حدثت اليوم، لأكل العقيد عمر عفيفي عليها عيش للصبح، أصبح البعض يؤمن بأن من شروط الإيمان بثورة يناير الإيمان بوجود الثورة المضادة.. كل الاحترام لمن يرى ذلك، لكنني أرى أن «حجة البليد مسح التختة»، وأرى أن تحميل الأخطاء التي تحصل من حولنا على الثورة المضادة هو تسمية للأشياء بغير أسمانها.. ما مبرر أن أقول إن ما يحدث هو ثورة مضادة، بينما هو في حقيقة الأمر فوضى، وانفلات أمني، وقلة شفافية، وسوء تخطيط؟ «دون ذكر أسماء.. وكل واحد عارف هو عمل إيه».

بعد ماتش الذهاب ظهر تصريح لإبراهيم حسن يدعو فيه جمهور الزمالك إلى أن يرد على حركة نزول مشجعين تونسيين لأرض الملعب (فين المسؤول اللي يعاقبه على تصريح من هذا النوع؟!)، منذ أيام تنتشر على الـ«فيس بوك» صور لمعرض الشماريخ التي ينوي جمهور الزمالك استخدامها في المباراة، مصحوبة بتعليق من نوعية: «هنخليه استاد الجحيم»، (هيه الجهات المسؤولة بتدخل على الـ«فيس بوك» علشان تحط بيانات بس؟).. مدير الاستاد يقول دخل الاستاد في العاشرة

صباحًا مجموعة مسلحة، ولم نستطع أن نتعامل معها (طب مابلغتش الجيش ليه حضرتك؟)، أنا شخصيًا ذهبت إلى الاستاد، ومن أول البوابة حتى وصلت إلى مقعدي لم يسألني أحد عن تذكرة أو كارنيه، أو حتى أنت رايح فين.. في المقابل الداخلية واقفة في الاستاد تتفرج.

الناس التي نزلت إلى الملعب ليست مندسة، بل جاهلة، ولو كانت مندسة كان أولى بها أن تطعن أي شخص بالسلاح الذي تحمله حتى تصبح الفوضى مرعبة، منهم من كان يحلم بأن تطأ قدمه أرضية استاد القاهرة وقد جاءته الفرصة، وهو متأكد أنه لا أحد قادر على إيقافه.. ناس على درجة من السذاجة أن يقفوا ليلتقطوا صورًا لأنفسهم بالموبايل وهم بيترموا في المرمى على الفاضي زي عبدالواحد السيد (ربنا يسامحه)..

منهم من طارد حازم إمام ليأخذ منه فانلته، ومنهم من كان يحلم بأن يلمس شيكابالا بأصبعه ليتأكد أنه بني آدم عادي زيّنا.. لا تقل إن شخصًا ترك الباب الأصفر مفتوحًا للمندسين، فلن أصدقك لأنني رأيت المئات يقفزون من فوق الأسوار، من كل جنبات الملعب، لكن قل لي إن الأجواء العامة كانت حماسية جدًّا لدرجة أبهجت العقلاء، وأثارت جنون المغفلين.

لدينا وقائع واضحة، فلماذا لا أحمل كل شخص حقيقي موجود ملموس مسؤوليته بدلًا من إلقائها على أشباح؟

هذا بالنسبة للشغب، أما بالنسبة لمستوى الزمالك، وعبقرية الخطة والتشكيل فأنا أحب أن أقول لهم بالنيابة عن الجمهور: «حرام عليكم ارحمونا.. لقد هرمنا.. هرمنا».

(في أعقاب وقائع مباراة الزمالك والأفريقي التونسي الشهيرة بـ«موقعة الجلابية»).

عدسة الثورة (٦-٤-٢٠١١)

في الوقت الذي يبذل فيه البعض جهدًا مضنيًا ليظهر في كادر الصورة الكبيرة التي التقطتها عدسة الثورة، ستجد عدسة الثورة قد اختارت أناسا رغمًا عنهم لتضعهم في منطقة مميزة داخل الكادر.

اختارت الثورة مثلًا شهداءها، خرج الملايين لكن العدسة طاردت هؤلاء تحديدًا، وجعلتهم في مقدمة الكادر، أنا شخصيًا لا أعترف بأي ائتلاف إلا ائتلاف شهداء ثورة يناير.. إنهم الوحيدون الذين أدوا مهمتهم كما ينبغي، هم الوحيدون الذين وضعوا نهاية محكمة لقصة حبهم للوطن، مروا في حياة من يعرفهم كالحلم، لكنهم أصبحوا واقعا في حياتنا، إن مدرسة واحدة تحمل اسم شهيد واحد ستخلد أكثر من مرشحي انتخابات الرئاسة، والبرلمان، ومنظري الثورة، وحماتها، والراكبين عليها.

أما اللواء محمود وجدي فقد انتهت مهمته الرسمية منذ سنوات، وبدأت الثورة وهو يجلس في منزله يتابعها عبر الشاشات مثل كثيرين، لكن عدسة الثورة طاردته وخلدته في الكادر. ستتأكد من كلامي عندما تمر مع صديق لك بقسم شرطة فيقرأ اللافتة الموجودة بعرض بوابته فيسألك: هو مين اللي رجع شعار «الشرطة في خدمة الشعب»؟ ساعتها ستقص عليه حكاية الوزير الذي قضى أيامًا في منصبه، وخرج دون أن يقدم شيئًا، فقد حاول أن يعيد الأمن لكن الظروف لم تساعده فأعاد الشعار.

عندك اللواء عمر سليمان، وهو رجل أمن عالي المستوى كنا نتمنى أثناء نظام مبارك أن يدخل في الكادر لنراه نائبًا للرئيس، أو مرشحًا للرئاسة، كانت للرجل كاريزما، وكان يشرف على جهاز لم نسمع عنه، للأمانة، أي تجاوزات كالتي كنا نسمعها عن جهاز أمن الدولة، كانت له محبة ما في قلوبنا في الفترة التي كدنا نفقد فيها الأمل في حدوث أي

تغيير، لا أعرف من أين أتينا بيقين أنه سيكون أفضل من مبارك؟ لكننا كنا نرى فيه أملًا وخلاصًا.

ظهر سليمان أيام الثورة لكن الوقت كان قد تأخر، وكان سقف الطموحات الثورية قد تجاوز هذه المرحلة، لم يقدم سليمان خلال هذه الفترة شيئًا، لكن عدسة الثورة كان لها رأي آخر.. فهذا الرجل الذي خسر كل شيء في لحظة خلدته العدسة في منتصف الكادر تمامًا، عندما اختاره القدر لمهمة إلقاء خطاب التنحي، ستظل هذه اللحظة للأبد مرتبطة باللواء عمر سليمان، لقد دخل تاريخنا كشعب بطريقة لا مجال فيها للمجاملة، أو النفاق، أو حتى الهجوم عليه..

سيذكره التاريخ بأنه الرجل الذي ظهر ليخبرنا بأننا أولًا نمر بظروف عصيبة، وبناء عليه قرر الرئيس التخلي عن جميع مناصبه (منتهى النذالة أنه يسيبنا عشان بنمر بظروف عصيبة.. يعني مش عشان الشعب عايز كده)، في اللحظة التي بدأت مصر تكسب فيها نفسها كان هذا الرجل يخسر كل شيء إلا ارتباطًا شرطيًا بين اسمه، وبين كل لحظة سعيدة ستعيشها مصر في السنوات المقبلة.. سيذكره التاريخ بأنه الرجل الذي قص الشريط.

كانت هذه اللحظة معرضة لأن تمر مرور الكرام، لولا أن المصريين قاموا بتثبيتها لأيام طويلة يتأملونها - ليس حبًا في مضمون اللحظة، ولا حبًا في عمر سليمان - ولكن حبًا في الراجل اللي ورا عمر سليمان.. الوحيد الذي ثبتت الثورة عليه عدستها وهي تبتسم.

يشتري له كبير (١١-٤-٢٠١١)

لأن الثورة مالهاش كبير.. تبدو الناس على وشك أن تقع في بعضها، كل واحد منا يحب مصر من وجهة نظر مختلفة، لكن ولأننا لا نمتلك في هذا الوقت مرجعية نحتكم إليها في تقييم الطريقة التي يجب أن نحب بها البلد، فقد استسهل البعض نفي الآخر بتكفيره سياسيًّا.

لأن الثورة مالهاش كبير.. أصبحنا جزرًا منعزلة لا نتجمع إلا يوم الجمعة، وبنهاية النهار نتفتت من جديد.. كم ائتلافًا، ومجلس أمناء، ومجلس حكماء، ومجلس آباء وأحزاب، وتقاوي أحزاب.. «من أنتم» على رأي جارنا المختل، ومن الذي يمنح صكوك الحديث باسم ثورة شعب أوضح ما فيها شهداؤها، وأنبل مَن فيها يعودون دائمًا إلى بيوتهم دون أن نعرف أسماءهم (كل مَن يذهب إلى التحرير، ولا يرتاح للموجودين يقول لك دي مش وشوش ٢٥ يناير.. هذه ثورة وجوه مألوفة، لا أسماء معروفة).

لأن الثورة مالهاش كبير.. هناك خلل ما في إدارة الكنز المسمى ثورة يناير.. الفريق كله يلعب في مركز رأس الحربة.. طيب فين صانع الألعاب؟ .. البلد كله مشغول فقط بالمحاكمات، وتصفية الرموز القديمة.. وهي أشياء مشروعة، ومن ضمن أهداف الثورة.. لكن الثورة لم تقم فقط لتصفية الحسابات.. أفهم أن يتفرغ البعض للقضاء على ذيول الماضي، ويتفرغ البعض الآخر لرسم ملامح للمستقبل، لكن لا أفهم أن نهدر طاقتنا الذهنية والنفسية في أشياء تعود علينا بمكاسب معنوية فقط، (كلنا نحلم بمحاسبة الفاسدين، لكن مواطنًا بسيطًا يرى أن محاكمة صاحب فرن بلدي يبيع الرغيف أبوشلن بربع جنيه، ستعود عليه بالنفع أكثر من محاكمة زهير جرانة.. ما المانع أن نقوم بالاثنتين معا).

لأن الثورة مالهاش كبير.. الارتباك يسيطر على الأجواء، مَن يُحَكِّم عاطفته نره عميلًا يستحق الإعدام دون بذل أقل مجهود لتنويره، ومَن يُحَكِّم عقله نراه جبانًا مصابًا بمتلازمة استكهولم، مَن يسخر من أصحاب الرأي الآخر أصبح بطلًا في عيون البعض (مع أننا اتشالنا واتهبدنا علشان مبارك اتَّريق على المعارضين، وقال: خليهم يتسلوا)، أمارة الثورية أصبحت الاستعلاء على أي وجهة نظر أخرى، وركوب الموجة أصبح أسهل من شكة دبوس، تقييم أي شيء مليء بالسطحية، العنف أصبح عشوائيًا.. عنف في مهاجمة التيارات الدينية، وعنف مقابل من التيارات الدينية في مهاجمة الجميع الأحياء في البرامج التليفزيونية، والأموات في الأضرحة، المكلمة مفتوحة ٢٤ ساعة وكأنها جلسة عزاء حريمي، وهذه ليست المشكلة.. المشكلة أن هناك كثيرين بيفتوا.

لأن الثورة مالهاش كبير.. لم تشهد كل هذه المليونيات صندوق انتخابات واحدًا يختار مجلس قيادة للثورة.

لأن الثورة مالهاش كبير.. فشلت كل هذه الائتلافات في إقناع مجموعة متحمسة بعدم لي ذراع الأغلبية بالاستمرار في الاعتصام، وانحازت هذه المجموعة «عمياني» لضباط لا نعرف حقيقتهم، هم محقون في انحيازهم لكل من لديه مشكلة مع السلطة، ولكن الثورة لا تمتلك ضوابط لتحديد من الذي يستحق كل هذا التعاطف.. لأن الثورة مالهاش كبير.. يسهل اختراقها بأقل مجهود.

المجلس الأعلى ينفي الاعتداء، ويعد بالتحقيق.. ولكن لأن الثورة مالهاش كبير سنقع في كمين أن الجهة التي ستحاسب هي الجهة المتهمة أصلًا.

تساؤلات حول طلعة شرم ١٢ / ٤ / ٢٠١١

طلعة شرم هذه المرة ليست سهلة كطلعة أصدقاء سيقضون يومين، ما بين محاولات فاشلة لاكتساب لون برونزي على الشاطئ، وهي محاولات تنتهي بأن الواحد يعود جلده محروقًا، كطفل قضى المصيف في جمصة، مع رحلة سفاري سريعة في الصحراء تعود منها بصورة لك وأنت ملثم فوق البيتش باجي، لتضعها كصورة لحسابك على الـ«فيس بوك»، وأكلة سمك عند فارس بعد طول انتظار في الشارع لحد ما تفضي ترابيزة داخل المحل، وبراد شاي مع شيشة في مقهى يدعي أنه مقهى بدوي مع أن كل العاملين فيه من شبرا.

الطلعة هذه المرة ثورية تستهدف مبارك، لذلك تهاجمني أسئلة كثيرة: الضباط المكلفون بحراسة مقر إقامة مبارك هل ستتم محاسبتهم بقوة إذا أطلقوا النار على من يريدون اقتحام المقر، أم ستتم محاسبتهم إذا لم يطلقوا النار عليهم؟ طيب.. في حالة تبادل إطلاق النار من الذي سيتم اعتباره شهيدًا.. من حاول اقتحام المقر ليثأر للشهداء، أم من حاول الدفاع عنه باعتباره مات وهو يؤدي عمله؟ طيب.. إذا استطاعت هذه الحشود أن تدخل المقر دون أن تحدث اشتباكات، وفوجئنا عند دخولنا بأن مبارك شخصيًا يجلس في الريسبشن في انتظار الضيوف.. كيف ستكون المواجهة؟

يعني هل ستفوض الحشود أشخاصًا بأعينهم للتحدث إلى مبارك، وللقبض عليه، أم أنه سيتم دهسه تحت الأقدام؟ طيب.. كيف ستتعامل الحشود مع سوزان مبارك إذا كانت موجودة إلى جوار زوجها في هذه اللحظة؟ طيب.. افرض علاء وجمال اتصلا بالبوليس ليحميهم، واستجابوا لهم، هل سنقع مع البوليس من جديد؟ طيب.. إذا خافت الشرطة من التعامل مع كل هذه الأعداد.. هيأمنوا ماتشات الدوري إزاي؟

طيب.. إذا وصلنا إلى مبارك هل هنرجع بيه في الأتوبيس معانا ونسلمه للنائب العام ليطبق عليه القانون، أم أننا سنعقد له محاكمة في خليج نعمة، ونصدر حكمًا بالإعدام، وننفذه هناك ونخلص؟ طيب.. إذا كانت الطلعة هدفها الوصول إلى مبارك لتقديمه إلى المحاكمة، وهو أمر استقر عليه المتظاهرون.. إذا تمرد أحدهم على هذا الاتفاق (مثلما تمرد البعض على إنهاء المظاهرات)، وقرر أن يطعن مبارك طعنة تودي بحياته، هل ستتم محاكمة كل هؤلاء البشر بتهمة القتل أو التحريض عليه، أم سيتم اعتبارهم أبطالًا ثأروا للشهداء؟ طيب.. إذا تمت مهمة تسليم مبارك للنائب العام بسهولة ودون عنف، وطلعت في دماغ البعض بعد نجاح المهمة أن يكملوا الزحف إلى تل أبيب.. هل يوجد أحد بين الثوار قادر على إيقافهم، أم أن ائتلافات الثورة ستدعم مطلبهم الثوري؟

بلاش الزحف.. إذا تصادف أن عثر الشباب على سائحين إسرائيليين، وقرروا احتجازهم كرهائن، لوقف العدوان على غزة، هل من المفترض أن نفرح (باعتبار أن معظمنا قضى ليالٍ أمام المنفذ حتى تسمح السلطات بدخول المعونات إلى غزة؟)، أم من المفترض أن نقلق (باعتبار أن البلد مش ناقصة هذه الأيام)؟

طيب.. لماذا لا نسمع رأي الكبار المرشحين لانتخابات الرئاسة في هذه الطلعة؟ ما رأي الدكتور البرادعي، أو عمرو موسى، هل يريان هذه الطلعة في مصلحتنا أم لا؟ وإذا كانا يؤيدانها فما البرنامج المقترح للرحلة؟

طيب.. بلاش ده كله.. افرض رحنا شرم، واكتشفنا أن مبارك مش هناك أصلًا.. هنعمل إيه؟

ما تدّيهم كلمتين يا أيمن ١٣/ ٤/ ٢٠١١

تتعرض الثورة لكمية محترمة من الشتائم، لا أعرف إن كانت الناس اللي بتشتم فاهمة هيه بتقول إيه وتقصد الشتيمة أم أنها بتستسهل؟ يعني إذا كان هناك شخص يسير في الشارع، واتشنكل وقع على وشه لا يقوم ليقول لنفسه «حصل خير» لكن يقف يقولها بصوت عالٍ «آدي يا عم اللي خدناه من الثورة»، على أساس إن الشوارع قبل الثورة كانت ناعمة حرير يمكن أن تمارس عليها رياضة التزلج؟

هاتجنن.. يوم ماتش الزمالك والأفريقي، وأثناء خروجي من المقصورة كان السباب للثورة جماعيًا «شوف الثورة عملت إيه؟ .. منكم لله يا بتوع التحرير».. طبعًا هذا بخلاف مخرج قناة مودرن سبورت، التي كانت تبث المباراة، وظهر صوته واضحًا بشدة، وهو يحرّض المذيع قائلًا: «مش همّا دول شباب الثورة.. ما تدّيهم كلمتين بقى يا أيمن»، والصراحة أن أيمن المذيع ماكدّبش خبر، وعمل اللي عليه، بعدها أذاع «شلبوكة» - في عز مدحه للثورة - أكثر من عشر مرات كليبًا قصيرًا به شخص يهتف «ولا يوم من أيامك يا مبارك.. دي ثورة كلاب».. «شلبوكة» خاف على أكل عيشه، وقال - رغم المشهد اللي شايفه - «لازم الدوري يرجع، لأنه لو مارجعش هيتخرب بيتنا»، (وهي حقيقة مقارنة بأجره).. كنت أتوقع منه سببًا غير شخصي، ولم يخذلني، فقال: «لو الدوري مارجعش.. أي حد عايز يعمل أي حاجة هيعملها»، خوف «شلبوكة» على أجره جعله يهذي بكلام غير مفهوم.. يا إما حد يشرحلي الجملة اللي فاتت دي معناها إيه؟

المهم اصطدت عند خروجي واحدًا من هؤلاء الذين سبّوا الديانات كلها للثورة، فسألته: «إيه العلاقة بين الثورة وبين الناس دي؟»، فقال: «مش دول شباب الثورة؟»، فقلت له: «أنت عايز تفهّمني إن العيال اللي نزلت تتزحلق على النجيلة وتبوس عبدالواحد في بُقه.. همّا

الشباب اللي واجهوا الموت والبرد ١٨ يوم في التحرير علشان البلد تنضف؟ .. يعني إزاي جت في دماغ حضرتك الفكرة دي؟»، فقال لي: «أمال دول مين؟»، فقلت له: «دول بتوع التحرش الجماعي.. حضرتك سمعت عن أي تحرش جماعي في أي مليونية؟»، فصمت الرجل تمامًا فقلت له: «على فكرة كان فيه.. كل بتوع التحرير اتحرشوا جماعيًّا بالنظام»، فضحك.

أرجوك لا تتورط في هذا الربط الساذج بين الثورة وما تراه حولك من كركبة؛ لأن الثورة «تملك ولا تحكم»، صحيح أنه باسم الثورة تسلل بيننا من لا يعرف قيمتها، ويبدو نشازًا موجعًا يفسد اللحن الجميل، فانطبق عليه المثل القائل «العيل الوحش بيجيب لأهله الشتيمة»، لكن الثورة أرقى من أن تكون عسكري مرور دوره القبض على المغفلين الذين يسيرون عكسيًّا هذه الأيام، أو مطاردة الـ«توك توك» الذي شاهدته في مطار القاهرة منذ أيام، أو جمع تلال القمامة الموجودة بطول سور مجرى العيون، أو حماية مستشفى عام من البلطجية، هذه مسؤوليات من يمتلك أدوات في يده (ومعروف الأدوات في إيد مين)، الثورة تملك أن تفرض الأفكار، وتقرب بين الأحلام والواقع، وتضغط لمطاردة الفاسدين، وتزمجر لتذكر الناس بحقوقها، وتقدم شهداءها حتى يتغير وجه هذا البلد.

الثورة مطر.. نزل على أرواح سليمة فـ(بلّ ريقها)، ونزل على أرواح خربة فـ(طيّنها بطين).

عتبة الستات (١٤-٤-٢٠١١)

(١)

أين الدكتور أسامة الباز المستشار السياسي السابق للرئيس؟ كنا نرى هذا الرجل الوحيد داخل مؤسسة الرئاسة الذي يبدو «تبعنا كشعب ومحسوب علينا»، ربما لا نعرف كواليس أدائه لمهمته، لكننا نعرف أنه رجل النظام الوحيد الذي يذهب إلى عمله بالمترو، ولا يسير بتشريفة، أو حراسة خاصة، ودائم التواجد في الندوات التثقيفية والمعارض الفنية، إذا تحدث فهو الوحيد في منظمة الرئاسة الذي يقول كلمات «ممكن تمسكها بإيديك»، في حين كان كلام الباقين مليئًا بـ«البشاميل»، ونعرف أيضًا أنه منذ أن اختفى عن الساحة وبدأ مسلسل انهيار النظام تمامًا.. ربما كانت مصادفة، لكننا في الحقيقة لم نر منذ ابتعاده شخصًا واحدًا له نصف القبول الذي كان يحظى به. لدي تفسير من اثنين: إما أن الدكتور الباز ابتعد عن الساحة بمحض إرادته؛ لأن الفساد والهطل السياسي كانا فوق قدرته، وإما أنه ابتعد؛ لأن السيدة المحترمة والدته كانت داعية له، فأبعده رجال النظام الجدد عن الصورة، تلك الصورة التي أصبحت تُباع في ميدان التحرير بجنيه، ومكتوب عليها «صورة العصابة».

أعتقد أن هذا الرجل لديه من الخبرة، والمعلومات، والأسرار، والأمانة، والموضوعية ما يجعلنا بحاجة لأن نستمع إليه بتركيز هذه الأيام.. وربما يكون فارقًا معنا فيما هو أكثر من الكلام.

وربما (برضه) أكون شخصًا «على نيّاتي».

(٢)

شهد العامان الماضيان ثلاث زيجات لكبار النظام السابق، دعك من الأولى والثانية؛ لأن «التالتة كانت تابتة»، يقولون إن ««الحريم أقدام»»،

و«الست قرفة»، والزيجة الأخيرة التي خرج بها بيان رسمي كانت «قرفتها زي الطين»، فلم تكتف بالقضاء على الزوج، لكن أثرها تجاوز حدود عش الزوجية، فقضت على ثلاثة أجيال سياسة مرة واحدة.. الأب، والابن، وجيل المستقبل.

(٣)

أتاري النظام السابق كان أكثر هشاشة من «جلاش الزهار»، كان مرهونًا بأداء شخص واحد فقط (وزير الداخلية)، كان النظام أشبه بكنبة أتوبيس النقل العام التي تم تفريغها من الإسفنج، وكان رهانه الوحيد فقط على المؤسسة الأمنية، لم يراهن على المؤسسة الدينية، ولا الحزبية، ولا التشريعية.. كل هذا كان مجرد جرافيك.

حبيب العادلي كان أهم شخص في النظام السابق، بوجوده تسير الأمور طبيعية، والكل ياخدوا راحتهم.. بالضبط مثل البلطجي الواقف على باب الكباريه.. انهار العادلي في جزء من الثانية، واهتز أداؤه، وانطبق عليه قول الله «فأغشيناهم فهم لا يبصرون».. جعلته الغشاوة يفقد القدرة على التفكير.. سقطت قواته فامتلأ سجن المرزعة بأسماء كبيرة لا حصر لها.. دلوقتي بس فهمت هو ليه إدّى أمر بفتح الأبواب للمساجين ليهربوا.. أُمال يعني كان هيجيب للناس السكر دي أماكن من فين؟

لا تقوللي محاكمة الرئيس، ولا غيره.. سيكتب تاريخ مصر الجديد من اللحظة التي سقط فيها العادلي، لأن لحظة سقوط العادلي تشبه تمامًا لحظة الانهيار الجليدي الكبير، الذي انقرضت بعده الديناصورات والجودزيلات للأبد.

عن الدكتور البرادعي ١٦/ ٤/ ٢٠١١

عندما ظهر الدكتور البرادعي للمرة الأولى في الصورة كتبت قائلا: «البرادعي يريد أن يتزوج مصر جواز صالوناتي في الوقت اللي مصر محتاجة فيه حد يتجوزها عن حب»، كانت الجملة تلخص أفكارًا كثيرة كان لابد أن أشرحها قبل أن ألخصها، وكانت وجهة نظري أن البرادعي وقتها كان أقل من دفع ثمنًا لمقاومة الفساد مثل أسماء كثيرة تبدأ من المدونين مثل: وائل عباس، ومرورًا بالمعارضة البرلمانية مثل سعد عبود، ومرورا بمن تجرّأ لمنافسة مبارك في الانتخابات مثل أيمن نور، ومرورًا بمئات الصحفيين الذين تمت جرجرتهم إلى المحاكم بواسطة المسؤولين الفاسدين، أو الذين تعرضوا للتنكيل مثل عبدالحليم قنديل، ومرورًا بمذيعين تم تكميم أفواههم وقطع عيشهم، ومرورًا بأدباء وكُتاب تعرضوا للضرب على يد المخبرين، مثل علاء الأسواني، وبهاء طاهر، ومرورًا بالإخوان المسلمين، وشباب ٦ أبريل، قائمة طويلة كانت تحلم بالتغيير، والقضاء على الفساد والاحتكار، وتقاوم بضراوة مشروع التوريث، وكانت تدفع الثمن كاش طول الوقت، لذلك شعرت بأن البرادعي تجاوز طابورًا طويلًا ليقف في مقدمته.

اليوم أشعر بأن ثمة تغييرًا واضحًا في وجهة نظري بخصوص هذا الرجل، لا أحاول الدفاع عنه، بل أحاول أن أكون واقعيًا، فهذا الرجل دفع ثمن دعوته للتغيير.. ربما يكون دفع الثمن الأقل مقارنة بالسابقين، لكن هذا مبرره أنه شخصية عالمية مرموقة فائزة بجائزة نوبل، الأمر الذي يجعل من الغباء أن يتعرض للتنكيل المادي، لذلك لجأ النظام السابق لاغتياله معنويًا، ونجح في ذلك بصورة كبيرة عن طريق حملات التشهير التي أجهضت شعبية البرادعي في الشارع باللعب على وتر الدين، والانحلال الأسري، وتدمير العراق... إلخ،

وفكرة الاغتيال المعنوي لشخص ما من السهل أن يتبعها نفور من الأفكار التي يقدمها حتى لو كنت بالصدفة تتفق معها، لذلك ضرب النظام السابق عصفورين بحجر، فاغتال البرادعي، وفكرة التغيير معا، لكن هذا الأداء استفز القوى الوطنية الأخرى، وكان سببًا لتوحدها، والتفت حول البرادعي فنشط الأداء الوطني العام، ثم اختلفت مع البرادعي لإصراره على النضال من خارج البلد، فانفصلت عنه، لكنها احتفظت بفورانها الذي ظل يتراكم حتى لحظة الثورة.

الجديد في نظرتي للبرادعي هو الأفكار التي يقدمها أثناء انشغاله بحملته لانتخابات الرئاسة، فهو المرشح الوحيد الذي أشعر بأنه مقبل من قلب الثورة، فمقترحاته التي يقدمها طول الوقت للمجلس العسكري ولمجلس الوزراء، مثل فكرة المجلس الرئاسي الوطني، أو مجلس الحكماء الاستشاري المساعد للمجلس العسكري، أو توحيد الصفوف مع بقية المرشحين للرئاسة، أو دعوته لوقف الحملات الانتخابية الرئاسية حتى تهدأ الأمور في البلد، أو دعوته لتجديد روح الثورة، وضبط وجهتها على طريق صناعة النهضة، أو حتى إصراره على محاكمة الكبار، وتلميحه المتكرر خلال الأسابيع الماضية أن الثورة لم تنته ولم تنجح بعد، كل هذه الأفكار كنت أسمعها من البرادعي فقط، ورأيته شخصًا مشغولًا بالبلد أكثر من انشغاله بالمنافسة على المنصب، بل إنه لا يتقي حرج الاصطدام الفكري بالقائمين على البلد حاليًا، والذين سيشرفون على انتخابات الرئاسة المقبلة.

أداء البرادعي يستحق التقدير، ويستحق الاعتراف بأنني لم أكن موفقًا في تشبيه الجواز الصالوناتي وقتها.

ملحوظة: هذا المقال في احترام الدكتور البرادعي، لكنه لا يعني بالضرورة أنني قد أنتخبه كرئيس للجمهورية.

صباح الفل ١٨/ ٤/ ٢٠١١

ليس من عادتي أن أبدأ مقالي بأن أُصبّح عليك.. بس كما ترى حضرتك الأشياء من حولنا تتغير.. فسيادة المستشار مسجون، ودليل إدانته الـ«سي دي» الذي طالما أرهب الناس به.. الحزب الوطني بخ خلاص بمجالسه المحلية بمحافظيه، ومقاره في طريقها لأن تتحول لمدارس، أو مقار للمجلس القومي لحقوق الإنسان (أقترح تحويلها إلى مدارس تعلم الأجيال المقبلة حقوق الإنسان).. والتوقيت الصيفي سيتم إلغاؤه (الفكرة التي أنهكتنا نفسيًّا مقابل حفنة من الكهرباء.. الفكرة التي تخدم نجفة الصالون مقابل تدمير فصين في مخك كل عام.. خلاص)..

مكتبة الإسكندرية هذا الصرح الحكومي سابقًا «المصري حاليًا» يفتح أبوابه بعد يومين لمناظرة فكرية بين عمرو حمزاوي الليبرالي، وصبحي صالح ممثلًا للتيار الديني.. شباب الثورة يعقدون ندوات ومؤتمرات داخل نقابة الصحفيين (أخيراً دخلنا جوة النقابة بعد سنين عدت علينا واقفين على السلم).. لدينا مشروع سنمتلكه جميعًا اسمه «ممر التنمية»، يقول الدكتور الباز إنه سيتم تمويله باكتتاب شعبي بسندات قيمة كل منها جنيه واحد (هادفع جنيه وأبقى مالك..

مش زي النظام السابق اللي كان هيديني صك اتداين بيه).. مصر تسمح لعائلة المناضل الإيطالي «فيتوريو اريغوني» بدخول غزة لتسلم جثمان ابنها الذي سافر لدعم الفلسطينيين على متن سفن كسر الحصار، وقتل هناك (بعدما منع النظام السابق فلسطينيًّا سافر عبر مصر للحج من العودة إلى غزة).. مصر ضيف شرف مهرجان "كان" المقبل (بعد سنوات قضيناها نتطفل على الجماعة هناك).. الـ١٠٠ ألف فدان بتوع الوليد بن طلال في طريقها للعودة (حررناها بدون نقطة دم واحدة)، وعقد بيع عمر أفندي باطل بحكم هيئة مفوضي الدولة.. وزارة التربية والتعليم تستعين بطلاب من الثانوية العامة لتعديل القانون المنظم لعمل

الاتحادات الطلابية بالمدارس (عقبال ما يلغوا الشرطة المدرسية).. بنوك التنمية والائتمان الزراعي تبدأ في تسلم محصول القمح من الفلاحين بزيادة ٣٠٪ في سعر الأردب (الفلاحين معنوياتهم مرتفعة)..

مكتبة مبارك أصبح اسمها «مكتبة مصر العامة « (مش عارف هيعملوا إيه في أكاديمية مبارك للأمن.. كلية الشرطة سابقًا).. الحكومة تستمع أخيرًا للشعب، وأنا لا أقصد الشكوى فقط، لكن وللأفكار بكل ما فيها من طموح مجنون، البلد حاليًا لا يعتمد على بنك الطعام فقط، ولكن يعتمد وبشكل كبير على بنك الأفكار الذي أنشأه الدكتور شرف.. وعندك أنا أكتب لأول مرة في حياتي تقريبًا جملة مدح في مسؤول حكومي، دون أن يعني هذا أن أصبح صاحب مكتب كبير مزود بجاكوزي، ودون أدنى وخزة ضمير.. شيخ الأزهر يتبرع براتبه لصغار الموظفين..

الإيكونوميست تقول إن العرب يحسدون مصر على استقرار ثورتها وتماسكها (العرب ادونا عين جامدة كانت نتيجتها أننا رشحنا مصطفى الفقي ليصبح أمين جامعة الدول).. رءوس الفساد في طرة يعاتبون بعضهم البعض في مشهد مماثل لفينالة فيلم العار على حد تعبير أصدقاني نشطاء الـ«فيس بوك»، (حد يحط الشعب في صفيحة ويسيبه ٣٠ سنة في المية المالحة؟).. أبوتريكة فايق وبيلم بالـ٣ لعيبة في حركة واحدة.. الزمالك يفوز بعشرة لاعبين.. أنا عايزك ترد عليا وماتسبنيش أهذي.. صباح الفل، ولا مش صباح الفل؟

التعاطف الأعمى (٢١-٤-٢٠١١)

الشماتة العمياء، والتعاطف الأعمى، كلاهما يفرض على الواحد قدرًا من التوتر، والشماتة مرهقة وستقودك بمرور الوقت إلى خلل نفسي.. ربما إذا تأملت الأمر من حيث التدقيق في التدابير الإلهية، وعدالة الله، وإمهاله الذي لا يعني إهماله لشعرت بسعادة واستقرار نفسي.. ربما أخذت عبرة تنفعك في مسيرة حياتك، لكن الشماتة مهلكة وضد الفطرة، وتجربة شعورية سلبية ظاهرها الاستمتاع، وباطنها تخريب للروح.

لقد قدمت الثورة أنبل وأفضل ما لديها بأن قدمت مبارك للمحاكمة، علينا أن نتمناها محاكمة عادلة، وعلينا أن نرضى بحكم القضاء؛ لأنني أحلم بأن يقول التاريخ إن ثورة يناير تعاملت مع مبارك بما يليق بالثورة، لا بما يليق بمبارك.

أما التعاطف الأعمى فقد حاولت أن أكون حياديًا تجاهه وفشلت، التمست العذر لكثيرين تعاطفوا مع مبارك كأنهم يتابعون مسلسل «تعاطف الأمهات والخالات مع ماما نونا عند وفاتها في مسلسل حمادة عزو»، احترمت مشاعرهم جدًا.

لكنني أتوتر عندما يقابلني أحد قائلًا «ارحموا شيخوخة الراجل، ومرضه، وتاريخه»، الحقيقة أنا مندهش ممن يوجه هذا الكلام لمن شارك في الثورة.. لأن المقربين من مبارك، والناس الذين من لحمه ودمه كانوا أولى بأن يوجه إليهم هذا النداء.

فلا يوجد أحد يمت لمبارك بصلة قرابة، أو صداقة، أو عيش وملح، أو زمالة.

احترم سن هذا الرجل وشيخوخته ومرضه، كان أولى بجمال مبارك أن يحترم سن أبيه وتاريخه، فلا يفرض نفسه على المشهد السياسي،

ولا يتمادى في فرض سيطرته وهو يرى كل الناس تلوم أبيه وتهاجمه بضراوة، وتتهمه بالخيانة للوطن، وهي تراه مقبلًا على مشروع التوريث، كان أجدر بجمال مبارك أن يحترم تاريخ والده، وسنه، ومرضه وسمعته، ويحافظ على صورة أبيه بأن يبتعد عن الصورة تمامًا.. لا أن يجعلها على مقاسه هو وأصدقائه المحتكرين ورجال الأعمال الفاسدين.

كان أولى بزكريا عزمي أن يحترم شيخوخة الرجل، وسنه، وتاريخه، ويصارحه بأن الشعب خرج للشارع «علشان مابقاش طايقه»، لا أن يكذب عليه، ويمنعه من أن يتنحى بكرامته قائلًا إن الشعب يريد فقط تغيير الحكومة، «خليك يا ريس زي ما أنت».. كان أولى بالعادلي أن يحترم سن مبارك، وتاريخه، فلا يغتال المتظاهرين ضده بالقناصة المحترفين.. كان أولى بصحفيي مبارك أن يحترموا سنه، وتاريخه فلا ينافقونه بطريقة تجعله أضحوكة في أعيننا.

كان أولى بصفوت الشريف أن يحترم سن الرجل، ومرضه، وسمعته فلا يتورط في تدبير موقعة الجمل التي جاءت في أعقاب خطاب مبارك، والتى جعلته يبدو قاتلًا لا أمان، ولا عهد له.. كان أولى بفتحي سرور أن يحترم سن الرجل، وتاريخه، ومرضه فلا يدير البرلمان كأنه عزبة أحمد عز صديق ابن الرئيس.. كان أولى بأنس الفقي أن يحترم سن مبارك، وتاريخه، ومرضه فلا يجعل تليفزيونه الرسمي محط سخريتنا جميعا.

شباب الثورة لم يتوقفوا كثيرًا أمام فكرة سن الرجل، ومرضه، وتاريخه لأن أقرب الناس إليه لم يفكروا فيها لثانية واحدة، على الأقل الثوار تجاوزوها لمصلحة البلد.. لكن هؤلاء المقربين تجاوزوها لمصلحة مين؟

الله أكبر محبة ٢٥/ ٤/ ٢٠١١

اضطرتني الظروف للسفر إلى الإسكندرية، واضطرتني أيضًا للإقامة في مكان ليس به إنترنت، لذلك دخلت إلى أقرب نت كافيه لأكتب لك مقال اليوم، ماخبّيش عليك حاسس بقدر من التوتر لأنك تعرف جيدًا من أيام المرحوم خالد سعيد أن الداخل إلى النت كافيه في الإسكندرية مفقود، والخارج منه مرحوم، سأبذل قصارى جهدي لأنهي المقال قبل أن يرغمني أحد على ابتلاع باكيتة لا أحملها، المصيبة أنني قبل أن أدخل هنا مررت بالصيدلية لشراء البامبرز لابنتي، كل الخوف أن يفشل اللي بالي بالك في إرغامي على ابتلاعه، فيرغمني على أن ألبسه.

الوقت يمر سريعًا.. والجو هنا في الإسكندرية تحفة، لكن يشوبه بعض التعكير، فاكر من يومين لما امتدحت مكتبة الإسكندرية لأنها هتعمل مناظرة بين عمرو حمزاوي، وصبحي صالح؟ إنسى الكلام ده خالص؛ لأن المكتبة لغت الندوة دون أسباب، ربما شعر المسؤولون بالخوف، ربما هم ليسوا على قدر مسؤولية تنوير الشعب، ويخافون أن يلعبوا هذا الدور؟ خصوصًا أن شباب الثورة في الإسكندرية يشكون من السلفيين، لا لأسباب سياسية، لكن لأسباب لها علاقة بالذوق،

فالمجهود الذي أنفقه شباب الثورة هنا في تجميل الشوارع والجدران بطلاء جديد، وبرسوم الجرافيتي التي تفتح الشهية للحياة.. كل هذا المجهود أفسده السلفيون بملصقات صماء لا تدعو لشيء على الإطلاق.. فقط ملصقات تعلن عن أن الجماعة موجودة، لا أعرف لماذا فات الجماعة السلفية (وهم أصحاب حق في الدعاية لأنفسهم مثل أي تيار سياسي في مصر) أن تكون الدعاية بها قدر من جماليات الفنون الإسلامية التي علمت العالم؟ بالمناسبة صديقي أحمد توفيق (٢٣ سنة) يسأل لماذا يسمح بتصوير عز، والشريف، وعزمي، وغيرهم وهم في السجن، أو في الطريق إليه، بينما يستحيل تصوير الضباط المتهمين

بقتل المتظاهرين في الإسكندرية؟! ولماذا تصدر الأحكام في يومين على المتهمين بالسرقة والبلطجة، بينما تمر الأسابيع دون أن يبل القضاء ريق أهل الشهداء؟

الشباب هنا أيضا يندهشون من الربط الشرطي بين الثورة، وميدان التحرير بطريقة تُسقط دورهم في الثورة نفسها؟ وأنا اعتذرت بالنيابة عن الإعلام الساذج، وقلت لهم إن الجميع يعرف جيدا الدور العظيم الذي لعبته السويس والإسكندرية في هذه الثورة، ولا أحد قادر على محوه، لا من الأذهان ولا من كتب التاريخ، السويس والإسكندرية كانتا جناحي الثورة، وصانعتي الألعاب، وكان ميدان التحرير هو رأس الحربة، لولا الكرات التي يتم تموين رأس الحربة بها من خلال الجناحين عمرنا ما كنا هنجيب إجوان، وأنا متأكد أنه بدونهما ماكانش رأس الحربة هينفرد بحارس المرمى.. بالعكس كان حارس المرمى هو اللي هينفرد برأس الحربة، وشوف أنت بقى!

صاحب النت كافيه بيشبّه عليَّ، لذلك سريعًا أهنئ إخوتنا الأقباط بعيدهم، وأقول لهم دينيًّا هناك فرق بيننا، فأنا كمسلم أؤمن بأن الله أكبر، وأنت كقبطي تؤمن بأن الله محبة، لكننا كمصريين لا فرق بيننا، إذ نؤمن جميعًا بأن الله أكبر محبة.

سلام دلوقتي علشان صاحب النت كافيه داخِل عليَّ ومعاه اتنين مخبرين.. أمانة حد يوصّل البامبرز للبت.. زمانها مزروطة الدنيا.

ارجع ضابط ٢٨/ ٤/ ٢٠١١

(١)

منذ أسابيع وأنا أترك سيارتي كل ليلة في شارع قصر العيني مركونة صف تاني، وأدعو الله أن أصحو في اليوم التالي فأجدها «متكلبشة».

(٢)

لأول مرة منذ فترة طويلة أمر بلجنة شرطة في وقت متأخر، كنت أقود سيارتي، وأجري مكالمة موبايل في الوقت نفسه، قلت لمحدثي على الطرف الآخر الجملة التي كادت أن تصدأ بفعل الركنة «اقفل علشان داخل على لجنة»، أيقظت الجملة بداخلي شعورًا بقدر من الإثارة، كنت بحاجة للتعامل مباشرة مع رجل شرطة بعد الثورة، كان تدفق السيارات عبر الحواجز بطيئًا.. أمنت على الحزام، وجهزت الرخص، حاولت أن أكون شخصًا يثير الاشتباه حتى تطول بيني وبين الضابط الـ«هات وخد وجاي من فين».. لكن أقصى ما حصلت عليه كان نظرة نصف فاحصة، وإشارة «اتفضل».. كانت اللجنة فيما يبدو مجرد تأدية واجب، فأصبت بالإحباط.

(٣)

في بداية عملي بالصحافة كنت أحيانًا أصطدم برؤساني مدفوعًا بجنون عظمة الواردين جديدًا على المهنة، فكنت أعاقبهم بأن أنتحي جانبًا (طب مش شغال)، كنت أعتقد أنها ستكون ضربة موجعة لهم أن أحرمهم من قلمي، والحقيقة أنه لم يحدث أبدًا أن تأثرت المهنة بغيابي، في المقابل كنت ألاحظ أثناء توقفي عن العمل تغييرات نفسية في طبيعتي، وفي كيمياء مخي، الأفكار التي كنت أطاردها أصبحت تمر أمامي، وأقابلها ببلادة، الانفرادات التي يحلم بها أي شخص تتوسل لي أن أنفرد بها فلا أهتم، حالة من التوتر والأرق تسيطر على حياتي،

تسوء حالتي النفسية بمرور الوقت إلى أن أتخذ قرارًا بأن أعالج نفسي بفعل أمر بسيط «لو سمحت ارجع صحفي تاني».

(٤)

لذلك أقولها لك يا صديقي «ارجع ضابط»، صحيح نحن بحاجة إليك «لكن مش هوه ده الموضوع»، الموضوع أنك تضيع من بين يديك أحلى سنوات عمرك المهنية، تتخذ موقفًا سيؤثر بالسلب على لياقتك الذهنية والنفسية، تتحاشى مهنتك بطريقة ستجعلك قريبًا تتحاشى الحياة كلها، لو كنت ضابط بالصدفة هأقولك ماشي..

لكن صبرك على كل ما ذقته من أول الـ ٤٥ يومًا بتوع الكلية حتى هذه اللحظة يدل على أنك تحب هذه المهنة ومتمسك بها، لمصلحة من إذن تهدر تجربة حياتك وأنت واخد جنب؟

أعرف أن الأجواء بها قدر من السماجة تجاه الشرطة.. صدقني هي مسألة وقت.. لكن هذا الوقت يجب أن يمر في تفاعل حقيقي، الهدف الرئيسي منه أن تعيد صياغة سمعة الداخلية.. أنت مسؤول عن محاربة زملائك الذين يضعوننا في اختيارين كلاهما مر (يا تبقى الداخلية ناس ظالمة، يا تبقى ناس مالهاش فيها).. جزء كبير من شرف مهنتك أن تطهرها.

(٥)

أنت لا تعاقبنا يا صديقي بتنحيك جانبًا.. أنت تعاقب نفسك، وإذا كنت تهدف من تراخيك أن تقتنص منا اعترافًا بأننا «مديونين ليك»، فكن واثقًا أن تراخيك هذا، وبمرور الوقت سيحولك في نظر البعض إلى «ديون معدومة».

(٦)

صديقي.. منذ أسابيع وأنا أترك سيارتي كل ليلة في شارع قصر العيني مركونة صف تاني، وأدعو الله أن أصحو في اليوم التالي، فأجدها «متكلبشة».. وهذا بالمناسبة ليس تحديًا لكنني أحلم باللحظة التي سأكتشف فيها أنك «رجعت ضابطًا».

عصف ذهني ٨/ ٥/ ٢٠١١

أكبر مفاجآت الثورة: ليس أننا لم نتوقعها فقط، بل إننا قلنا إنه لو حصل يعني في يوم من الأيام ثورة بعد كام سنة ستكون ثورة الجياع، ثورة سكان العشوائيات، ثورة قادها ناس يحركهم كل ما اختبروه من ظلم، وفقر، وقسوة، وظروف معيشة رديئة.

الجديد بقى: هذه الثورة.. من قادها، وحركها، وبنى عمودها الفقري؟ ليس الشباب كما يشاع، بل إنهم نخبة الشباب التي أثارت حماس الطبقة المتوسطة، وألهمتها النزول إلى الشارع. النخبة المثقفة التي يمكن اعتبارها صفوة جيلها، المفاجأة أن هذه الصفوة لم تختبر يومًا ما فقرًا، ولا ظلمًا، ولا ظروف معيشة قاسية، بل إنه لا يوجد بينهم تقريبًا شخص واحد عاطل (أصلًا كان بينهم كثيرون لم يتخرجوا في كلياتهم ليختبروا مسألة البطالة).. عمرك فكرت اشمعنى الناس دي بالذات اللي خرجت؟

طب سؤال: العشوانيون والفقراء الذين توقعنا ثورتهم ولم يفعلوها.. هل كانوا يشعرون بالسعادة في ظل النظام السابق؟

خد دي: النظام السابق كان يأكل عيشًا على قفا هذه النوعية من الناس، يأكل عيشًا، ويطعمهم في الوقت نفسه، معظم نواب البرلمان عن هذه المناطق من الحزب الوطني، هذا بخلاف أن النظام كان يقدم لهم الخدمات بفلسفة «قتل الطموح في الحياة»، فكانوا يتركونهم يصلون إلى حافة الموت جوعًا قبل أن يقدموا لهم الفتات في صورة مشاريع حرم الرئيس الخيرية، وكراتين تموين رمضان، تم حصر طموحهم في هذه المنطقة، من يتجاوز طموحه هذا الخط، كان يتم تكليف رجال حبيب العادلي بترويضه.

الخلاصة: طبيعتنا كمصريين تجعلنا نصبر على الفقر والجوع، النقَّاش الذي يتوقف عن ممارسة مهنته طالما في جيبه عشرون جنيهًا، يعرف جيدًا أنه لن يجد عملًا بسهولة عند نفاد هذه الجنيهات، ومع ذلك يتحرك بعد نفادها بفترة، الموضوع ليست له علاقة بالطموح، فمعظمنا «متونس بالفقر»، ويرتبك إذا زادت الأموال التي في حوزته على احتياجه، أضف إلى ذلك أن الألاطة المحببة إلى النفس تدخل في تركيبتنا، حتى المجتهدون منا يبررون اجتهادهم بأشياء كثيرة غير المال.

إنجز.. عايز تقول إيه؟: نَهَم رجال النظام السابق للمال والثروة يؤكد أنهم ليسوا منا، هناك فجوة بينهم وبين مصر، حتى لما قاموا بثورة سموها «ثورة التحديث» - على رأي عز - كانت ثورة تشبههم.. هم الذين اخترعوا التجمعات السكنية المغلقة ذات البوابات الضخمة، ورجال الأمن.. هم الذين اخترعوا الستائر السوداء التي كانت تغطي نوافذ سياراتهم، وتحول بينهم وبين أن يعرفونا.. هم الذين ابتعدوا بالبحر حتى وصلوا إلى حدود ليبيا.. هم الذين كان ونسهم الأول المال.. هم الذين كانوا يبررون المال الذي يجمعونه بإصلاح مصر اقتصاديًّا.. كانت وجهة نظرهم أن البلد لن ينصلح حاله إلا إذا بدأ من الصفر. إذن؟: كان الناس الذين يحكمون البلد، ينتحلون الجنسية المصرية، ناس ليسوا منا، الفقراء والبسطاء كانوا يرونهم فاسدين، سينتقم الله منهم يومًا ما، وحدهم النخبة كانوا يعرفون أنه احتلال..فكانت الثورة.

انفُض السجادة ١١/ ٥/ ٢٠١١

السجادة الغالية تستحق منك أن تخرج بها في البلكونة لتعدمها العافية حتى تخلصها من كل ما عشش فيها من أتربة وحشرات، سجادة الثورة بحاجة إلى هذه التنفيضة الجماعية، ليس لأنها أغلى ما نمتلك في بيتنا، ولكن لأننا لا نمتلك غيرها أصلًا.

انفُض الـ ١٠٠ يوم الماضية جيدًا، واستعد ليافتك الذهنية من جديد، غيّر الاستراتيجية التي تحكم بها على الأمور، والأشخاص، تحرر من الأحكام النهائية التي قد تندم عليها مستقبلًا، استقبل من الجميع أفكارهم مهما كانت درجة إيمانك بهم، ثم ضع ثقتك في نفسك، وأعد تقييم هذه الأفكار، فارفض واقبل، لا تأخذ المسائل كومبو، نحن في فترة فتنة، ولا يوجد أي مبرر لأن يكون تقييمك نهائيًا، لا ترتح لأحد بشكل يجعلك أسير معتقداته، ولا تعادِ شخصًا ربما تجد فيما يقوله فكرة هي الحق بعينه، لا يوجد دليل واحد على أن شباب الثورة الذين تراهم على الفضائيات هم شباب الثورة فعلًا، ولا يوجد دليل على أن السلفيين الذين تراهم في مقاطع الفيديو هم السلفيون فعلا، ولا يوجد دليل على أن دعاة الليبرالية ليبراليون فعلا، ولا يوجد دليل على أن الذين يغذونك بالأفكار من أمام الكاميرات يؤمنون بها فعلا، ولا يقولون لك كلامًا لاستدرار إعجابك.

تخلص من أحكامك سابقة التجهيز، لا دليل على أن الدكتور عصام شرف هو أفضل من يقود البلد في هذه الأيام، ولا دليل على أن وزير الداخلية الحالي هو الرجل المناسب في الوقت المناسب، ولا دليل على أن من نصبوا المكلمة في كل مكان هم حماة الثورة، ولا دليل على أن الشرطة ستعود للعمل بقوة، ولا دليل على أن القائمين على البلد يمتلكون

بدائل لهذا المأزق، ولا دليل على أن زيارة أفريقيا والخليج أهم من زيارة مصر نفسها حاليًا «بيت بيت» و«زنقة زنقة»، ولا دليل على أن ما حدث في إمبابة مؤامرة (كلمني عن مؤامرة بدأت قبل الثورة بخمسة أشهر وكانت تتنبأ بالثورة والانفلات الأمني، وتضعهما في حساباتها حتى تصنع من الأمر كله موقعة إمبابة)، صدق أن رجلًا راود امرأة عن نفسها، وأوقعها في الفخ، ففرت من زوجها وتزوجته عرفيًا (أين الدين في الموضوع؟)، صدق أن هذه الواقعة التي انطلقت من أعماق الصعيد في أسيوط لو كان طرفاها الاثنان مسلمين لذبحهما الأهالي، ودفنوهما دون تصريح، لا تعط مخك لأي داعية، لا تجعل مخك نسخة من طبق الجنازة الذي يمد الجميع أياديهم فيه، تسأل عن الطبيب ألف مرة قبل أن تذهب إليه ليعالجك، فلماذا لا تسأل قبل أن تعرف حقيقة الشخص الذي تذهب إليه ليعلمك؟!

صدق فطرتك، وتعلم من قصة سكان الجزيرة المجهولة الذين زارهم يومًا رجال دين كانوا على سفر في البحر، سألوا سكان الجزيرة كيف تصلون؟

فقالوا: نقف ونقول: يا الله نحن هنا، وأنت دائمًا حولنا فلتكن كذلك أبدًا.. ضحك رجال الدين، وعلموهم صلاة صحيحة، وبعد شهور بينما رجال الدين على مركبهم في طريق العودة مرّوا بالجزيرة، فلمحوا أحد الرجال يلوح لهم فلوحوا، فأتاهم الرجل سائرًا على الماء حتى وصل إلى السفينة، اندهشوا من هذه المعجزة، وسألوه: «ما الذي حدث»، فقال لهم: «لقد نسينا الصلاة التي علمتها لنا وعدنا لصلاتنا»، فابتسم رجل الدين له قائلًا «لا يهم.. حافظ على صلاتك التي تعرفها.. إن كل الصلوات صالحة».

قلش النمل ١٢/ ٥/ ٢٠١١

كاتب المقال اليومي تاجر تجزئة، ما لم يمده المورد الأصلي بالأفكار، فلا مبرر لأن يفتح الدكانة في هذا اليوم، لذلك أسرق أحيانًا يومًا أو يومين إجازة بدون مبرر في وسط الأسبوع، الأفكار رزق من عند الله (مش شطارة أبدًا)، وعندما أصحو فلا أجد مددًا أشعر بأن الاعتذار أفضل من أن أضع لك في هذه الفاترينة شوية شيبسي على بسكويت لوكس.

اليوم كان الرزق شحيحًا، كنت أصنع قهوتي، وأقول يارب ابعت، رن هاتفي، وكان المتصل الدكتور عمرو حمزاوي يناقشني فيما أثير عن موضوع الزواج المدني، فرحت بالمكالمة، وقلت «فرجت» وضعت ورقة وقلمًا إلى جانبي، ورحنا نتناقش في موقعة برنامج «القاهرة اليوم»، كان الحوار لطيفًا، وقلت سيكون رد حمزاوي هو مقال الغد، حرصت أن تطول المكالمة حتى أضمن الـ ٥٠٠ كلمة بتوع المقال، كان حمزاوي كريمًا فطالت المكالمة بالفعل، لكنه هدم كل ما فعله عندما قال لي: «عمومًا كل اللي قلتهولك ده هتلاقيه منشور في مقالي في الشروق بكرة إن شاء الله»، أحبطني حمزاوي، فكدت أقول له «والله ما أنا جايب الشروق تاني»، لكنه كان ودودًا بشكل لا يتحمل هذه الحماقة، وفي نهاية المكالمة عبر لي عن تقديره لما أكتبه، لكن (كنت أتوقع اللي جاي ورا لكن دي بحكم خبرتي)، و«لكن عيبك إنك زملكاوي يا عمر»، أستمع لهذا التعقيب دائمًا، لكنني صدمت إذ تلقيته من أحد رموز الليبرالية الذي بدا خلال المكالمة أنه يؤمن بقاعدة «الدين لله والأهلي فوق الجميع».

بالمناسبة ضبطتني زوجتي الأهلاوية شاردًا عقب ماتش الزمالك والجونة، فسألتني بخبث: مالك، حاولت أن أهرب من أي شماتة متوقعة، فقلت: بصراحة.. أنا مش عارف حسام حسن بيجيب القمصان اللي بيلبسها دي من فين؟ نظرت لي نظرة ذكرتني يوم ضبطتني شاردًا

متأملا في فنجان القهوة، فقالت لي: مالك برضه، فقلت لها: «أهو الفنجان ده لو راح الجيم أسبوعين ورا بعض هيبقى مج»، تتحمل زوجتي الكثير من القلش الذي يصيبني أحيانا، يدب القلش في ثنايا مخي عندما أحاول أن أكون ساخرًا، وأتحول إلى شخص مسخرة عندما أتكلم بجد، لخطأ تقني ما أكتب متوقعًا أن يضحك القارئ، فيرد عليَّ بإيميل غاية في الجدية يكاد يكون رسالة دكتوراة، وأكتب متوقعًا أن أصيب القارئ بقشعريرة، فيعلق على المقال بـ (نياهاااااا.. ضحكتني.. صباح الفل).

أعتقد أنني بحاجة لزيارة طبيب متخصص في أمراض التخاطب، مثلا كان صديقي مكتئبًا بسبب عيد ميلاده الأربعين، فحاولت أن أواسيه بخفة دمي، فقلت له: إذا تأملت الحياة بعد الأربعين ستكتشف أنك تمسك بنصف الكوب المليان.. بس خد بالك هو مليان علشان بعد كام سنة هتبتدي تبيت فيه طقم أسنانك، كنت متألقًا في القلش، فقلت له: هو أنت حاسس إنك كبرت وخايف تموت؟ .. طب لعلمك أجمل حاجة في الحياة إنها مؤقتة.

أرجوك أن تتحملني إذا قلشت يومًا ما، فطفولتي كانت معقدة، لقد صدق والدي عندما سألته عن معنى إشارة المرور التي تحمل حرف «p»، فقال لي: معناها «بس.. واسكت خالص وانت قاعد جنبي في العربية»، ويكفي أن تعرف أنني كنت خلال هذه الفترة طفلًا يقوم بتلوين النمل ليحطم نظرية خالته التي قالت له من المستحيل أن ترى النملة نفسها مرتين طيلة حياتك.

الشاشة الصغيرة ١٤ / ٥ / ٢٠١١

الخوف الآن أن تصفصف الثورة على مكلمة حافلة بجلسات صلح، أو جلسات نميمة، أو جلسات ذكر نتطوح فيها يمينًا ويسارًا حتى نفقد الوعي، ويغلبنا النعاس أمام التليفزيون.

ياريت كده وبس.. ولكن الإعلام يقع هذه الأيام في أخطاء (مع احترامي للجميع)، ففي عز الكلام عن حقوق المواطنة، والمساواة بين المسلم والمسيحي، واستضافة كل من يمتلك خطبة، أو نظرية في هذا المجال، نسينا تطبيق حقوق المواطنة على أنصار مبارك، لم يفكر أحد البرامج يومًا في استضافتهم وكأنهم عار على البلد، ربما يخاف الإعلاميون من تلويث سمعتهم بإفراد المساحة لهؤلاء، والحقيقة نحن بحاجة لأن نستمع إليهم، فمن المؤكد أنهم أصحاب وجهة نظر..

ربما نجد فيها شيئًا وجيهًا يعود علينا جميعًا بالنفع، وربما نجدها وجهة نظر فارغة لا تستحق المساحة التي حصلوا عليها، لكننا وقتها سنشعر براحة ضميرنا الوطني والمهني، ونكون قد عملنا اللي علينا، وظهرنا أمام أنفسنا كأشخاص متحضرين.. لقد أفرد نظام مبارك مساحة لمعارضيه على الشاشات أكبر من المساحة التي أفردتها الثورة لمعارضيها.

من ناحية أخرى استجبنا للمطالب الشريفة لأهل ماسبيرو المعتصمين، والنتيجة أن التليفزيون عاد إلى الخلف، وأصبح منافسا للقناة الثالثة في عز مجدها في التسعينيات، فقد ماسبيرو حضوره شكلًا ومضمونًا فيما عدا برامج تعد على أصابع اليد الواحدة، وأداء مقبولًا لقطاع الأخبار. تخلص المبنى من الدخلاء الذين وضعوه على قائمة اهتمامات المصريين، وأصبح الآن يصارع البطالة المقنعة بأعداد هائلة لا علاقة لها بشغل الميديا، ومن جهة أخرى يصارع رئيسه الذي ينتمي فكريًا للنظام السابق.. فهنا أمر بقطع البرنامج على ضيفة لا تعجبه، وهنا

قرار يجامل به التيار الديني بمنع القبلات والأحضان مع أن التليفزيون مابيذيعهومش طول عمره، ماسبيرو في عهدة رجل يشبه كثيرين من اللي في المبنى «عمرهم ماشتغلوها».

في المقابل، وقع كبار الإعلاميين الذين نحبهم في فخ المكلمة، فأصبحنا نرى الضيوف أنفسهم بكلامهم نفسه، بمخارج الألفاظ والأداء التعبيري نفسه، من شاشة إلى شاشة، لم يقدم أحدهم للثورة أو للبلد ما بعد الكلام، حتى من كانوا يجمعون التبرعات، ويحلون المشاكل، ويدعمون البسطاء لم يعودوا يفعلونها بعد الثورة، ولم نر من الكبار محاولة لحشد المشاهدين في خطوة أبعد من الكنبة المقابلة للتليفزيون، الأفكار كثيرة، ولا أعرف لماذا يكتفي الإعلاميون بمتابعة الأحداث في الوقت الذي نتوقع فيه منهم بعد الثورة أن يصنعوها؟

لكن لماذا أعتب على رجال إعلام مهنتهم هي الحوار والتنوير؟ إذا كان مرشحو انتخابات الرئاسة كلهم بدون استثناء، وهم الذين يفترض فيهم أن يكونوا رجال عمل ميداني وقعوا هم أيضا في فخ المكلمة، فلا تراهم في إمبابة، أو أطفيح، أو اعتصام، أو مظاهرة، أو حتى ماتش كورة، ولكن تراهم دائمًا ضيوفًا تليفزيونيين في كامل أناقتهم.

قامت الثورة وكان هدفنا أن تساعدنا على الانتقال للمعيشة في «المدينة الفاضلة»، لكن بمرور الوقت يبدو أننا سننتقل جميعا للمعيشة في «مدينة الإنتاج الإعلامي».

الشحن مجانًا ١٥/ ٥/ ٢٠١١

صديقي ضحية لإعلانات التليفزيون، فقد قام بناء على الإعلانات بتحميل برنامج الأذان، كان زملاؤه في العمل يفخرون به إلى أن رنَّ موبايله، وهو يؤمهم بنغمة «قولوا للي أكل الحرام يخاف»، لحق نفسه فحمّل برنامج «اجعل موبايلك صامتًا أثناء الصلاة»، ولخطأ تقني ما أصبح التليفون صامتًا طول اليوم ما عدا أوقات الصلاة، فتكررت مأساة «أكل الحرام»، وعندما ذهب للتوكيل قالوا له «مافيش فلوس».

ولكننا سنحمّل لك مجانًا برنامج «اعرف حظك اليوم مع عبير اللباد»، فأصبحت «عبير» تتصل به يومياً على الريق لتقول له الجملة نفسها «أموال في الطريق إليك»، يبدو أن البرنامج قد هنّج، فقرر ألا يرد مرة أخرى، الأمر الذي أثار ريبة زوجته التي ردت على الرقم المجهول الذي يطارد زوجها، فمسحت الزوجة بـ«عبير» الأرض قائلة: «جوزي مش بتاع فلوس يا ماما»، فذهب للتوكيل مرة أخرى، فاقترحوا استبدال «عبير» برنة بالاسم الشخصي، وأهدوه رنة أغنية تقول «أشرف نصر يا أشرف نصر اقفل بُقك بعد العصر»، أعجب أشرف صديقي بالرنة في البداية إلى أن رنَّ موبايله مرة وهو يقف أمام البيت ومن ساعتها وأطفال الشارع الذي يسكن فيه يزفونه بها كلما رأوه، قرر صديقي أن يغير الموبايل، لكن مافيش فلوس، فاقترحت عليه زوجته أن يشارك في مسابقة «اعرف النجم من عينيه»، وعند المسابقة قالت له: «دي عينين أحمد عز أنا مستحيل أتوه عنها»، فانهال ضربًا على زوجته لدرجة هشمت عظامها تقريبًا، طاف بها على الأطباء ولم يجد لها علاجًا في النهاية سوى شراء كريم دهن النعام الذي يقضي على كل آلام الجسم، المشكلة أن زوجته بعد استخدام الكريم صارت كلما شعرت بالخوف من زوجها دفنت رأسها في فرن البوتاجاز، شعر صديقي بتأنيب الضمير، فقرر أن يصالح زوجته، فاشترى لها الطقم الذي يحمل اسم «عرض

روح البيت» عبارة عن ١٢٠ قطعة، ومعاه هدية ٦ أطباق مكرونة، وطقم شربات، وملاحة ٣ عين، وسكرية، ولبّانة، ومضرب بيض بـ ٧ سرعات بسلاحين والكبة الشقية لخرط الملوخية، اعتقدت زوجته أنه يجهز نفسه ليتزوج عليها «مع إن المطبخ على العروسة»، اتقمصت وقررت أن ترغمه على النوم على الكنبة، فلم يجد بديلًا عن شراء لحاف الثورة، وفوجئ في صباح اليوم التالي بابنه بملابس المدرسة يقف أمامه وهو نائم، ويهتف «تحيا جمهورية مصر العربية»، تأمل ابنه السمين، وتذكر كيف استعان على إنجابه بعسل النحل الجبلي الذي يزيد الخصوبة والفحولة، فكانت النتيجة أن أصيبت زوجته بفتاق مزمن عند الولادة، جرب صديقي مع ابنه كل المنتجات التي تجعل الناس تفقد وزنها جرافيك في الإعلانات، لكنها كانت تزيده سمنة، فقرر في النهاية أن يرغم ابنه على أن يشرب على الريق يوميًّا كوبًا من مزيل الدهون بتاع غسل المواعين، كانت النتيجة مبشرة، وأراد أن يعرضها على زوجته اللي كانت غضبانة عند أمها، فحمّل برنامج الـ«بي. بي. إم» على محموله، وصور الولد، وأرسل الصورة لأمه وتحتها تعليق «ابنك في المستشفى يا تلحقيه يا ماتلحقيهوش»، طلبت زوجته الطلاق فاكتأب، ولم يخرجه من الحزن سوى ألعاب حرب أكتوبر التي حملها على موبايله، ومن فرط إعجابه بها ربى سوالفه زي محمود ياسين في فيلم «بدور»، ألحت الزوجة في طلب الطلاق، فاتصل صديقي بخط «مستشارك القانوني»، ولخطأ تقني ما أصبح الآن يدفع نفقة ثلاثة أضعاف دخله الشهري.

بلدياتي ٢٣ / ٥ / ٢٠١١

زارني بلدياتي، سألته عما به وعن سر اختفائه، فقال: كان عمدة العزبة بمعاونة الخفراء يقودنا إلى الجحيم، لم يكن هناك بديل عن الاصطدام به وعزله، كانت المصادمات عنيفة، ولم يساندنا فيها أحد سوى ابن عمي الذي يعيش مع أصحابه على حدود العزبة لحماية مزارع القصب وماكينة الماء التي تروينا، بعد نجاحنا بفترة تغيرت الأمور، صار ابن عمي كلما قابلني يقول لي: «خد بالك أنا ماضربتش عليك نار.. مارضيتش أسمع كلام العمدة»، فكنت أهز رأسي له امتنانًا وشكرًا، إلى أن فاض بي يومًا فصرخت فيه قائلًا: «هو أنت فاكر يعني إنك لو كنت ضربت عليَّ نار أنا كنت هاسكتلك؟

أنت ماشوفتش لما أولاد أبو غازي ضربوا نار على أولاد عمهم حصل لهم إيه؟ ولا أولاد أبو صالح»، أسقط في يد ابن العم، فقلت: «وبعدين هو ينفع كل شوية تحط المسدس في راسي، وتقول لي خليك فاكر إني ماضربتش عليك نار؟»».

سألته عن طبيعة المشكلة، فقال: لا تتخيل قدر محبتي لابن عمي وأصحابه، كنا في انسجام وبمرور الوقت ظهر فرق السرعات، أنا سرعتي ٦٠ حصانًا، كلما تحركت أزعجته فيسعى لتلجيمي، سألته: ولماذ تزعجه سرعتك؟ فقال: لأن سرعته نصف حصان، هو يراني مجنونًا، وأنا أصبحت أشك فيه طول الوقت.

سألته: طب الناس في العزبة رأيها إيه؟ فقال لي: قال ابن عمي: نسأل الناس عن الطريقة التي نختار بها العمدة المقبلة، طفنا البيوت كلها بيتًا بيتًا لنعرف رأي الناس، أكثر من ٦٠٪ من الناس رفضوا أن يفتحوا لنا الباب أصلًا، والبقية وافق أغلبهم على ما قاله ابن العم وصديقه صلاح، حامل مفاتيح مسجد العزبة، سألته وإيه حكاية صلاح ده كمان؟

فقال: كل مؤهلات هذا الشخص إنه يحمل مفاتيح الجامع، لذلك يتعامل معه بعض الناس بخنوع، لأنه يحمل توكيل بيت الله ومعه المفاتيح، وهو القادر على أن يفتح لنا الجامع بمزاجه فنصلي، ولو غضب علينا مش هنلاقي حته نصلي فيها، ابن عمي عايم على عومه شوية، وفيه كلام إنه عايز يخلي صلاح العمدة، كل ما يفعله ابن عمي يؤكد هذا الاستنتاج، قلت له: وما المشكلة ما يمكن الناس عايزة صلاح، فقال: المشكلة أن صلاح تراجع عندما قررنا أن نعزل العمدة، وفي عز ثورتنا على العمدة كان صلاح يجلس معه ليتفاوض ويتحاور، صلاح مشغول بمصلحته الشخصية معظم الوقت، وكلما حاورته يقولك: اتق الله أنت عايز تخالف شرع ربنا؟ وكأنه يحمل توكيل شرع ربنا في نفس ميدالية مفاتيح الجامع.

سألته: وأين الناس المتعلمين بتوع العزبة؟ فقال: كل مجموعة أغلقت على نفسها باب المندرة، وراحت تتحاور، وتكلم بعضها البعض، ولم يفكروا في أن يجلسوا معنا على المصطبة، يطلون على الوضع من البلكونات، لبسوا لنا كرافتات ومعظمنا لايزالون حفاة.

قلت: طب والحل؟ فقال: قررنا أن نجتمع كلنا بعد صلاة الجمعة المقبلة علشان نعرف راسنا من رجلينا، ولو ماخرجوش معانا الـ ٦٠٪ اللي قافلين عليهم الباب هيأذوا نفسهم ويأذونا معاهم، قلت: وما الذي يضمن ألا يتضامن الناس مع ابن عمك أو صلاح؟

فقال: كلنا متضامنون مع ابن العم، لكننا نعرف أنه شاطر طول ما هو بيحمي ماكينة المية.. غير كده مالوش فيها، أما صلاح فالرهان على الذين لا يخيفهم أنه المالك الوحيد لمفاتيح الجامع.. أولئك الذين اعتادوا أن يصلوا معنا جماعة في الشارع.

لم تكن سيرة ناصر والسادات العطرة تخلو من العكّ، ولكن كانت لكل منهما كاريزما، يقودنا ناصر إلى النكسة فيتنحى، فتخرج الجماهير رافضة التنحي، يقف السادات في البرلمان يمسح بكرامة معارضيه الأرض بالاسم، فيصفق له الجميع لأنه كان يفعلها بـ«معلمة» عملًا بمقولة مصطفى شعبان: «حتى الغلط لازم يتعمل صح علشان يكيف»، كانت لكل واحد منهما جاذبية تقنن الشعور بالامتعاض تجاهه، وتجعل أشد المعارضين يمنحه فرصة جديدة، وتجعل حكم الأغلبية عليه في منطقة الـ«هات وخد»، أما في حالة الرئيس السابق فقد كانت في منطقة الـ«خد» فقط.

الكلام عن العفو لا يلقى قبولًا شعبيًّا، ليس لأسباب سياسية فقط، ولكن أيضا لعدم امتلاك الرئيس السابق جاذبية شعبية، والسؤال: لماذا لم يمتلكها؟

ربما لأنه كان يحافظ على صحته بطريقة تثير وطناً معظم سكانه "بعافية"، كانت صحته مستفزة لدرجة جعلت كثيرين يطلقون أساطير من نوعية «بيسافر كل ٦ شهور يزرع نخاع عيل لسه مولود»، في الفترة التي تحولنا فيها إلى شعب شبابه ورجاله رايحين جايين في الشوارع بملفات التحاليل الطبية، لم يغب الرئيس عن الأنظار ولو حتى بنزلة شعبية باستثناء رحلة ألمانيا الأخيرة (بس بعد إيه؟).

حتى الرياضة التي اشتهر بها (الاسكواش)، أكبر ملعب لها يسع ٣ آلاف متفرج بالعافية، لعبة لا تخصّنا ولا جمهور لها في مصر، وعندما قرر أن يزيد شعبيته فلعب «ماتش ودي» مع أحمد برادة هبطت أسهم برادة بعدها، فاعتزل اللعبة واتجه للغناء، ستقول لي: طب ما ناصر اشتهر بصورته وهو يلعب (البنج بونج)، سأقول لك هذا هو الفارق

فصور ناصر جعلت اللعبة شعبية، وأصبح في كل حارة ترابيزة بنج بونج قبل أن تحل محلها ترابيزات الـ«بلاي ستيشن».

حتى رهانه على كرة القدم كان خاطئًا، تمسكه بالظهور في الصورة مع المنتخب جاء من خلفية غير كروية بالمرة، كان يعتقد أن المنتخب سيظل البطل للأبد لا يعرف أن كل جيل كروي له دورة حياة قصيرة، ربط اسمه بالمنتخب، فلم تكن مصادفة أن ينهار النظام بالتزامن مع التعادل مع سيراليون، والهزيمة من النيجر.

وفي الوقت الذي كان فيه لناصر مقعد في الصف الأول في حفلات أم كلثوم، وكان السادات يكرم أباطرة الفن في عيد الفن سنويًّا، في الوقت الذي كانت فيه صورة الرئيس إلى جوار الفنان الكبير، إضافة لكليهما فوجئنا بالرئيس السابق يبدأ مسيرته بتبني محمد ثروت، وينهيها باستضافة طلعت زكريا (مع احترامي للجميع)، يعني لو كان سأل حد عن مطرب جماهيري، أو ممثل صاحب شعبية كانت هتفرق، ولكن هذا عيب الأسرة التي لا يوجد بها ابنة، فخلفة الأولاد ليست دائمًا ممتعة، فهي أولا «بتنشف» قلب الأب، وثانيًا تجعله بعيدًا عن التفاصيل التي تلمس القلب، لو كان للرئيس ابنة لاستفاد منها كثيرًا في اكتساب جاذبية شعبية، ربما لمح حزنها على ضحايا العبارة، فاتخذ موقفًا أكثر حسمًا، ربما شعر باكتئابها على خلفية الشاب الذي انتحر لرفض تعيينه في الخارجية لأنه غير لائق اجتماعيًّا فتفكر في مسألة العدالة الاجتماعية، لكن خلفته كانت أولاد، وخلفة الأولاد فقط تجعلهم يتحولون بمرور الوقت إلى مخبرين عايشين معاك في البيت.

كانت أناقة ناصر في القميص المحلاوي، وأناقة السادات في الجلباب البلدي، أناقة زعيم، لكن أناقة مبارك كانت تليق برئيس مجلس إدارة بنك، كانت جاذبية ناصر في الشعيرات البيضاء التي تليق بشخص ناضج مهموم بالبلد، وكانت جاذبية السادات في صلعته السمراء التي

تليق بشخص داهية، لكن قل لي هل المصريون من النوع الذي يتقبل بسهولة رجلًا تجاوز الثمانين دون شعرة بيضاء واحدة بالرغم من أنه مشيِّب الجميع؟!

لم يعرف الرئيس السابق طريق الكاريزما الشعبية؛ لأنه كان طيارًا يتحدى الجاذبية الأرضية ففقدها، طيارًا يحلّق فيرى الناس في حجمهم الطبيعي، ثم يراهم أقزامًا، وبمرور الوقت يصبح «مش شايفهم أصلًا».

هل سيسعدك إعدام مبارك؟ ٢/ ٦/ ٢٠١١

من الأفضل لك ألا تهرب من الإجابة، أو تحاول تأجيلها.

أفكر معك بصوت عالٍ، يسعدني بشدة أن يتعرض كل من ساهم في تخريب جزء من هذا البلد لمحاكمة عادلة ترضينا جميعًا، وأعرف أن الرئيس السابق قد يحصل على حكم بالإعدام إذا ثبت تورطه في مسألة إصدار أوامر بفتح النار على المتظاهرين، وأعرف أن الحكم في هذه الحالة سيكون عادلًا تمامًا، وإن كان لن يعيد إلى شاب في مقتبل عمره عينًا فقدها، أو أحلى أيام عمره التي سيقضيها في الفراش حتى يعود إنسانًا طبيعيًّا، ولن يعوض أمًّا عن ابنها الذي مات وهو يستهل حياته بكل الأمل.

لكنني أسأل عن وقع تنفيذ الحكم عليك، لا أدعوك للتعاطف، أو الشعور بالشفقة، ولا أدافع عن أحد، أطلب منك أن تتخيل أن غدًا هو موعد تنفيذ الحكم، كيف ستشعر؟ شعور بالفرحة الطاغية.. شعور بانتصار العدل.. شعور بالامتعاض.. شعور متبلد؟

حدد إجابتك وأيًّا كانت فهي صحيحة.. فمشاعرك تخصك، ولن تُغير في الأمر شيئًا.

أفكر في لقطات مماثلة، فأسأل مثلًا: لماذا لم تعدم ثورة يوليو الملك فاروق وهو الذي فعل ما فعل بداية من الفساد والاحتكار، ونهاية بقتل شباب المصريين بزجهم في حرب فلسطين بأسلحة فاسدة في صفقة فاسدة؟ هل كان الضباط الأحرار يخافون على سمعة ثورتهم؟ هل كانوا يخشون تعاطف البسطاء والعاديين، وهم أبناء شعب عاطفي؟ هل رأوا أن العفو عن فاروق وترحيله سيضيف إلى جاذبية الثورة والتفاف الناس حولها؟ هل فكروا كثيرا، وقرروا في النهاية اللجوء إلى حل وسط فأرضوا الجميع، المطالبين بإعدام فاروق والمرتبطين به عاطفيًّا؟

أفكر معك فأسأل مثلًا: لماذا أصابنا جميعًا الاكتئاب بعد تنفيذ حكم الإعدام في صدام حسين، وهو الذي قتل أبناء شعبه قتلًا جماعيًا باستخدام الأسلحة الكيماوية، وشرد ونكّل بمئات الآلاف، وحكم بلاده بالحديد والنار؟ لماذا أصبنا بالكمد ونسينا كل ما فات، وكل ما وجهناه لصدام من سباب واتهامات بالخيانة والعمالة؟ وكيف منحه البعض بعدها شعبية جديدة لدرجة حولته إلى أسطورة جعلت الناس تطل علينا كل قليل بخبر أن صدام لايزال حيًّا، ويعيش في جزيرة بعيدة؟ لا تقل لي إننا تعاطفنا لأن الأمريكان هم الذين أعدموه، فمن الثابت بالصوت والصورة أن أبناء وطنه هم الذين قادوه إلى حبل المشنقة بزفة من الإهانات، وهم الذين نفذوا فيه حكم الإعدام، وهم يصيحون في وجهه إلى جحيم الله يا صدام.

أكرر: هذا المقال لا يدعوك لأي شيء سوى التأمل والتأهيل النفسي المبكر استعدادًا لهذا اليوم المحتمل، فنحن المصريين حالة خاصة جدًا لا يمكن أن تتوقع ردة فعلنا تجاه أي شيء، نتعاطف حيث لا معنى للتعاطف، ونقسو حيث لا تتوقع القسوة أبدًا، ونتفاجأ دائمًا بأن رمضان بعد بكرة، وننحاز لمن هو في موقف الأضعف (بغض النظر عن أن تلات تربع البلد أهلاوية)، وأنا أطالبك يا صديقي منذ هذه اللحظة بأن تحدد حقيقة شعورك منعًا لأي بلبلة فكرية قد تدمر فصوص مخك عندما يقع ما نتوقعه، ذلك لأننا نعرف جيدًا أن الأمر جديد علينا تمامًا.

فكر واتخذ قرارك، وتمسك به لنفسك حتى لا تسحلك المهاترات التليفزيونية والصحفية التي سنعيشها في أعقاب هذه اللحظة، افرح وهذا حقك، أو احزن من دلوقتي، وانجز «ماتضمنش ظروفك هتكون إزاي وقتها»، وصدقني -أو لا تصدقني- أنت حر، هذا المقال ليست له علاقة بالرئيس السابق، ولكنه بخصوص حضرتك.

حوض الكبابجي ٤/ ٦/ ٢٠١١

كانت متابعة ردود الفعل حول مقال «هل سيسعدك إعدام مبارك؟» شيقة وشاقة، تمنيت لوهلة أثناء متابعة الردود لو كان لهذا المقال مساحة أكبر، لتوضيح الفكرة بشكل يقي كاتبها شر التربص، هذا هو عيب أن تكون المساحة المتاحة محدودة بعض الشيء، فعندما تمتلك مساحة أكبر تصبح الكتابة نابعة من أرضية تشبه «رخامة الفطاطري» بكل ما فيها من اتساع يسمح لك بالعجن بأريحية، أما المساحة الأقل فتجعل الكتابة نابعة من أرضية حوض الكبابجي «صغير ودايمًا مسدود»، تتمنى لو تنهي مهمتك بسرعة، وأفضل نتيجة ممكنة قبل أن يفيض عليك بما به.

ضرب هذا المقال الرقم القياسي في عدد الإيميلات والتعليقات التي تلقيتها، أجاب بعض القراء عن السؤال بوضوح وصرامة (نعم سأفرح لإعدامه)، البعض الآخر أعلن عن موافقة ضمنية مستترة خلف كتابة ممتعة عن القصاص، ولماذا شرعه الله، والحكمة الكامنة فيه، هناك من تضامن مع الملك فاروق على حساب مبارك، وسمعت اجتهادات كثيرة أقربها إلى الصحة معلومة أكدها أحد أساتذتي، أن فاروق لم يوافق على خوض حرب فلسطين، وأن الأسلحة الفاسدة لم تكن فاسدة بالمعنى الحرفي، بل كانت أسلحة رديئة من مخلفات الحرب العالمية الثانية، وأضف إلى ذلك أن الجنود المصريين لم يتدربوا عليها، ولم يعرفوا كيفية استعمالها.

نصف الردود المتبقية عبرت عن نموذج القارئ شبه الشائع في مصر، فإذا كان هناك كُتَّاب تمتلئ بهم الصحف لا يجيدون الكتابة، فهناك أيضًا قراء لا يجيدون القراءة.. إنه النوع الذي لا يقرأ المقال، ولكن يقرأ كاتب المقال ليصنفه، أو يبحث بين السطور عن أي أدلة تثبت صحة نظرية سابقة التجهيز في عقله وغالبًا هي نظرية سلبية يغلب عليها طابع

المؤامرة.. إنه لا يقرأ المكتوب، ولكن يقرأ ما يود هو أن يقرأه، فعلى سبيل المثال أجاب عدد كبير من القراء عن سؤال غير الذي طرحته،

أجابوا عن سؤال (هل تؤيد العفو عن مبارك؟)، وهو ما لم أطرحه من قريب أو بعيد، السؤال كان واضحًا: (هتحس بإيه لو أعدموه؟) والدعوة كانت واضحة لتأهيل العاطفيين المحيطين بنا لهذه اللحظة، حتى لا ينقلب السحر على الساحر، والدعوة للقضاء مبكرًا على أي تشويش محتمل كانت واضحة، وكان المقال إجمالًا يحثك على تأمل حدث جديد علينا تمامًا، والتأهل له نفسيًا، لكن البعض اعتبرها فرصة مجانية للمزايدة، وأخذته الثورية المفتعلة فنسي أنني قبل هذا المقال بيوم كتبت مقالاً اسمه «الجاذبية الأرضية» عن أسباب استحالة العفو عن الرئيس السابق.. لكنه قارئ بلا ذاكرة يسير مع الرايجة ويتعامل مع العالم يومًا بيوم، شخص بهذه المواصفات أليس مرشحًا بقوة لأن ينسى الشهداء الذين يتحدث عنهم اليوم، ويتعاطف مع مبارك لاحقًا إذا أخذه التيار العام في هذا الاتجاه؟

محاكمة عادلة شفافة على يد قاض جريء تثبت أننا أصبحنا دولة سيادة القانون هي ما يجب أن يسعدنا بالفعل، وكل ما أحلم به قبل استجواب مبارك عن الثروة والمظاهرات استجوابه عن أسرار إدارة البلد خلال الأعوام الثلاثين الماضية، وعن كواليس كل ما جرى حتى نفك شفرة بواقي نظامه في الأيام المقبلة.

قسوة وفجاجة بعض الردود كانت متوقعة، فنحن نعيش جميعًا في ظرف عصبي جدًا، يدفعنا لأن نحتد على بعضنا في مواقف مختلفة. عزائي أن هناك قلة لم تفسدها الأجواء العصبية، وظلت محافظة على موضوعيتها وعقلانيتها، وهو أمر يذكرني بمقولة أحد مشايخنا الكبار (ربما ابن عطاء الله السكندري)، إذ قال: «ليس العجب ممن هلك كيف هلك، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا».

حافية على جسر السويس ٥/ ٦/ ٢٠١١

أنا من محبي الدكتور ممدوح حمزة، لكنني أتساءل إن كان استطاع أن يطفش الدكتور فاروق الباز، ولا أنا بيتهيألي، فقد اختفى نهائيًا الكلام عن الباز، وعن مشروع ممر التنمية منذ أعلن حمزة أن المشروع فاشل، بل إنه طلب مناظرة الدكتور الباز لإثباتِ وجهة نظره، فلم يظهر الباز من ساعتها، كنا قد اعتدنا أن تطفش الدولة علماءنا.. أخشى أن يكون التطفيش حدث هذه المرة على يد من نشهد لهم بالوطنية والإخلاص مثل الدكتور حمزة، أرجو أيضًا من الدكتور حمزة في حال امتلاكه تعليقات سلبية على مشروع الدكتور زويل أن يطول باله قليلًا؛ لأننا ما صدقنا مسكنا فيه.

أنا أيضًا من محبي الدكتور شرف، وأعرف أنه قد يستجيب لدعوة سمير زاهر لحضور مباراة مصر وجنوب أفريقيا، فهو محب لهذه اللقطات التي تقربه من الشعب، بداية من لقطة الفول والطعمية، ونهاية بلقطة محتملة له في المدرجات يحمل علم مصر، لكنني آمل ألا يستجيب الدكتور شرف لهذه الدعوة، آن الأوان أن يتغير شكل علاقة رأس النظام بالرياضة، لا نريد أن نعيد مأساة «منتخبنا كويس زي ما قال الريس»، نتمنى أن الريس نفسه يكون كويس ومش مهم المنتخب.. قرب رأس النظام من اللعبة الشعبية الأولى، أفسد اللعبة وبقية اللعبات الأخرى، تذكّر كيف حصل سمير زاهر على حكم البراءة في قضية التزوير، لأن محاميه منتصر الزيات قدم لهيئة المحكمة صورة لزاهر مع مبارك وهو يكرمه، وقال: كيف يكرم مبارك رجلًا مزورًا!

يكفي أن شخصًا نحبه مثل حسن شحاتة يدفع ثمن هذه العلاقة حتى الآن، يكفي ألا يتوسط ابنا الرئيس السابق لشخص يحتاج لعلاج على نفقة الدولة، ويتوسطا لحل أزمة الحضري، القصص والأمثلة كثيرة، لذلك أدعو الدكتور شرف لأن يقود ثورة التغيير في علاقة الحكومة

بالرياضة، وبدلًا من الذهاب لماتش المنتخب أتمنى أن يستقبل في مكتبه لاعب كرة اليد أحمد الأحمر، الذي حصل على لقب أحسن لاعب في بطولة العالم الأخيرة للأندية.

بالمناسبة أنا من محبي شيكابالا، لكن تصريح محمد بركات في برنامج شوبير، الذي قال فيه: «شيكابالا أحسن لاعب في مصر»، يجعل بركات نفسه أحسن لاعب في مصر بجد.

أنا أيضًا من محبي الفنانة صباح، وأستعد لمتابعة المسلسل الذي سيحكي قصة حياتها في رمضان، فمن الواضح من الإعلان أنه سيكون إنتاجًا ضخمًا.. يمكن ملاحظة ذلك من الـ١٢ «باروكة» التي ظهرت بها كارول سماحة في الإعلان، أنا شخصيًا معجب بشعار قناة الحياة «رمضان يقربنا»، وأتمنى أن يتحقق.. لكن صدقني رمضان لن يقربنا إلا إذا استغنينا عن التليفزيون في هذا الشهر.

وبمناسبة الخامس من يونيو، أنا من محبي أفلام حرب أكتوبر.. ولكن هناك مشهدًا يحيرني، وهو مشهد إذاعة بيان العبور عقب حدوثه بقليل، المشهد ثابت تقريبًا في كل الأفلام، نهار خارجي.. مجموعة من المواطنين تجلس في مقهى بلدي تشيِّش، وتشرب الشاي، وتلعب الطاولة، والراديو يذيع فجأة مارشات عسكرية، يقف المعلم صاحب القهوة ويضع أذنيه بالقرب من الراديو، ويلتف حوله رواد المقهى، يذاع البيان فيهلل الجميع، ويتبادلون الأحضان، ويأمر صاحب المقهى بمشاريب مجانية لكل الناس، في اللحظة نفسها تنزل سيدة في منتصف العمر (غالبًا هدى سلطان) لتوزع الشربات على أهل الحارة، الثابت تاريخيًا أن العبور حدث في منتصف يوم العاشر من رمضان وأذيع البيان بعدها بقليل، بما يعني أننا كنا في عز الصيام.. طب الناس دي كلها كانت على القهوة بتعمل إيه؟!

شكرًا لهذا الجيل ٧/ ٦/ ٢٠١١

سأجن من الناس الفرحين بخروج منتخب مصر من التصفيات؛ لأنهم يرونه منتخب مبارك، أو منتخب شحاتة الذي خرج في مظاهرات تأييد مبارك، هذا الخلط الأعمى بحجة الثورة هو أكبر إساءة للثورة، ودليل على أن حضرتك فاهم المواضيع غلط، لأننا خلال الأعوام الماضية لم نكن نذهب للاستاد، ونهتف لمبارك أو لشحاتة، أتحداك أن تتذكر هتافًا جماعيًا واحدًا كان يهز الشوارع والمدرجات سوى هتاف «تك تراك تك تك مصر»، كنا نسخر من زيارات مبارك لمعسكرات المنتخب، وبرقيات التهنئة التي يوجهها بعد الفوز، كان الأمر بالنسبة لنا مجرد إفيه لم نتوقف عنده كثيرًا، ولم يمنعنا من النزول إلى الشوارع بالأعلام لنهتف باسم البلد.

في عز ما كانت مصر بتضرب حضرتك بالشلاليت في كل حتة في جسمك، لم تكن تمتلك مكانًا لتقول فيه إن قلبك معلق بهذا البلد رغم كل هذه الشلاليت، وتهتف فيه بحرقة ومن أقصى أعماق قلبك «مصر»، سوى الاستاد، لقد حافظ المنتخب طيلة السنوات الست الماضية على كلمة مصر مشتعلة بداخلنا في الوقت الذي كان النظام يحاول فيه أن يخمدها، كان لدينا شيء ملموس نستطيع أن نتباهى به حتى لو كان فريق كرة قدم.

قل لي أين كان موقع علم مصر من حياتنا اليومية قبل ٢٠٠٦؟ كنت تراه ذابلًا في حوش المدرسة، أو مهترئًا فوق مبنى مصلحة حكومية، فتح المنتخب الباب لعلم مصر ليستعيد وجوده، أصبح علم مصر في كل مكان في البلكونات قبل الاستاد، وفي أيادي الأطفال والمراهقين قبل شباب الألتراس، أصبح علم مصر يباع في كل مكان سواء فيه ماتش أو مافيش، أصبح لا يوجد بيت واحد في مصر لا يوجد به علم، والفضل في ذلك للمنتخب، واللي يقول غير كده يبقى مش واخد باله، ستة أعوام

والعلم المصري يرفرف في كل مكان يحمله كثيرون منا، وفي قلوبهم معان أكبر من المنتخب.. لكن المنتخب كان الرمز، ولعلمك في الأيام الأولى من الثورة كان معظم الأعلام التي رفرفت في التحرير من خزين أعلام ماتشات المنتخب الموجودة في معظم البيوت.

كانت مدرجات استاد القاهرة وجموع الاحتفال في التحرير بعد الفوز في الماتشات إرهاصات مبكرة اختبرنا فيها (دون سابق تخطيط) قدرتنا على أن نكون كتلة واحدة مخيفة، لقد كان الاستاد مقرًّا لبروفات الثورة، وعندما جمع الناسَ هدف واحد في ٢٥ يناير لم يكن هناك أي شعور بالغربة بينهم، كان الزحام مألوفًا، وكانت الأرواح قد سبق لها أن تعارفت وذابت في كيان واحد.

لم يكن شحاتة أو أولاده يقصدون كل ما سبق، لكن للأمانة يجب أن نقول إنهم كانوا سببًا، كان هذا الجيل يشبهنا بلاعبيه المكافحين أبناء الأقاليم، بالتزامه (منتخب الساجدين)، بفطرته السياسية الشعبية (تعاطفًا مع غزة)، كنا نحب فيهم إخلاصهم وأخلاقهم، بل إننا أصبحنا نتكلم مثل شحاتة، ونعترض أحيانًا على ضمه للاعب فلان؛ لأنه (عيل قليل الأدب)، أمتعونا، وسنجلس على المقهى بعد عشر سنوات أو أكثر، ولدينا حكايات نحكيها مؤرخة بماتشات المنتخب، سنقع في قلة الذوق، والجليطة الثورية إذا قلنا لهم: «يا منتخب مبارك»، ونفرح لأنهم خرجوا من التصفيات، والسبب أن شحاتة كان من مؤيدي مبارك، وأن اللاعبين لم ينزلوا ميدان التحرير بالرغم من أن معظم أهالينا كانوا يدافعون عن مبارك حتى اللحظات الأخيرة، ومعظم المصريين لم ينزلوا ميدان التحرير، لكننا سنكون مصريين كما ينبغي عندما نفهم أنهم مجرد لاعبي كرة قدم يشبهوننا، أدخلوا على قلوبنا البهجة في أيام سوداء، وأدّوا مهمتهم على أكمل وجه، وتمام لحد كده.. فلا أحد يظل بطلًا إلى الأبد، وإن كان ثمة شيء يستحقونه منا الآن يبقى الشكر، وليس الشماتة.

رهين المحبسين

بقلم عمر طاهر ٦/ ٦/ ٢٠١١

ترى زوجتي أنني أصبحت أنا وتليفوني المحمول نشكل توأمًا خرافيًّا ملتصقًا نصفه رجل أصلع بنظارة، ونصفه الآخر ماكينة بشاحن ذي لقمة ثلاثية، والصراحة عندها حق، فقد اكتشفت أنني بعد الثورة وعبر شاشة المحمول أصبحت «أنا المصري رهين المحبسين»: (التويتر والفيس بوك)، وهذا ليس حالي وحدي، فهي مشكلة كثيرات من الزوجات المصريات يرين أن استقرارهن الأسرى مهدد بسبب انشغال أزواجهن بمتابعة أحوال الثورة أكثر من متابعة أحوال البيت، للدرجة التي تجعلهن قد يتوحدن جميعهن قريبًا في «ائتلاف مطلقات الثورة».

من الرسائل التي تصلك عمّال على بطّال على «فيس بوك» (أو الـ«فيه سجق» على رأي صديقي) دعوات للانضمام إلى جروبات تجمع الناس لأسباب ظاهرها حق، وباطنها فراغ فكري، مثل دعوة للانضمام لجروب «تحداني يهودي متعصب أن أجمع مليون شخص مسلم على فيس بوك»، أو جروب «تحداني زملكاوي مجنون أن أجمع مليون أهلاوي لا يحبون حسام حسن».

سرحت بخيالي، وناقشت أصدقائي الفيسبكاوية في أفكار الجروبات المحتملة من هذا النوع في الأيام المقبلة، وفكرت لِم لا أشركك أنت أيضًا عزيزي القارئ في هذا الخيال المريض؟! مثلا تحداني ذنب ديجيتال أن أجمع مليون شخص يعرفون سر الخناقة على المادة الثانية من الدستور، والتي تناقش هوية الدولة الدينية مع إن الناس كلها كفرانة.

تحداني متوحد وطني أن أجمع مليون شخص أخدوا بالهم من أن أحد أهم الرموز الاحتفالية الإسلامية، والذي نطلق عليه لقب «فانوس» هو اسم قبطي شائع في بلدنا.

تحداني ليبرالي متقوقع أن أجمع مليون شخص لن يصدقوا أحد مشايخ الفضائيات، الذي سيطل علينا قريبا بنظرية تقول إن البلد كانت بتقع في السنين اللي فاتت لأن (الدين ماكانش بيدخل في المجموع).

تحداني رئيس سابق (نقلًا عن محمد يحيى) أن أجمع ١٠٠ ألف دكتور فاهمين يعني إيه ارتجاف أذيني.

تحداني بطرس غالي أن أجمع مائة شخص يعرفون هو فين دلوقتي (على فكرة أنا جمعت الـ١٠٠ دول لكنني تلقيت بعدها دعوة لجروب «طب تحداني بطرس غالي أن أعرف هو هربان بكام؟»).

تحداني خنزير مجنح أن أجمع ١٠٠ ألف شخص كان نفسهم يضربوا سواق الميكروباص اللي راكبين معاه بس خافوا.

تحداني فني سكانر أن أجمع ١٠٠ ألف واحد بيلاقوا دايمًا صفيحة الزبالة بتاعة الجيران قدام بيتهم همه.

تحداني كلب بلدي أن أجمع ١٠٠ ألف شخص عندهم حاجة فايضة يرموها في الزبالة أصلًا.

تحداني ناشط سيامي أن أجمع ١٠٠ ألف بنت مابتفتحش بقها وهي بتحط ماسكرا.

تحداني مقاول جرافيك أن أجمع ١٠٠ ألف شخص عند سؤالهم عن العنوان يقدمون إجابة غير «أنت إيه اللي جابك من هنا؟»، أو «همه قالوا لك فين؟»، أو «ماتعرفش جنب إيه؟».

تحداني حامل راية متقاعد أن أجمع ١٠٠ ألف شخص فاهمين البلد ماشية إزاي؟

تحداني تاجر سيديهات تائب أن أجمع ١٠٠ ألف شخص ليس لديهم شك أنه في حالة عودة مبارك سيخرج علينا سيادة المستشار منصور، مؤكدًا أنه من أوائل الناس التي خرجت في مصطفى محمود ليلة ٢٥ يناير، والدليل التسجيل الصوتي الذي تبرأ منه في النيابة.

تحداني قاتل تسلسلي (نقلًا عن أحمد المرسي) أن أجمع ١٠٠ ألف تعليق متشدد من صفحات الأخبار لا تبدأ بجملة أقسم بالله أنا مش إخواني، أو سلفي.

تحداني مغسل وضامن جنة (نقلا عن محمد الميرغني) أن أجمع ١٠٠ ألف سواق تاكسي لا يبدأون كلامهم معك أثناء التوصيلة بجملة، «آدي اللي خدناه من الثورة».

تحدتني أمي أن أجمع ١٠٠ واحد يقدروا يقولوا إنها خلفت.

أسئلة مشروعة ٨/ ٦/ ٢٠١١

القارئة صافيناز سليمان تعاملت مع مقال أفكار جروبات التحدي كما لم يتعامل أحد من بقية القراء الذين وصلتهم الرسالة الكامنة في السطور الساخرة. صافيناز كانت لها رسالة أخرى اختارت الأسلوب نفسه الذي كتبت به هذا المقال، ووجهت أسئلة لا أنشرها، لأنها تحدتني أن أفعل، ولكن أنشرها لأنها صوت يعبر عن طريقة تفكير كثيرين، ولأنها وجهة نظر نادرا ما يتم طرحها ومناقشتها بدون انفعال، ولأن بعض أسئلتها تشغل تفكيري أنا أيضا، وتحتاج إلى إجابة (ربما في مقال الغد)، بينما بعضها يجيب عن نفسه.. أو هكذا أعتقد.

تقول..

تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ما معنى أن يطلع في التليفزيون شخص ما يقول للمصريين إيه دخل ربنا في السياسة؟ تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ليه كل وسائل الإعلام مابتستضيفش ذوي الفكر السياسي الديني، إلا علشان تحرجهم، وتتصيد لهم الأخطاء؟

تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني إزاي سيدنا محمد بيقول لو أن فاطمة سرقت لقطعت يدها، ولسه فيه ناس بتقول حرام عليكو سيبوا حسني مبارك؟ تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني، إذا كانت الدولة الإسلامية دولة فاشلة على مر العصور زي ما بيقول علاء الأسواني، طيب إيه نموذج الدولة المدنية العلمانية العظيمة اللي هانعمل زيها؟

تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ليه أيام الاستفتاء كنتوا بتتكلموا عن الديمقراطية، وبعد النتيجة كله طلع يقول إن مصر كلها جهلة؟

تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ليه لما أقول رأيي لازم الأول أحلف إني مش من الإخوان، ولا السلفيين؟ (على فكرة أنا لا إخوان، ولا سلفيين). تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ليه الإعلام رسخ في نفوس الأطفال، والمراهقين، والمسيحيين إنك لو شفت واحد ملتحي، ولابس جلابية قصيرة، أو واحدة منقبة اجري (على فكرة أنا مش منقبة)؟ تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ليه كل أفلام عادل إمام (وهو من له من التكريم أكتر من أي عالم، أو مفكر، أو رجل دين) لازم بيبقى فيها واحد ملتحي أهبل، أو حرامي؟

تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ليه كل شوية بنشوف كلمة الشيخ الشعراوي الثائر الحق، ومش بنشوف وجهة نظره في العلمانية، وهي موجودة ومنتشرة على الإنترنت؟ تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ليه الخمستاشر عشرين واحد اللي في كل التليفزيونات، والجرايد، والندوات بيحاولوا بالعافية يوصلوا إن رأيهم بس هو اللي صح، ومع كده بيقولوا إنهم ضد الديكتاتورية، ومع الديمقراطية؟ تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ليه الإعلام بيرسخ إن الاسلام، واللي هما مايعرفوش عنه غير الإخوان والسلفيين معناه قطع اليد؟ هي ليه الناس خايفة من قطع اليد؟ أنت بتسرق؟ تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ليه واحد نسي يحلق دقنه الصبح، ونزل خطف شنطة واحدة ماشية في الشارع تتكتب بكرة في الجرنال: سلفي يروع الآمنين في الشارع؟

تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف واحد يفهمني ليه من حق شخص، أو مجموعة من الأشخاص إنهم يقرروا لنا نعيش إزاي، لكن ربنا مش من حقه؟ تحداني إنسان طبيعي أن أجمع ١٠٠ ألف شخص يفهمني ليه الناس اللي بتقول قال الله، وقال الرسول تبقى مضطهدة في عصر مبارك، وبعد الثورة أيضًا؟ تحداني شخص أن أجمع ١٠٠ واحد يفهموني ليه الناس خايفة من الدين، ومش خايفة من العقل البشري؟

عن الأسئلة المشروعة ١١/ ٦/ ٢٠١١

(١) لا خوف من الدين، الخوف من إساءة تسخير البشر للدين لخدمة أغراض دنيوية، الدين الذي جاء به سيدنا النبي، وكان هدفه بنص حديثه (جئت لأتمم مكارم الأخلاق) الأخلاق، وليس شيئًا آخر، سيدنا النبي الذي عندما أراد الله أن يمدحه لم يجد سبحانه أجمل وأرقى من: (وإنك لعلى خلق عظيم).. هذه الرسالة القائمة على الأخلاق، واستخدام الأخلاق في صنع الحضارة.. الخوف ممن يستخدمها في نفي الآخر، والقتل، والتفجير، وإقامة دعاوى الحسبة، واقتحام الكنائس، واحتلال المساجد، وتشتيت وحدة المسلمين، وتحويل الخلافات الفقهية إلى خلافات عقائدية، الدين مصباح سحري سيحقق لنا كل ما نحلم به، من حقنا أن نعترض على الشخص الذي وقع في يده المصباح، إذا شعرنا بأنه لا يستخدمه لصناعة حضارة، لكن لصناعة حزب، أو كتلة برلمانية بالأساس.

لا أخاف من الدين أبدًا، بل أؤمن بمقولة شيخي صلاح الدين التيجاني بأن الدولة الإسلامية دولة مدنية مبنية على احترام دين الأغلبية، واحترام دين الأقلية أيضًا، وأن سيدنا النبي أقر في إطار هذه الدولة محاكمة أهل الكتاب حسبما ورد في كتابهم أو دينهم، وأن الإسلام دين عالمي إذا صح تطبيقه سيشمل العالم كله، لأن سيدنا النبي في الأصل أتى رحمة للعالمين.

(٢) بخصوص التربص، فالكل معرض له في هذه الأيام، لكن يبدو المتحدثين من مرجعية دينية الأكثر وقوعًا في هذا الفخ، لأنهم اختاروا أن يتحدثوا باسم الله، وهنا وجب الانتباه لأنك تتحدث، وكأنك تمتلك توكيل الكلام باسم الله على الأرض، وسأقف لك على الواحدة؛ لأنه لا دليل على أنك حريص على رضا ربنا أكثر مني، ما رأيك في تصريح المرشد العام الذي قال فيه إن نكسة يونيو كانت انتقامًا إلهيًا بسبب اعتقالات الإخوان؟ هل استشهد عشرات الآلاف من شباب مصر انتقامًا لبضع مئات في المعتقلات؟ ولماذا يحرم الله عشرات آلاف الأسر من

رجالها وأبنائها إكرامًا للإخوان؟ أليس من الأسهل أن يمكّنهم مباشرة من الوصول للحكم؟ كيف منح المرشد الجماعة قداسةً ما، يعاقب الله من يمسها؟ وهل يفترض أن أخاف العقاب الإلهي الجماعي إذا فكرت يوما في انتقاد أفكار الإخوان؟

مثل هذه الأفكار تجعلك متربصًا رغم أنفك، وإذا كنا نلوم بعض المثقفين إيمانهم بأنهم يحتكرون معرفة مصلحة البلد، فيجب أن نلوم أكثر من يعتقد أنه يحتكر معرفة الله، الطرفان يضعاننا في استفزاز مربك لا يفيد أحدًا، ويحرمنا من أي فرصة طبيعية للتواصل.

(٣) الحرية التي نحلم بها ليست بدعة، فهي منحة ربانية تضع النقاط فوق الحروف من الأساس، «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»، لكنها حرية تحترم المجتمع، النقاب مثلًا وبغض النظر عن الخلاف الفقهي حوله أعتبره جزءًا من حريتك الشخصية التي سأدافع عنها، لكن مادمت احترمت حريتك الشخصية، فيجب عليكِ أيضًا احترام المجتمع، فلا شيء يمنع مراقبًا في لجنة امتحانات، أو عامل أمن، أو موظفًا في الشهر العقاري أن يعرف هوية الشخص الكائن تحت النقاب.

(٤) كلامي ليس هجومًا على التيار الديني قدر كونه دفاعًا عن ديني كما أفهمه، وليس انحيازًا لأنصار الليبرالية قدر حرصي على أن أساندهم في قيمة يدعو لها ديني بالأساس وهي الحرية، لي تحفظات على الاثنين، لذا أستمع للجميع، وأفرز كل الأفكار، وأنتقي ما يصح أن أتبناه، وأتخلص من الباقي، فأجمل ما في الأفكار أنك لست مضطرًّا لشرائها بالجملة، استمع للجميع باحترام.. هكذا يأمرنا النبي، ويأمرنا أيضا بعدها أن «تستفتي قلبك»، ولكي يفتيك قلبك بالصحيح لابد أن تكون أولًا إنسانًا متحضرًا ومخلصاً وصاحب ضمير، إذا أصبحنا كلنا كذلك سنجد أنفسنا نعيش تلقائيًا في دولة إسلامية، أجمل ما فيها الليبرالية، أو دولة ليبرالية أجمل ما فيها أنها تستلهم روح الإسلام ورسالته.

إجابات مشروعة ١٢/ ٦/ ٢٠١١

أما تطبيق الحدود فخوفًا من أن أفتي فيما لا علم لي به، وحتى أحسم الفكرة بيني وبين نفسي هربًا من دفاع أعمى عنهان أو هجوم جاهل عليها، عدت إلى شيخي الجليل صلاح الدين التيجاني الذي قال: لا يوجد شيء في الإسلام اسمه «تطبق حاجة، وتسيب حاجة»، فلا يصح أن أطبق حدود الله، و«أسيب الناس مش لاقية تاكل»، ولنا عبرة في سيدنا عمر بن الخطاب الذي رفض إقامة حد السرقة في وقت المجاعة، فإقامة مجتمع عادل متكافل هي الأساس.

وقال: الحدود نظام راقي يحتاج تطبيقه إلى مجتمع أكثر رقيًا، ضميره يقظ، عندما شرع الله الحدود كانت الناس وقتها «ضميرها صاحي»، فكانوا يسعون بأنفسهم لإقامتها عليهم، مثل أبولبابة الذي تخلف عن الجهاد مع الرسول، فربط نفسه إلى شجرة لفترة طويلة، وأقسم ألا يحل وثاقه أحد سوى النبي نفسه عند عودته.

شرعت الحدود في زمن كانت الناس تسعى فيه للاعتراف بخطئها، وحتى عندما تعترف بخطئك يلزم الشرع القاضي أن يراجعك أكثر من مرة، ويمنحك الفرصة لتنفي أولا..

مثلما ذهب «ماعز بن مالك» إلى سيدنا النبي، وطالبه بإقامة حد الزنى عليه، فراجعه النبي عدة مرات «لعلك هممت، أو لعلك قبلت إلى آخره»، لكن ضمير الرجل المتيقظ جعله يتمسك باعترافه، حتى عندما انصرف كان سيدنا النبي متماديًا في أن يكون رحيمًا، فسأل أصحابه إن كان هذا الرجل سليم العقل، الشرع أيضا يجعلك لا تطارد رجلًا تقيم عليه الحد إذا هرب منك ساعة التنفيذ، مثلما فعل أحد الرجال أمام الرسول، فطارده عمر بن الخطاب حتى أمسك به، فقال له النبي فيما معناه: «لو كنت تركته لكان أفضل لك»، حتى في جريمة القتل يتم إحضار أولياء

الدم (أهل القتيل)، ويسألونهم العفو، فإذا كانوا من طلاب الآخرة عفوا عنه، فعفا الله عنهم في الآخرة، وإذا كانوا من طلاب الدنيا عرضت عليهم الدية، والدية باهظة يتكفل بدفعها أهل القاتل؛ لأنهم لم يحسنوا تربيته، وأولياء الدم لابد أن يكون عددهم عشرة أشخاص، فإذا رفض تسعة منهم العفو ووافق عليه واحد فقط كان العفو مستحقًّا، كان ضمير الأمة متيقظًا، فكان الشرط الأول من إقامة الحدود متحققًا، (قل لي مَنْ الآن سيعترف بجريمته، ومن سيتمسك باعترافه إذا راجعته مثل الرجل الذي زنى، ولم يشهد عليه أحد؟).

يقول شيخي صلاح الدين التيجاني: الحدود في ظاهرها قسوة لردع المجتمع، ولكن في باطنها الرحمة، فهي مليئة بضوابط كثيرة تبين لنا كيف أن الله يحافظ على النفوس حتى لو أجرمت أو قتلت، مثل العفو، ومراجعة المعترف، وعدم مطاردة من يفكر في الهرب أثناء تنفيذ الحد، وصرامة الاحتكام لأعداد محددة من الشهود في أي جريمة، وإقامة الحد عليهم إذا ثبت عدم صدقهم، كانت الحدود ملائمة لمجتمع يقظ الضمير يسعى بنفسه لتطهير ذنوبه، ولا يحاول أن يفلت من العقوبة، أو يهرب أثناء تنفيذها، لكنه يتمسك بها قبل الجميع، في باطن الحدود رحمة، لكن هل توجد هذه الرحمة في صدور مَنْ يخوِّن من يخالفه سياسيًّا، أو يتقول على من يخالفه فكريًّا، أو يقتل من اجتهد في تفكيره وأخطأ بالرغم من أن الله يمنح المجتهد المخطئ أجرًا؟ لكن حولنا من يفضل أن يمنحه رصاصات في صدره أو طعنة في رقبته أو حكم بالتفريق بينه وبين زوجته.

حدود الله لا يقدر أحد أن ينكرها، لكن عمر بن الخطاب عطلها قياسًا على ما كانت تشهده دولته، هل نملك رفاهية أن نتعامل معها حاليًا قياسًا على حسبة سيدنا عمر؟

يقول شيخي: الحكيم من كان عالمًا بأحوال زمانه ومكانه.

تحداني ابن خالتي جرجس ١٣ / ٦ / ٢٠١١

هذه نسخة أخرى من الأسئلة المشروعة، يمكنني بسهولة أن أقول إنها النسخة القبطية، وصلتني من الصديق أمجد ناسان، ربما لا أمتلك عنها إجابات، لكنني أنشرها ربما تساعدك يا صديقي «المسلم كما ينبغي» أن تتفهم سر غصة ما يشعر بها إخوتنا الأقباط، وهي غصة «ساعات بنلاقي ناس كتير بتستكترها عليهم»، اسمع لترى الصورة أوضح، ولا تشغل بالك بالإجابة لأنك مهما بررت لن تمحو الضيق الكامن في هذه الأسئلة بالرغم من خفة دم كاتبها، لن تمحو إجاباتك الضيق الآن.. ربما إذا انتبهت قد تساعد في محوه بالوقت.

يقول أمجد: حاولت أن أثني ابن خالتي جرجس عن الهجرة، فقال: إحنا ناس لسه على البر، وبيعملوا كده، أمال لما يمسكوا مجلس الشعب والحكومة هايعملوا فينا إيه؟!..

دلوقتي عايزين كاميليا.. بعد كده هايبقوا عايزين كاميليا، ونرمين، وجاكلين.. وشويه يمكن تلاقيهم واقفينلك عند بلكونتكم، ويقولك: عاوزين أمك الست كلير، أتحداك إنك تجيب لي حكم صدر على واحد اعتدى على كنيسة، أتحداك إنك تجمع توقيع تلات أفراد بس يعرفوا ليه عبدالرحيم الغول ماتسجنش لغاية دلوقتي مع إنه مدبر حادث نجع حمادي؟

أتحداك إنك تقولي ليه مافيش ولا لاعب كورة مسيحي في وسط الـ١٦ نادي بتوع الممتاز، أتحداك إنك تقولي ليه مافيش ولا برنامج تليفزيوني موجه للمسيحيين باعتبارهم فئة من فئات الشعب زي العمال، وزي التلاميذ، وزي المرأة؟

أتحداك لو قلتلي ليه سابوا الناس تهد في كنيسة أطفيح ٢٢ ساعة، والجيش واقف بيتفرج، ومحدش اتحاكم؟ أتحداك لو جبتلي واحد مسلم مابيسألكش دايمًا بصيغة اتهام: «أنتم ليه بتبنوا الكنايس جنب الجوامع؟»..

ده على أساس يعني إنه سهل تبني كنيسة أصلًا؟ أتحداك لو جبتلي واحد وهو بيوصفلك العنوان مش بيقول هاتمشي على طول تلاقي لا مؤاخذة كنيسة، أتحداك لو جبتلي واحد مصدق إننا مش بنبوس بعض في الكنايس، ومش بنشرب خمرة، ولا بنطفي النور في راس السنة، أو القسيس بيدخل مكانك في أول يوم زواج، أتحداك لو جبتلي واحد مصدق إنه مافيش فرق بين «بنشكر الرب»، و«الحمدلله»، أتحداك لو جبتلي واحد ما سألش واحد مسيحي مرة واحدة على الأقل: إيه ده أنتم بتصوموا زينا؟ إيه ده أنتم عندكم صلاة زينا؟

أتحداك إنك تجيب لي واحد مسيحي ماسمعش في حياته كلمة أربعة ريشة، أو عضمة زرقا، أو كفتس، أو كيرست الجديد، أتحداك إنك تجيب لي واحد طلع في برنامج، وقال إن الإنجيل محرف وطلع حد رد عليه وقال عيب الكلام ده.. دول إخواتنا، أتحداك إنك تلاقي واحد زعل من الرسوم المسيئة للإسلام، وفي الوقت نفسه زعل من كل ما يسيء للمسيحية طول الوقت، أتحداك لو جبت لي واحد مابيقولش إن الأقباط دول متدلعين أوي.. هما عاوزين إيه تاني؟

دول هما اللي بيثيروا الفتنة، أتحداك ماتكونش سمعت مرة واحدة على الأقل في حياتك جملة «هو تاجر مسيحي بس أمين»، أو «هو دكتور مسيحي بس شاطر»، أو «هو مهندس مسيحي بس بيفهم»، أو «هو مسيحي بس راجل محترم جدًّا».

انتهت رسالة ماجد وحسنًا فعل أن جمع هذه الأسئلة التي ظللت عمرًا بحاله أستمع لها بحكم دراستي في مدرسة الراهبات، وبحكم أن بيتي في مدينتي كان يقع في شارع الصاغة، فكان معظم جيرانيِ أقباطًا، كان دائمًا بين الشلة صديق واحد على الأقل قبطي يطرح هذه الأسئلة، لم يكن الطرح متعصبًا أو عنيفًا، لكنه كان باللهجة الساخرة نفسها، كان يضحك فيطرحنا أرضًا من القهقهة.. سنوات طويلة نستمع فيها دائمًا لهذه الأسئلة بالأسلوب نفسه ليبقى بعد أن تستمع لها دائمًا شيء ما في القلب ربما لا يرقى لمرتبة الاعتذار، لكنه يفوق المحبة بكثير.

عمو مصطفى ١٨ / ٦ / ٢٠١١

يظهر دائمًا بعد صلاة الجمعة، رجل تجاوز الخمسينيات، يرتدي جلبابًا أبيض، ملامحه كلاسيكية يحدث دائمًا أن تقابل من يشبهه، قد تعتقد أنه كومبارس متكلم في فيلم حياتك، ولكن صدق أو لا تصدق هو أحد أهم من يحرك الأحداث.

تلتقيه طفلًا صغيرًا فيسألك: «دخلت المدرسة ولا لسه؟ .. طب هتخش إمتى؟» ينبت بداخلك شيء ما يجعلك متشوقًا لمدرسة، يقابلك بعدها بسنوات فيسألك: «ها؟ .. بقيت في سنة كام؟» وأيًا كانت إجابتك سيقول لك: «لأ.. شد حيلك شوية، أنت كبرت خلاص على جوّ الأطفال ده»، يقابلك بعدها بسنوات، فيسألك: «جبت كام في إعدادي؟»..

يطمئن أنك قد التحقت بالثانوي العام، وأن مستواك يؤهلك للنجاح في المرحلة المقبلة، مع اقتراب الثانوية العامة يحاول أن يوقظ داخلك طموحًا ما فيقول لك: «عايزين نقدم لك على شرطة»، أو «شد حيلك، وطب إن شاء الله مش عايزين أقل من كده»، يحملك مسؤولية ألا تخذله، وتخذل أهلك «اللي تعبوا معاك»، بعد أن تلتحق بالكلية أيًا كانت، يتابع معك النتيجة سنة بسنة إلى أن تقترب من التخرج فيعلنها لك صريحة: «عايزين تقدير كويس علشان نعرف نلاقيلك شغلانة حلوة»، تتخرج أيًا كان تقديرك فيتابع معك بحثك عن عمل إلى أن يطمئن على استقرارك في وظيفة، ويسألك إن كنت بتقبض كويس، ويلمح لك عن فكرة «مابتفكرش تسافر»، قد يرى فيك نبوغًا ما فيسألك «مابتفكرش تعمل دراسات عليا؟».

تستقر في عملك بدرجة معقولة ترضيه وتمنحه الثقة، ليسألك السؤال الجديد: «مش هتفرحنا بيك بقى؟» يطالبك بأن تفرحه، ويضع طلبه في سياق درامي مؤثر «فرّح أبوك وأمك ماحدش... صحيح الأعمار بيد

الله لكن ماحدش ضامن عمره يا بني»، تقابله بعد فترة والدبلة في يدك اليمنى، سيهنئك في المرة الأولى، وفي المرة الثانية سيؤنبك «الخطوبة الطويلة مش حلوة.. اتجوز، وكمل اللي ناقصك بعد الجواز»، تتزوج فيكون أول سؤال يقابلك به في أقرب صلاة جمعة، «ها؟ مافيش حاجة في السكة؟»، وعندما يأتي من كان في السكة يلهمك من جديد «شد حيلك بقى عشان تخاويه».

لم يحدث أن سألت عمو مصطفى يومًا ما عن حياته، ولم يحدث أن امتلكت الجرأة لتسأله عن سر اهتمامه، ولم تكن يومًا ما وقحًا لتقول ما انتماؤك، دائمًا تستمع إليه حتى النهاية.. تحاول أن تكون مؤدبًا أو خفيف الدم، وأنت موقن أن كلامه سيمر من أذن عبر الأخرى إلى الفراغ، لكنه دون أن تدري يلعب دورًا مهمًّا في الحياة، عمو مصطفى وأمثاله..

العاديون ملح الأرض.. هم الذين يحفظون للمجتمعات توازنها، هم الذين يعرفون طريق الأمان حتى ولو لم يكونوا قد اختبروه إلى النهاية.. لكنهم شطار جدًّا في وضع رتوش لوحة حياتك، يضعون ملامح عامة يحفظونها جيدًا ويتناقلونها جيلًا بعد جيل، يشيعونها بهدوء وبثقة، ودون خطة منظمة، يرمونها لك في الحوارات العابرة بعد انتهاء صلاة الجمعة، ويتركون لك حرية الجنون داخل هذه الحدود شرط ألا تحطمها، فهم يخافون مرتين..يخافون عليك أن تتمادى في الجنون فيلفظك المجتمع، أو تتمادى في الجنون فتفسد المنظومة كلها.

فى حياة كل منا رقيب، وعتيد، وعمو مصطفى، واحد يسجل ما تفعله من خير، وواحد يسجل ما تفعله من شر، وعمو مصطفى يحاول أن يلفت نظرك دائما إلى ذلك

١٤٠ دليل

(المقال الأول في جريدة التحرير ١-٧-٢٠١١)

كنت أود أن تقرأ في هذه المساحة في يومها الأول اعتذارًا عن عدم الكتابة اليوم على وعد بأن يستأنف الكاتب مقالاته التي لم تبدأ بعد في اليوم التالي.

ليس كسلًا، ولكن الأمور كلها حاليًا غير واضحة بشكل يساعدك على تكوين وجهة نظر لا ترى فيها خللًا ما كمان يومين، فالفوضى تضع لمستها على كل الأشياء حاليًا، والفوضى هي غياب شيئين .. القواعد، والجهة التي تراقب الالتزام بهذه القواعد، ونحن الآن نعيش ثورة بلا ميثاق واضح متفق عليه كما أننا نعيش تقريبًا في بلد مالهاش كبير.

أضف إلى ذلك أن البلد "بتتحدف" كلها مع أي شيء حدفة جماعية يصبح صوت العقل فيها خيانة، نحن ماهرون للغاية في أن "نزيط مع الزيطة"، والزيطة تهجم عليك من الناحيتين، يعني مثلا نجيب ساويرس في لحظة خفة دم لا تليق بوضعه الاجتماعي، والوطني يمرر صورة ساذجة على حسابه الخاص على تويتر، صورة لن تضيف له شيئًا، ولن تجعلنا نستلقي على أقفيتنا من الضحك، ونقول له "هو انت ليه ما بتعملش مسلسلات سيت كوم؟"، لحظة هزار تورط فيها ساويرس، وكأنه لا يعيش معنا، ولم يسمع عن المشاحنات التي خضناها لنشرح لرجال غزوة الصناديق والفلوطة، وغيرهم ممن أثاروا فتًا، وبرروا فعلتهم بأنهم كانوا بيهزروا ..إنه ليس وقت هزار على الإطلاق تحديدًا في هذه المناطق الحساسة، في المقابل هاجت الدنيا، وأصبحت صورة ميكي ماوس إساءة للإسلام، وزاطت الزيطة "يالا حملة لمقاطعة موبينيل" التي لم تصبح ملكًا لساويرس أصلًا "يعني واحد بيهزر غلط، والناس بتزيط غلط برده".

الصوت العالي يسيطر على كل شيء، فاختلطت الأفكار الألماظ بالأفكار الفالصو، كلما قابلك شخصًا يسألك: "هي البلد هتتظبط إمتى".. لم أقابل شخصًا واحدًا يسألني: "هو المفروض أنا أعمل إيه في الوقت ده؟ ". العامة لازالت تتحدث عن البلد، وكأنها في زيارة لها، وتتساءل متى سينصلح حال البلد على يد الذين يمتلكونها، هل تعرف سر هذا الشعور، لأنه وببساطة من يتحدث عن البلد يصدر للآخرين دائمًا أنهم لا يعرفون شيئًا وأنهم (المتحدثون) أدرى بمصلحة البلد منهم .

المجلس العسكري يبدو مثل رجل تزوج فتاة تصغره بثلاثين عامًا، يبدو فرق الحرارة، والرغبة، والطموح مخيفًا بينهما، وخيرة شباب متحفزون، ويبحثون عن ربع فرصة تعيدهم بالملايين إلى ميدان التحرير، ومعهم حق، فهم لا يشعرون بأي بوادر تغيير، النخبة تتعالى، ومرشحو الرئاسة اعتقدوا أن الطريق إلى الرئاسة يبدأ من التوك شو وتويتر والفيس بوك في وطن لازال به بيوت جميع من فيها أميين، والجميع يقدمون نظريات في الانفلات الأمني، ولا أحد يتحدث عن الانفلات الأخلاقي، أو يلتفت لخطورته، المنطقة الوحيدة التي ازدهرت في البلد هي منطقة مدينة الإنتاج الإعلامي بكم القنوات الفضائية الذي تم افتتاحه مؤخرًا للتأكيد على أن البلد يسير في اتجاه المكلمة فقط، حتى الحوار لا يخلو من مشكلة، فهناك فجوات واسعة بيننا، وعندما نتجاوزها لنلتقي ..نلتقي فنتصادم، أصبحنا لا نتحاور كشركاء في الوطن، ولكن كوكلاء نيابة.

أحلم أن تنتهي هذه الأيام سريعًا، فهذا البلد لن تلمس قدماه بداية الطريق إلا بعد أن يصبح له هيكل واضح (شرطة، ودستور، وبرلمان، ورئيس جمهورية، وحكومة نهضة)، وعندما يتحرك هذا الهيكل

سنكتشف العيوب على أرض الواقع فنغير، ونطور، ونحن نتحرك بالفعل ..لكنك لن تعرف أبدًا خطورة النهر وانت مشغول بالشجار مع الباقيين حول حقيقة عمقه، بينما تقفون جميعًا على الشاطئ.

ما نعيشه الآن هو محض إهدار، ويبدو الوصول معه إلى نقطة نظام صعبًا بالقدر نفسه الذي سيصعب فيه الإجابة بقناعة تامة عن سؤال "لما أحب أكلم شعب مصر أكلم مين؟".

أول ماتش قمة بعد ثورة يناير

أول لقاء بين الأهلي، والزمالك في مصر الجديدة، بعد أن أسقطت الثورة رءوس النظام الفاسد ماعدا الجماعة بتوع اتحاد الكرة، كان الأهلي صاحب ضربة البداية في الثورة عندما تصادف أن يلعب أمام الشرطة في اليوم الذي انسحبت فيه الشرطة من الشوارع، بعدها اكتشفنا أن الثورة لم تحقق كل أهدافها؛ فلم نر حبيب العادلي بالبدلة الزرقاء في القفص، وفي الوقت نفسه أصبح طلعت يوسف مرشحًا لتولي مهمة تدريب المنتخب .

من المتوقع أن يقوم فريق الزمالك بثورة في هذا اللقاء، لكن البعض يؤكد أن اليد العليا ستكون للثورة المضادة التي سيقودها دومينيك بمعاونة جدو أحد فلول منتخب حسن شحاتة .

حسام حسن سيلعب بخطة المجلس العسكري، سيقوم قبل المباراة بتذكير اللاعبين بفضلهم عليه، وكيف أنه في الموسم الماضي قد انتشلهم من الهبوط، ولم يطلق عليهم النار، سيترك لشيكابالا مهمة قيادة الفريق في الملعب؛ لأنه اختيار الجماهير بالضبط مثل عصام شرف، ومثل عصام شرف سيرضى الجمهور عن أدائه الاستعراضي، دون أن تتم ترجمة هذا إلى إنجازات، لماذا لا يتم ترجمة أداء شيكا شرف لإنجازات؟ ..لأن حسام سيضع في التشكيل أبو كونية يحيى الجمل بتاع هذا الجيل من اللاعبين.

أما عمرو الصفتي فلم يتعلم شيئًا من الثورة سوى استخدام تقنية الفيس بوك، فكلما اقترب منه لاعب أهلاوي وطلب منه أن يمر هتلاقي الصفتي عمل له Confirm فورًا، أما محمود فتح الله، فقد تعلم من عمرو حمزاوي ألا يعيقه شعره الطويل عن أداء مهمته على أكمل وجه، وحده محمد عبد الشافي سيقدم أحلى من المباراة دون أن نشعر

به، أو نمنحه التقدير الذي يستحقه، بالضبط مثل اللواء الفنجري الذي أدى التحية العسكرية للشهداء، فكلل رءوسهم بالفخر،(وهو أجمل ما قدمه المجلس العسكري للثورة)، ثم ابتعد عن الأضواء.

شيكا هو صاحب أول هدف رسمي في العهد الجديد، وقد يكون أول هداف في تاريخ مصر الجديدة وهو أمل الزمالك في هذا الماتش، الخوف أن يحول بينه وبين التألق اعتصام شريف عبد الفضيل، وأحمد السيد في ميدان أحمد عادل عبد المنعم تحت شعار "أربعاء على جثتي"، فقد شكل دفاع الأهلي ائتلافًا يدعمه سرًا وزير الدفاع (وائل جمعة) تحت اسم "ائتلاف دعم جوزيه مدربًا للمنتخب المصري" وهو الائتلاف الذي يعادي الأخوان بالدرجة الأولى .. أرجوك ماتروحش بدماغك لبعيد أنا قصدي "الأخوان حسن".

سيدافع حسام حسن بطريقة أمن الدولة المنحل "رقابة لصيقة، ومان تومان"، وبعد الماتش سيقوم كعادته ب"فرم" اللاعبين الذين سمحوا لهجوم الأهلي باقتحام مقر عبد الواحد السيد، أما جوزية فسيلعب بخطة "التطهير" التي تقوم على إقصاء رموز هجوم الزمالك من المشاركة في الحياة الكروية لمدة ٩٠ دقيقة .

عماد متعب لاعب ليبرالي يمكن معرفة ذلك من اختياراته العاطفية، لكن من المتوقع أن يحسم الشيخ أسامة حسني اللقاء في الثواني الأخيرة، لكن الجماهير ستظل للأبد تعايره بأنه ماكنش موجود في الميدان من أول الماتش، في كل الأحوال إذا تأخر الفوز فقد يستمع جوزيه للمطالب الفئوية التي تطالب بأمير سعيود في الملعب، عمومًا جوزيه ديمقراطي بالضبط مثل عمرو موسى، فكلاهما من رموز العهد القديم، وكلاهما مشهود لهما بالشعبية في أوساط البسطاء ..هما متشابهان حتى عند خروج كل واحد من داره، ففشل جوزيه في أنجولا والسعودية هو نسخة من فشل موسى في جامعة الدول العربية.. ورغم هذا الفشل

الدولي، فالأول مرشح لتدريب منتخب مصر، والثاني مرشح ليحكم مصر كلها.

سيغيب أبوتريكة المتحدث الرسمي باسم حكومة إحراز الأهداف، سيغيب، لكن وجوده في المدرجات وارد كرمز لنادي المبادئ وكَمُلهم لزملائه الثوريين .. رمز يشبه البرادعي الذي ألهم أصدقاءه العزيمة أيضًا، الفرق أنه في الوقت الذي تقترب فيه لحظة وداع أبوتريكة للملاعب نرى البرادعي على الخط بيسخن، وجاهز للمشاركة.

أما إبراهيم حسن المشغول بكل شيء فيما عدا الكرة، فسينزع من على صدور اللاعبين إعلانات (سيراميكا رويال)، وسيضع مكانها على صدر كل لاعب "إعلانًا دستوريًا"، ومن المرجح أن يتعرض للطرد على يد الحكم الخواجة، ووقتها سيقف خلف أحد الحواجز الحديدية للمدرجات يهتف في طاقم الحكام: "من أنتم "، وربما يسأله أحد الصحفيين بعد الماتش عن سر عدم استطاعته إحضار بطاقة ميدو الدولية، وغالبًا سيقول: "إذا كانت الحكومة مش قادرة تجيب حسين سالم من بره.. هاجيب أنا البطاقة بتاعت ميدو؟". سيحفز إبراهيم جمهور الزمالك حتى يهتف "الشعب يريد الدوري ياعميد"، ومن المرجح أن ترد جماهير الأهلي قائلة " ارفع راسك فوق لما تشوف حلمة ودنك"، إذا فاز الزمالك فسيكون واضحًا للجميع أن الثورة قد أحدثت التغيير الذي نحلم به بالفعل، أما إذا فاز الأهلي يبقى مافيش حل غير "الدستور أولًا" (على الأقل نقدر نمنع حسام حسن قانونًا من التجديد ..تسألني لماذا أرفض التجديد لحسام؟ لأنه يدير الفريق بقانون الطوارئ، وبمرور الوقت أصبح يدير الفريق بالطوارئ بدون قانون).

أتمنى أيضًا أن يضاف للمادة الثانية ما يوضح أن مدة الاحتفاظ ببطولة الدوري العام أربع سنوات غير قابلة للتجديد، وأننا قد نتحمل أن نعيش في دولة دينية، لكنه من الظلم أن نعيش في دولة أهلاوية طول العمر.

صديق الفلاح

الحقيقة الواضحة أن الجماعة الفلول ذيول النظام أكثر نشاطًا منا، يتميزون بأنهم يعرفون بالضبط ما يريدونه، ويجيدون التخطيط له، وتنفيذه، والهروب من أيةَ عواقب سيئة محتملة، هم أقل عددًا لكنهم أقوى تأثيرًا، لا يظهرون على الشاشات مثل بقية القوى السياسية، لكنهم يحظون باعتراف رسمي من الجميع بوجودهم ربما أكثر من ثلاثة أرباع الائتلافات، والأحزاب التي لم نشعر بوجودها، ليست لديهم مشاكل في التمويل، فهم ينفذون المهام بتسعيرة تليق بقدراتهم، وبالعناصر التي يعتمدون عليها في التنفيذ، فتسريب شائعة تقلب الدنيا، وتوتر الأجواء لا يحتاج إلى مصاريف كبيرة، وزرع البلطجية مدمني الترامادول وحبوب الهلوسة لا يكلف سوى جنيهات قليلة ثمن الجرعة، وتهييج الطائفية يبدأ وينتهي ببث حكاية محكمة، ومحبوكة تشعل النار، وهو أمر يمكن تدبيره بالاعتماد على سيناريست درجة ثالثة، أو سمكري سيناريوهات قادر على ربط الأحداث ببعضها بالعافية مع إضافة قليل من البهارات السينمائية التجارية المحببة للعامة، مثل قميص نوم في الكنيسة، أو أعمال سحرية لتعجيز رجال المسلمين جنسيًا، بالإضافة أضف إليهم زوجة خائنة، ورجل ندل يستحق قطع رقبته، ولو قلت ذيع هنذيع.

الفلول أشبه بديدان تنخر في التربة لا ينبغي التعامل معها إلا بسياسة "أبو القردان"، "أبو القردان" كائن طيب لكنه في هذه المنطقة يبدو عبقريًا فهو يضرب بمنقاره في أعماق الطين، ويخرج بالديدان بالسرعة نفسها التي تصدر بها الأحكام العسكرية على النشطاء السياسين، (أو بالسرعة نفسها التي يصدر بها الحكم على شيكابالا بالحبس شهرًا، وهو الأمر الذي أسعدني إذا تحقق في هذا الحكم العدالة السريعة التي نحلم بها

منذ قامت الثورة)، نحن الآن نعيش المرحلة التي نحتاج فيها إلى "أبو القردان" صديق الفلاح، لدينا كثيرون قادرون على القيام بهذه المهمة، والنفاذ إلى أعماق التربة لتطهيرها، لكن المجلس العسكري يتوتر بشدة كلما احتشدت أسراب "أبو القردان" لأداء مهمتها، وهو بتجريمه لهذا الاحتشاد وتحفظه (على) أي محصول من الأرض التي حررناها، لا هو قام بمهمة التطهير، ولا هو تركنا نقوم بها على طريقتنا التي ثبت نجاحها في الثورة، وفي الوقت نفسه يعترف المجلس كلما أعجزه الأمر بوجود ديدان، المجلس العسكري يذكرني بنكتة البقال الغلس الذي يقول دائمًا إنه "ماعندوش"، بينما الحقيقة أنه "عنده جوّه".

الرغبة العارمة في أن نطهر الأرض تحتاج لقوانين، وأفكار مغايرة للمطروحة حاليًا على الساحة، الكلام عن المحاكمات الجنائية، والشفافية، والعدالة لا محل له من الإعراب، ويؤدي بمرور الوقت إلى تضخم الديدان، لماذا قرر المجلس العسكري مثلا أن يحاكم المفسدين جنائيًا؟ المحاكمة الجنائية العادلة تصلح في قضية شيكات بدون رصيد، أو قتل خطأ، أو بناء بدون ترخيص، لكن لماذا نحاكم من أفسدوا وطنًا جنائيًا ؟ هل الفكرة هي استغلال وقت حتى يهدأ الناس، وينسوا الموضوع؟ (طب الناس مش هتنسى عمرها)، استغلال متاهة الوقت في محاكمنا الجنائية ليس في مصلحة أحد، وخطأ ينم ربما عن سوء نية، أو سوء إدارة.. لقد حميت الثورة، لكنك لم تعترف بها .

لو كنت اعترفت بالثورة لكنت حاكمت كل هؤلاء المفسدين الموجودين في السجن، أو خارجه سياسيًا أمام محكمة ثورية، لو كنت اعترفت بالثورة لكنت استفدت من خبرة ثورة يوليو في محاكمة الفاسدين عن طريق ما يسمى "محكمة الغدر"، التي لا تبحث عن أدلة جنائية، ومحامي ثعباني من فصلية ذناب الجبل، ووقت سيضيع في ضم قضية العادلي على قضية مبارك، ثم تحويلهم لقضية واحدة، ونبدأ من الأول

في المحاكمة بعد أن تكون الديدان قد تحولت إلى سحالي، سوء نية أم سوء تقدير؟ ستعرف إذا أجبت عن سؤال هل قام الجيش بكلبشة مبارك في سريره بالمستشفى مثلما فعل النظام مع طالب المحلة من كام سنة؟

الوقت في مصلحة الديدان فقط، ولابد أن يعيد المجلس العسكري تقديره لمسألة الوقت، وأن يتعلم من الدول المتقدمة التي أعادت النظر في هذه المسألة، فخرجت علينا بوحدة زمن لا نعرفها ..ألم ير كيف احتسب حكم ماتش القمة الهولندي ١٠ دقائق (بمقياسنا) وقت بدل ضائع، ولعبها (بمقياس هولندا) ٧ بس.

شعب نادى الجزيرة

أطل علينا وزير العدل من أحد الصحف ليقر بعدم وجود مانع من تصوير المتهمين فى طرة، أنا شخصيا أعلن عن تبرعى بمكافأة قدرها ٣٠٠٠ جنيه لمن يرسل لى صورة حقيقية للعادلى بالبدلة الزرقا لا أريدها «فوتوشوب» لكننى أريدها «فوتوجونيك» تكشف مفاتن العادلى فى ملابس المساجين، أسمعك تقول «وهنعمل إيه بالصورة».. معاك حق لذلك أضم صوتى إلى صوتك كمواطن مصرى يريد محاكمة العادلى (محاكمة سياسية قبل أن تكون جنائية) على الهواء مباشرة ويريد أن يرى وزير الداخلية الذى أذاق المصريين صنوفا من القهر يقف فى قفص الاتهام منكسرا بملابس المساجين، وزير الداخلية الذى ظهر على التليفزيون الرسمى قائلا: «التليفونات متراقبة واللى خايف مايتكلمش».

أنا دلوقتى عايز أسمعه وهو بيتكلم، وزير الداخلية اللى وقع المسلمين والمسيحيين فى بعض عايز أتفرج عليه وعلى منظره وهو يرى الناس تهتف فى وجهه: «مسلم ومسيحى إيد واحدة»، الوزير الذى جعلنا كل يومين نرى واحدا من أشقائنا يتعرى أمام كاميرات الصحف والتليفزيون ليكشف لنا عن آثار التعذيب نريد أن نرى وجهه وقد علمت عليه كفوف المخبرين، وزير الداخلية الذى كان مسئولا عن تحرش رجاله بالمتظاهرات أمام نقابة الصحفيين نريد أن نراه فى قفص واحد مع متهمين فى قضية شذوذ جنسى، وزير الداخلية الذى كان آخر تصريحاته الصحفية فى حوار له مع جريدة الأهرام بمناسبة «عيد الشرطة سابقا عيد الثورة حاليا» تقول: « الشباب ونزولهم للشارع ليس له أى تأثير والأمن قادر على ردع أى خروج والشرطة لن تتهاون معهم». أريد أن أطل فى عينيه ورجل الثورة يجلس أمامه معززا فى مقاعد المتفرجين بينما يقف هو ذليلا بين اللصوص والسفاحين، وزير الداخلية الذى حول جهاز أمن الدولة من جهاز لخدمة البلد وحماية

المواطن لجهاز ينكّل بالجميع بلا استثناء بلا مقابل بلا خوف من ربنا، أريد أن أراه واقفا فى أضيق زنزانة فى مصر أمام ضحايا الجهاز، وزير الداخلية الذى أمر جنوده بإطلاق الرصاص الحى على المتظاهرين أريد أن أراه يقف أمام أسر الشهداء مذلولا.

شكرا لوزير العدل الذى جاء تصريحه بمشروعية تصوير المتهمين يحمل فهما لروح ثورة الشعب مضافا إليها شرعية قانونية، وتعليقا على تصريحه بأن «التسرع فى المحاكمات قد يؤدى إلى براءة المتهمين» أقول له قد يحصل أي من هؤلاء المتهمين على البراءة لكن «مين اللى هيديهاله» يا سيدى الوزير الجرائم أكبر من المستندات والثغرات قضائية وألاعيب المحامين لقد أصدر الشعب حكمه والشعب هو صاحب هذا البلد وهو الذى يحدد مصير هؤلاء وحضرتك تعرف جيدا أن حصول فتاة الليل على البراءة فى قضية دعارة لا يعنى تماما أنها قد حصلت على البراءة فعلا.

حكم الشعب يعيش إلى الأبد.. سيبك يا سيدى الوزير من قرار رئيس مجلس إدارة نادى الجزيرة برفض طلب أعضاء النادى بشطب عضوية حبيب العادلى وأسرته من النادى، رئيس مجلس الإدارة مجرد موظف قد لا يمتلك مخرجا قانونيا لشطب العضوية لكن شعب النادى قال كلمته.

بالمناسبة قال عبد المنعم أبو الفتوح فى كلمته أمام الحاضرين فى إحدى الندوات أنه مستخسر العوا فى انتخابات الرئاسة ويرى أنه قيمة فكرية يمكن أن تستفيد منها البلد بشكل أكبر، أبو الفتوح فى سياق تقديره للعوا يقر بأن مهنة رئيس الجمهورية تحتاج لإمكانيات ذهنية متوسطة مثل أى إدارة شئون عاملين فى أى مؤسسة حكومية، أبو الفتوح يقصى بشكل غير مباشر المجتهدين فكريا وكل الخوف أن يتبنى البعض وجهة نظره فنرى بعد مرور السنوات أن الوثيقة التى اقترحها

البرادعى أو الوثيقة التى اقترحها البسطاويسى تحولت إلى مجرد فلكلور مثلها مثل شفرة دافنشى.

بالمناسبة الشفرة التى تحتاج إلى حل هى شفرة علاقتنا بإسبانيا، فالشركة الإسبانية العالمية المتعاقدة مع محافظة القاهرة لجمع القمامة تتقاعس بشدة عن أداء مهمتها حتى تراكمت الزبالة فى كل شوارعنا، هذه الزبالة بحكم العقود القانونية ملك لإسبانيا، كل ما نحتاجه حاليا هو عقد صفقة تبادلية.. هما ياخدوا الزبالة بتاعتهم اللى هنا ويسلمونا الزبالة بتاعتنا اللى عندهم.

مكعب برما

نزل برما من التاكسى أمام محل الكاسيت فى الميعاد الذى اتفقنا عليه، نظر إلى أفيش ألبوم تامر حسنى الجديد «اللى جى أحلى» دقق النظر إليه ثم قال: «طبعا أحلى.. هو فيه أوحش من اللى فات»؟!

تحركنا باتجاه المقهى وعندما هممنا بالجلوس عليه طلب منى أن نغادر المكان سألته عن السبب فقال: شوفت واحد ما بحبوش لأنه يدير علاقته بالله على مزاجه مثل كثيرين، هذا الشخص ظل يدعو الله أن يرزقه ب»موتوسيكل» وعندما شعر أن الله لا يستجيب له لم يقنط فسرق موتوسيكل وأخذ يدعو الله أن يسامحه، قلت له: الدنيا مليانة بلاوى فقال: الدنيا جميلة يجب علينا فقط أن نفهم شكلها الهندسى، فهناك من يراها كدائرة وهو شخص يشعر بالملل وينتهى دائما حيثما بدأ، وهناك من يراها كمربع وهو شخص يرى ما تلتقطه عيناه فقط ولا يمتلك أى خيال، سألته كيف يرى الحياة فقال: الحياة مكعب له عدة أوجه عندما تراها جميعا ستصل إلى الحكمة وسترى الأمور على حقيقتها، ساعتها لن تقع فى فخ سطحية التفسير.. مثلا إذا تأملت الزحام على المحلات قبل العيد بيومين ستعتقد أن الناس كلها تعيش فى رخاء وأنهم يمتلكون ما يمنحهم جميعا القدرة على شراء ملابس العيد لكن الحقيقة أن الناس تعيش فى فقر مدقع لدرجة أن العائلة بأكملها تنزل من منزلها (الأب والأم والطفل والحماة والخال والعم) فقط لكى يتقاسموا بهجة شراء شبشب العيد الصينى للطفل، الفقر يقسو عليهم لدرجة أنهم لا يمتلكون سبيلا للبهجة إلا باقتسامها مع طفل فرحان بالشبشب الجديد.

جلسنا على مقهى آخر فطلب برما شايا بالنعناع البلدى ثم قال: عندما ترى الحياة مكعبا ستعرف الطريق إلى الحكمة، وأفضل ما فى الحكمة أنها ستقيك شر الحوار مع أحمق..

قلت له: كلمنى أكثر عن مزايا الحكمة، فقال: الحكمة تجعلك متيقظا فى مجتمع يفضل النوم عملا بقاعدة يؤمن بها تقول: «النايم فى ذمة الصاحى»، الحكمة تجعلك قويا لا بمنطق شيخ العرب فان دام لكن بمنطق أن «الخشب اللين مابينكسرش»، الحكمة تجعلك قادرا على التعامل يوميا مع ناس -بعد كل هذه الفضائيات- لا زلت تطلب منهم أن «يوطوا التليفزيون» عند الاتصال بأحد البرامج على الهواء، الحكمة تجعلك مؤمنا بقاعدة أن الهجوم الجيد يبدأ بخطوة إلى الخلف.. إنها استراتيجية الانتصار، الحكمة تحميك من أن تكون شخصا معقدا ومنبوذا فهى تجعلك فى أعين الجميع شخصا بسيطا بساطة واحد بيسأل «الساعة كام»؟. التعقيد شيء مقيت وعلم النفس يقول أنه يخبئ خلفه فراغا هائلا، الحكمة تجعلك قادرا على تفادى الشخص اللزج الذى يظهر لك فى كل مكان قائلا: «خد نصيحتى».. هل تعرف لماذا يطلب منك أن تأخذ منه نصيحته؟ سألته: لماذا؟ فقال: لأنه مابيستخدمهاش.

قلت له كلامك يا برما يؤهلك بجدارة لأن تكون ضيفا فى أحد برامج التوك شو، أخذ رشفة من الشاى ثم قال: واحد صاحبى قال لى زمان أهى برامج التوك شو دى حاجة غريبة جدا.. فى بداية الحلقة يظهر المذيع ليقول لك: «مساء الخير» ثم يظل لمدة ثلاث ساعات كاملة يحاول إقناعك أنها جملة كاذبة وأنه لا مساء الخير ولا حاجة. قلت لبرما ولكن هناك مذيعون فى غاية المهنية والاحتراف، فقال: من الحكمة أيضا ألا تثق بأحد ثقة كاملة.. مبارك أكل دماغنا بالضربة الجوية وفى الآخر وصل الغاز لإسرائيل.. طب كنت بتضربهم ليه من الأول؟

أعجبنى منطق برما فقلت له: برما.. أنا متفق معاك فى كل ما قلته، فنظر لى بنصف ابتسامة ثم قال: على رأى أستاذى فى مادة الفلسفة زمان الحكمة تجعلك لا تفرط فى الفرحة باتفاقك مع من تحاوره فمن الوارد أنكوا إنتو الاتنين تكونوا بهايم.

كل فرق الدورى لها جهاز فنى ما عدا الزمالك له جهاز عصبى، فقد صنع التوأم فريقا جميلا متوترا، فى غياب التوأم كان سيصبح فريقا جميلا فقط، فمعظم لاعبى الزمالك قدموا هذا العام خام موهبتهم فقط دون أن نرى تشكيلات مختلفة منه، خام موهبتهم الكروية جعل السيناريو ثابتا طول العام شيكابالا يسحب بالكرة أمام منطقة الجزاء بالعرض إلى أن يجد ثغرة فيركنها فى الشبكة، أو عمر جابر يسحب بالكرة ويراوغ حتى يعرقله مدافع أمام منطقة الجزاء فتنادى الجماهير على شيكا فيركنها، أو حسين ياسر «يفضل يكش فى نفسه» لحد ما يعدى ما بين المدافعين وصولا إلى المرمى فيلسعها أرضية أو يخرج من اللعبة بضربة جزاء يضيعها فتح الله، أو ضربة حرة من منتصف الملعب يسقطها شيكا خلف خطوط المدافعين فيحولها فتح الله برأسه فى المرمى، أو يغمزها شيكا لأحمد جعفر فى الأوفسايد فيسحب وينفرد ويحرز هدفا، أو ضربة ركنية يلعبها المحمدى لعبد الشافى فيعيدها للمحمدى فيعديها لعبد الشافى ويرفعها يا إما عمرو الصفتى ينطحها إلى جوار القائم يا إما جعفر ينطحها فى الجون، حتى الأخطاء كانت متكررة، حتى الإخفاق فى تسديد ضربات الجزاء كان واحدا.

كانت القصة كلها فى لاعبين يمتلكون قدرا من الموهبة ومدرب يطالبهم بالفوز، كنت أشعر أحيانا أن دور الجهاز الفنى للزمالك أقرب لدور السايس الذى يقول لك: «تعالى تعالى تعالى» دون أن يعنى هذا شيئا لأنك بالسايس أو بدونه كنت ست «تعالى تعالى تعالى».

أعرف أن سوء التحكيم وسوء الحظ وقلة أدب جماهير بعض الفرق المنافسة والإعلام الرياضى المستفز أثروا بالسلب أحيانا على أداء العميد لكنها أمور لا يتوقف عندها كثيرا المدرب المحترف الواثق فى نفسه، أعرف أن الفريق به لاعبين نص لبة لكن الأهلى أيضا يمتلئ

بهذه النماذج لكن الفنيات تستر عيوبهم، أتفهم أنه يعمل فى ظل مجلس إدارة لا يختلف كثيرا عن حكومة تسيير الأعمال.. لكن المجلس اشترى لك اللعيبة التى اخترتها بنفسك والتى ثبت فشلها، أتفهم أن اللعيبة قد تخذله أحيانا فى الملعب لكنك أنت الذى عودتهم على أداء مباريات ودية تجهيزية مع كهرباء طلخا ودواجن فيصل ومركز شباب السيدة فى الوقت الذى كان الأهلى يخوض مباريات ودية تجهيزية أمام حرس الحدود ودجلة والمقاصة.

للأمانة يجب أن أقدر تفانى العميد التام فى عمله، وأن أشكره من قلبى أن منح الفريق أحد عنصرى النجاح الذى كان يفتقده (الروح والفنيات)، منح الفريق روحا قتالية لكنه أفرط فى الشحن لحد ما اللعيبة اتحرقت، أما الفنيات فلا يزال العميد فى بداية مشواره التدريبى وهذا لا يقلل من أهميته بل بالعكس فقد اكتسب ميزة مهمة إذ أصبح سجله التدريبى الحقيقى يبدأ بفريق ينافس على بطولة، لكن الزمالك وجماهيره أكبر من قدرات حسام حسن، ولا غضاضة فى أن ألفت نظره إلى أن المدربين الذى فشل فى أن يهزمهم تكتيكيا (طارق يحيى وفاروق جعفر وطه بصرى) عندما كانوا فى مثل عمره كانوا فى الزمالك مدربين مساعدين تحت قيادة مدير فنى أجنبى وهذا لم يقلل من شأنهم أبدا فقد سلكوا الطريق بالتدريج المنطقى حتى أصبحوا قادرين على هزيمة متصدر الدورى بفرق تقاوم الهبوط أو حديثة الصعود.

حسام حسن الذى أحبه كثيرا أعرف جيدا أنه سيحقق مستقبلا بطولات كثيرة، لكن هذا العام وحتى إذا تغيرت الظروف فى آخر أسبوعين بشكل يجعله يفوز بالبطولة سيكون قد فاز بها لأن الأهلى تخلى عنها.

باعتبارك أم مصرية (٨-٧-٢٠١١)

صباح الفل، أتمنى لحضرتك يوما جميلا فتمنيه لنا جميعا كذلك، اليوم نحاول أنا والشباب اللى زى أولاد حضرتك أن نؤكد على نجاح المهمة التى أدوها بنجاح خلال ثورة يناير، ابن حضرتك المفعوص اللى بتبعتيه يجيب العيش ويغير الأنبوبة ويطبق الغسيل استطاع أن يسقط نظام مبارك، ابن حضرتك الذى تمصمصين له شفايفك فى الرايحة والجاية مع الكثير من «آدى اللى أنت فالح فيه» و»ابقى قابلنى لو فلحت» أحب أقول لحضرتك أنه فلح بالفعل وأصبح يلهم العالم كله وأصبحت مصر كلها مدينة له بتعظيم سلام.

كل ما نحتاجه اليوم هو أن نسمح لهؤلاء الشباب أن يذكروا قادة البلد بالثورة وبدماء أصدقائهم الشهداء وبالمستقبل الذى نحلم به، كل ما نحتاجه اليوم هى «الكترة» المقترنة بالشجاعة والتى ستسمح لنا بأن نضع نقاط الأيام القادمة فوق الحروف، لقد شارك واحد من أبناء حضرتك على الأقل فى هذا الإنجاز فدعيه يساعدنا على استكماله حتى لا يغرق فى بحور اليأس والإحباط، لا تمنعيه (أو تمنعيها) من النزول اليوم لأن غيابه يعنى أننا فى وضع أسوأ من الوضع الذى كنا فيه أيام مبارك.

مش حضراتكم طول الوقت بتقولوا نفسنا أولادنا يطلعوا أحسن مننا؟ لقد جاءت الفرصة على طبق من ذهب، لقد ظللتى حضرتك ومعكى الأب الفاضل المحترم تعيشون على هامش الحياة وتسيرون جوه الحيطة مش جنبها إلى أن ضعف المجتمع كله وأصبح فريسة سهلة لعصابة من الفاسدين، لماذا تحرمين (ابنك أو بنتك) من أن يكون أفضل منكما ويصنعان المستقبل الذى سيجعلنا جميعا نسير فى شوارع مفتوحة بدون حوائط نختبئ فى ظلها ونحن مكرهين؟

خايفة عليهم من إيه؟. طب ده حتى حضرتك ست مؤمنة وبتأدى فريضة ربنا بانتظام وانتى اللى علمتيهم الصلاة أصلا وعارفة أنه «لا يغنى حذر عن قدر»، مش ممكن ابنك (لا قدر الله وبعد ألف شر) تمنعينه من الذهاب إلى التحرير وأثناء رجوعه من صلاة الجمعة يتخانق مع ابن صاحب العمارة على مكان ركن العربية ويغزه؟ مش ممكن بنت حضرتك (لا قدر الله وبعد ألف شر) تحبسيها هذا اليوم فى البيت وعندما تطلبى منها أن (تقوم تعمل الرز علشان الغدا) يقوم البوتاجاز يهب فى وشها وتفضلى طول عمرك تقولى ياريتنى سيبتها تنزل؟

نزول ابنك إلى التحرير اليوم لا يقل شرفا عن أداء واجب التجنيد، الفرق أنه إذا تخلف عن التجنيد سيتعرض للحبس، بينما إذا تخلف عن التحرير سنتعرض جميعا شبابا وآباء وأمهات إلى الحبس الجماعى من جديد.

هل تخافين من الشائعات التى تحذر من البلطجية والسيوف والكلام الفاضى ده، أحب أقول لحضرتك أن شعارنا اليوم «سلمية سلمية» وأن «الكثرة» تهزم البلطجة وتردع كل من يحاول أن يمس أحد الموجودين بسوء، نحن قادرين على حماية أنفسنا وفعلناها من قبل عدة مرات، وفقط عندما تغيب الكثرة قد يستفرد البلطجية بالأعداد القليلة، أى أن سلامتنا جميعا فى نزول ابنك وسلامة ابنك فى أننا كلنا موجودين فى هذا اليوم.

أرجوكى لا تكونى أم من الفلول وأتعهد لحضرتك إننا مش هنتشاقى، سنهتف ونرفع لافتات ونتحاور ونتناقش وربما نغنى ونشرب الشاى على جنب، هو يعنى حضرتك مش هيعرف يعمل أى فيلم ويروح من وراكى ويجى بعدها يعتذرلك وانتى هتسامحيه؟. طب ما تخليها تيجى منك وخليها بجميلة بالمرة!، إذا منعتيه هيفضل شايلهالك طول العمر وسيأتى وقت الفخر الجماعى عندما يحكى كل واحد كيف قضى اليوم فى التحرير وكيف لعب دورا فى صحوة هذا الوطن بينما ابنك واخد جنب

فى القعدة مكسور ومقهور ومكسوف.. سيسألونه مالك فيقول أصل ماما مارضيتش تخلينى أنزل فى اليوم ده، وقتها ستكونين سببا فى هزيمة شخصية ستظل تكبر بينه وبين نفسه حتى تقهره.

أرجو حضرتك أن تحرميه من الإحساس اللى عشتى به طول عمرك، إحساس (إن البلد دى مش بتاعتنا)، دعيه ينزل التحرير بتحريض منك وسيظل يتباهى بك طول العمر، خشى حضرتك صحيه زى ما كنتى بتعملى أيام المدرسة وامسحى بكرامته الأرض (إنت لسه نايم والناس كلها فى التحرير؟)، وأوعد حضرتك إنه «مفيش بيات» للاعتصام الناس الذين سينوبون عننا ولسنا مطالبين جميعا بأن نعتصم، وأتفق مع حضرتك أن ابنتك ماينفعش تنزل لوحدها ولا بد أن تكون فى مجموعة من صديقاتها على الأقل، الفكرة بس أن حضرتك ماتقطميش وكل شىء قابل للنقاش والاتفاق وماحدش هيعمل حاجة من غير رضاكى لأن اللى مالوش خير فى أهله أصلا مالوش خير فى بلده.

ستسألينني حضرتك ولماذا لم أوجه هذه الرسالة إلى الأب؟ وده برده سؤال؟. حضرتك وكل الأمهات أصل الأشياء فى بيوتنا جميعا.. وما الآباء إلا رجالة بتحاول تاكل عيش فى كنفكم.

تقبلى احترامى.. وتحيا مصر.

مودرن فلول (٩-٧-٢٠١١)

قبل ساعات من جمعة ٨ يوليو التى كان من ضمن أهم أهدافها تطهير الشرطة، وبينما الثوار يستعدون لافتراش الميدان كانت قنوات مودرن نموذجا يدرس للثورة المضادة وشغل الفلول، كانت الصيحات تأتى من فوق شاشات مودرن هادرة.. الكابتن مصطفى يونس يصرخ بأعلى صوت: اقطع رقبتهم يا وزير الداخلية، عقيد الشرطة الذى أصيب فى مصادمات الألتراس وعساكر الأمن المركزى يقول: ضربونا بأكياس المية يا افندم (وكما نعرف جميعا رش المية عداوة) فاضطرينا نتعامل.. وضيوف شلبوكة يرجونه: إحنا كمواطنين مصريين بنترجاك تستخدم الشدة، كابتن أحمد شوبير يقدم لمدير الأمن على الهواء أحدث نظريات المعالجة الأمنية قائلا: اضرب المربوط يخاف السايب، مجدى عبد الغنى يهاجم بضراوة مجموعة من الصبية والأطفال لا يتجاوز عمرهم الرابعة عشر ولا يتجاوز عددهم عشرة أشخاص استفزوا الداخلية بكل تشكيلاتها ومعداتها ورجالها بأكياس الماء والشتائم فانهارات أعصاب الداخلية وطاردتهم حتى أسقطت منهم أكثر من ستين مصابا.. مجدى عبد الغنى يصرخ: احنا عايشين فين؟. لازم الناس دى تتربى.. واللى يغلط تتقطع رقبته، كابتن شوبير يغنى وأستاذنا الكبير فتحى سند لا يمانع فى أن يردد خلفه على مقاطع من المواجهات قائلين: هيه دى الحرية اللى عايزنها؟ قنوات وليد دعبس الذى خصص برامجه للاحتفال بعودة مبارك من ألمانيا، احتفال نظمه ولعب فيه دور النبطشية (النبطشى هى مهنة ماجد الكدوانى فى فيلم الفرح).. لعب فيه دور النبطشى عواجيز مودرن المتصابين الذين أفنوا عمرهم المهنى فى التهليل لعلاء وجمال مبارك، كابتن مدحت شلبى لا زال يقول حتى هذه اللحظة « أحداث ٢٥ يناير».. كابتن مدحت شلبى الذى قال قبل الثورة أن الناس اللى

نزلت الميدان لا تمثله ولا تعبر عنه، كابتن شلبوكة الذى أشعل النار بينا وبين الجزائر وطلب مخرجه من المعلق كابتن أيمن أن يدى الثوار والثورة كلمتين تهزيء على هامش ماتش الزمالك والأفريقى ففعل الكابتن أيمن، كابتن شلبوكة الآن يجيد ضرب الثورة من تحت لتحت وكله بالأدب والاحترام وحضرتك رجل محترم وعايزين نعمل حوار شيك ومافيش أجمل من كده، بالأمس تفنن شلبوكة فى عرض مشاهد الأطفال التى ترمى الأمن المركزى بأكياس الماء وأرجوك عيد يا نصر وهات يا نصر اللقطة دى تانى ونصر بكل ما فى أدائه المهنى من سذاجة يعيد اللقطات بالتصوير البطيء ويتجنب لقطات الألتراس الذين يمنعون هؤلاء الأطفال بضراوة، قنوات مودرن تعلب على أوتار الأمية والجهل ومعظم المتعصبين الكرويين فى البلد ضحايا لهذه البرامج، والألتراس الذين تهاجمونهم مرة وتنافقونهم مرة أشرف كثيرا من هواة صبغة الشعر وارتداء النظارات الشمسية ليلا، ونقطة دم واحدة ذرفها فرد ألتراس فى مواجهات يناير أشرف كثيرا من مذيع نصب على الاتحاد الإفريقى فى إحدى البطولات فى كام مية دولار أو مذيع كان رجل شرطة ثم تخصص فى برامج الفنانات والراقصات ثم أصبح مذيعا رياضيا لا تمنعه السذاجة من أن يلقى على المشاهدين نكتا تخدش الحياء.

احترام الشرطة والعمل على مساعدتها فى استعادة هيبتها وتطهير صفوفها مطلب وطنى لا خلاف عليه ونبحث جميعا عن سبل لتنفيذه، ربما أخطأ بعض الصبية المشجعين لكن رد فعل الداخلية فى الملعب كان مبالغا فيه بشدة، رد فعل فضح أسطورة ضبط النفس التى يتحدث عنها قادة الداخلية فإذا كانت الشرطة تنهار سريعا أمام بعض الصبية الذين يقذفونها بأكياس الماء فكيف العمل إذا كانت الاستفزازت أكبر قليلا؟

(عقب أحداث ماتش الزمالك ووادي دجلة في نهاية دوري ٢٠١١)

العوا وشلبوكة وشرعية الميرى (١١-٧-٢٠١١)

محمد سليم العوا يغازل الناس الغلابة الخائفة و»يعوم على عومهم» ويقول لهم ما يريدون أن يسمعوه حتى يضمن أصواتهم، وهم الآن تحت وطأة الظروف الاقتصادية الصعبة بحاجة لشخصية معتبرة من رواد التليفزيونات ليقول لهم أن ما يحدث فى التحرير الآن فوضى.. قالها العوا فى العاشرة مساء وقال أن التحرير ملك الشعب يوم الجمعة فقط وأنه ضد الاعتصام لأنه (مغازلا الغلابة مرة أخرى) يعطل عجلة الإنتاج، بالرغم أن الاعتصام فى التحرير جعل الدكتور العوا ينطق بجملة لم يكن ليقولها إلا أمام المرآة (أنا قررت أترشح لرياسة الجمهورية).

قيادات الجماعة الإسلامية طموحها أقل ذكاء من الدكتور العوا، فالعوا يراهن على مغازلة الشعب الباقى إلى الأبد لكن قيادات الجماعة تغازل المجلس العسكرى الذى سيرحل من موقعه قريبا، فخرج علينا عاصم عبد الماجد أحد قيادات الجماعة وأطل عبر التليفزيون الرسمى ليقول اللى المجلس العسكرى عايز يسمعه: الموجودون فى التحرير فوضويون وليسوا ثوارا ويجب طردهم بالقوة، الجماعة الإسلامية تحرض لاستخدام القوة ضد المعتصمين وهو الأمر الذى يجعل قيادات الجماعة الإسلامية وطلعت زكريا فى صف واحد.. مع كامل الاحترام لأعضاء الجماعة الذين نراهم يوميا فى الميدان والذين أؤمن أنهم ليسوا على وفاق تام مع تصريحات قادتهم.

بعيدا عن أصحاب المصالح السياسية كان انعدام الوعى السياسى بعينه يطل عبر قنوات مودرن مجددا، الكابتن أيمن يونس يقول إن المعتصمين فى ميدان التحرير يحلمون بحياة آدمية.. (طيب وما هى الآدمية يا كابتن أيمن) يقول الكابتن أيمن: يحلمون بالأكل والشرب وأن تكون حياتهم مؤمنة لمدة ثلاثين يوما، الكابتن أيمن يعيش فى كوكب تانى وجعل المعتصمين حفنة من الجانعين، الأسوأ أن الكابتن

شلبوكة لا يكتفى بموافقته على وجهة نظره بل ويجامل المسئولين قائلا: «بس ده مش هيحصل فى يوم وليلة»، المحطة التى يتابعها الملايين فى العالم العربى (لا بحكم نجاحها لكن بحكم عشق كرة القدم) جعلتنا فى عيون العالم وفى عيون من لا يفهم مجرد شلة من الجوعى والفقراء والمشردين بعد أن كان العالم يعتقد أن سكان التحرير شباب ألهم العالم.. هل يستطيع وزير الإعلام إذا كان مؤمنا بالثورة فعلا أن يبدأ مهمته من هذه المحطة التى تم طرد صاحبها من ميدان التحرير منذ يومين على أيدى الثوار الجوعى؟!

المجلس العسكرى نفسه لا يهتم بمجاملة أحد أو حتى بمصلحته الشخصية، لم يتعلم شيئا من الثورة التى حماها، فهو أسير التعالى نفسه والتجاهل نفسه ويقع فى الأخطاء الساذجة نفسها، إذا كان المجلس العسكرى يحترم الدكتور شفيق باعتباره قائد سابق للقوات الجوية ويرى وجوده فى حفل تخرج دفعة الكلية الجوية بروتوكولا عسكريا هل فاته أن الدكتور شفيق أحد رموز أسوأ أيام المرحلة السابقة وهل فات المجلس أن هناك ربط شرطى بين طلة الدكتور شفيق وسيرة الشهداء وضحايا موقعة الجمل وهل فات المجلس أنها فجوة جديدة تكبر بين الثورة والمجلس حيث الناس فى التحرير تنتظر أن يعلق المجلس على مطالب الثوار فإذا به يتجاهلهم تماما لأ وكمان يطلع فى التليفزيون مع شفيق!!

أخشى أن يكون المجلس يسير على خطة تجعل الثوار يفقدون أعصابهم فيقعون فى الخطأ، يستدرجهم لعنف ما أو حماقة ما تجعل الشعب ينقلب عليهم وتجعل المجلس فى صورة الكيان الحكيم، للأسف المجلس يحكم حاليا بشرعية البدل الميرى لكنه لا يحكم بشرعية دماء الشهداء والمصابين، هناك فجوة نفسية بين الثورة والمجلس قد تسىء

إلى صفحة الجيش المصرى فى كتاب التاريخ، أنا غير مشغول بالفجوة النفسية التى تكبر بين بعض أبناء الوطن والثورة.. يهاجم الكثيرون الاعتصامات منذ بداية الثورة وبمرور الوقت نكتشف متأخرا وفى كل مرة أن المعتصمين كانوا على حق.

الفنجرى يفنجر من جيبه (١٢-٧-٢٠١١)

كتبت مقال اليوم وأرسلته ثم طلبت من الزملاء فى الجريدة إيقاف نشره، كان المقال هادئا بعنوان «آداب الاعتصام» أحدثك فيه عن طبيعة الناس الواقفة فى ميدان التحرير وكيف أن الأغلبية ليها فى الثورة ومالهاش فى السياسة وبلا أية طموحات فى السلطة وتؤمن تماما بأن التصعيد لا يجب أن يكون أحمق وأن الاعتصام الهدف منه الضغط على المجلس لا على الشعب وأن الموجودين فى الميدان يحاولون أن يضعوا أول طوبة فى بناء مصر التى يحلمون بها وأننا نود أن نضع فى مدخل الميدان لافتة تقول (منطقة عمل.. نأسف للإزعاج)، لكننى استيقظت من النوم على «صباع» اللوا الفنجرى فى أقصى» أعماق زورى» بيقول لى إصحى وبطل رومانسية مصر إيه اللى بتحلم بيها يا بابا.. فطلبت من الزملاء التوجه بالمقال إلى أقرب ريسايكل بن.

قال اللواء الفنجرى إن حرية الرأى مكفولة للجميع فى حدود القانون وفاته أن يقول فى حدود القانون الذى قمنا من أجله بتعيين وزير إعلام مخصوص ليطبقه ويرحمنا من وجع الدماغ، كانت إشارة واضحة من اللواء الفنجرى أن حرية الرأى ستكون حسب مقاسات واضحة هم سيحددونها وقريبا ستبدأ المحاكمات العسكرية فى جرائم النشر والتوك شو، كان اللواء الفنجرى منفعلا انفعال من يقول الخطاب أمام جماهير كثيرة وهو يعرف أنها ستصفق له.. كان يصمت عقب بعض الجمل التى تداعب قطاعا من الشعب شعاره «زهقنا من الثورة والثوار.. وكأن الثورة مسلسل تركى» ليمنحهم الفرصة للتصفيق والتهليل، كان يعرف أنه يخاطب ويغازل هذه النوعية لدرجة أنه لم يدقق حتى فى صياغة الخطاب وقال « من خلال إجراءات انتخابات «.. إجراءات انتخابات إزاى يعنى؟. مش لما تجيبوا مصحح لغة لخطاباتكو الأول تبقوا تصححوا للثورة مسارها.

كان اللواء الفنجرى يعبر عن الطريقة التى يفكر بها المجلس والقائمة على فكرة «سيبوهم يخلصوا على بعض» وهى تتكون من شقين الأول التلميح إلى أن الثوار والموجودين فى ميدان التحرير مجرد بلطجية (وهى نفس طريقة تفكير القراء الذين يعلقون على مقالات موقع اليوم السابع.. مع كامل احترامى للجريدة).. ثم التصعيد بتسليم الثورة والثوار للشعب بدعوتهم باعتبارهم مواطنين شرفاء للوقوف أمام البلطجية الذين يعطلون هؤلاء الشرفاء، ومين قال لحضرتك أن رواد الميدان لم يرفضوا بالإجماع كل الأفكار الحمقاء التى تضر الشعب واتفقوا على كل الأفكار التى تضغط على المجلس نفسه، أم أن المجلس يعرف حقيقة كل شىء لكنه لم يجد طريقة للتخلص من الثوار سوى بتشويبهم وتسليمهم للشعب حتى يخرج المجلس من الفترة الانتقالية بأياد بيضاء دون أن يتهمه أحد بالعنف أو القهر؟

يفخر اللواء الفنجرى أن شرعية المجلس كانت عبر الاستفتاء وهو أمر مناف للحقيقة تماما، ومن المؤكد أنه يحاول أن يرد على هتاف الناس كلها فى الميدان «يا مشير يا مشير.. الشرعية من التحرير»، الاستفتاء لم يكن يوما على شرعية المجلس والجميع يحلم الآن أن ينتهى هذا الخلط وأن تجرى الانتخابات وصولا إلى انتخابات رئاسة الجمهورية حتى يعود الجيش إلى معسكراته وشكرا لحد كده ولنترك التاريخ يحكم على أداء المجلس فى هذه الفترة الانتقالية.

لكن ما يخيفنى فعلا أن يصرخ اللواء الفنجرى فى وجهى قائلا: «لن نتخلى»، قالها حسنى مبارك قبل حضرتك «سأظل» واضح أن الجيل كله خريج المدرسة نفسها التى تمنحك شهادة التخرج بعد أن تتدرب جيدا على رفع «أصبعك» والتشويح به فى وجه الشعب، زاد اللواء الفنجرى على موضوع الأصبع بأن كوّر لنا قبضته طول الخطاب، تلك القبضة الدامية التى تعبر عن قوة الجيش فى مواجهة أحلام الثورة هى نفسها التى تتحول إلى قبضة جرافيك عند مواجهة البلطجية أو مفجري خطوط الغاز، كان إيمان اللواء الفنجرى بقوة قبضته أقوى من إيمانه بأى شىء آخر لدرجة أنه وللمرة الأولى فى حياته لم ينه خطابه بالقول المأثور «الله المستعان».

مزايا خطاب المجلس الأعلى (١٣-٧-٢٠١١)

الخطاب الذى أزعجنا بالأمس لا يخلو من مزايا عديدة بالرغم من كل ما فيه من ضوضاء.

لفت الخطاب نظر الثوار والمعتصمين لعلاقة الناس العادية بالثورة وعلمنا شيئا مهما فى هذه الجزئية، فالتصعيد الأحمق للاعتصام قد يمنح الفرصة لكل متنطع لا يعرف إلا جملة «آدى اللى خدناه من الثورة» أن يقولها، والناس مهيأة لأسباب نفسية بحتة لأن تقول هذه الجملة بمناسبة وبدون مناسبة، وكثرة ترديدها يجعلها يقينا مستقرا فى وجدان البعض حتى لو لم يمتلكوا دليلا عليها (كنت فى الأيام الثلاثة الماضية قد تعاملت مع أكثر من سائق تاكسى يحملنى من بيتى على بعد خطوات من التحرير إلى أماكن مختلفة، وفى كل مرة كان السائق يفتتح كلامه معى بالهجوم على اللى واقفين حالنا، وفى كل مرة أحاول أن أقنع السائق بأن ما يقوله غير صحيح فقد أخذنى من عند الناس اللى واقفين حاله فى وسط البلد وحملنى إلى مكان بعيد وحصل على أجرة تفوق العداد بكثير ولم نتورط خلال المشوار فى أية ارتباكات مرورية غير عادية، لكن السائق فى كل مرة ينظر لى باندهاش كأننى دولفين يجلس إلى جواره فى التاكسى.. الواقع مناف لما يقوله السائق تماما لكنه لا يراه ولا يرى سوى الجملة التى تزن حوله طول اليوم).

التصعيد يجب أن يتم تقديره بميزان الذهب حتى لا يتخذ الناس موقفا معاديا لكل ما تطرحه الثورة مستقبلا سواء كان طرحها عبارة عن مرشح فى انتخابات رئاسة أو برلمان أو نقابة أو عبارة عن مشروع قومى أو وزير أو رئيس حكومة أو حتى عملا خيريا، قدر الثورة أن تناضل بالقوة ضد الكبار وبالحسنى والرفق ومراعاة مصالح الغلابة لأنها قامت من أجلهم بالأساس، إذا افترضنا أن هناك عشرة موظفين سيقدرون أن الثوار يقطعون خط المترو لفرض مطالبهم فهناك عشرة آلاف فى

المقابل سيثورون عكسيا لأن مبارك بنظامه استطاع أن يشوههم ذهنيا بجدارة لدرجة أنه حولهم إلى مواطنين لا يحملون هم شيء سوى أكل العيش حتى لو كان عيش حاف فى ظل القهر والفساد.

التربص بالثورة كامن فى نفوس الكثيرين، وللأمانة فالاستعداد الفطرى للتربص بالثورة ليس قاصرا على الغلابة فقط بل على أصحاب المصالح الحاقدين على الثورة، والفاسدين الذين انغلق باب منح الفساد فى وجوههم، وبعض أصحاب الميكروفونات فى الإذاعة والفضائيات يجرون كل يوم استفتاء لمعرفة رأى الناس فيما يحدث فى التحرير ولأن الثوار والمشغولين بالثورة ليسوا مثلا وبدون ذكر أسماء من مستمعى نجوم إف إم فتجد أن أغلبية المشاركين فى الاستفتاء يضخمون وجهة النظر التى تقول إن الثورة تنقلنا من سيء لأسوأ .. تتضخم الفكرة عبر البرنامج وتنتشر حتى تصبح عدوى (ارجع لمثال سائقى التاكسى).

من مزايا الخطاب أيضا أنه يفرض على القوى السياسية المتناحرة أن تعيد النظر فى أدائها وأن تخرج من دائرة الصراعات التليفزيونية وصراعات منصات الميدان لأن معظم هذه القوى أصبحت «بتجيب الكلام للثورة» وأصبحت تصم المعتصمين حبا فى البلد بأنهم من راغبى القفز على السلطة وهذا أمر قد يليق بهواة المناصب لكن أغلبية سكان الميدان لا يشغلون بالهم أبدا بالفكرة.

من المزايا أيضا أن يضطر المجلس للإعلان عن منحه للدكتور شرف كافة الصلاحيات وهو اعتراف ضمنى أنه كان محروما منها من قبل، ونجح ضغط المعتصمين فى أن يخضع المجلس لرغبة الدكتور شرف فى تغيير وزرائه وهو حلم فشل فى تحقيقه كثيرا على مدى الأسابيع الماضية.

وحد خطاب اللواء الفنجرى الناس داخل الميدان وفى المحافظات، وألهب حماس الكثيرين ومنح المعتصمين اعترافا ضمنيا بأنهم محقون تماما فيما يطلبونه وأنهم يسيرون فى الطريق الصحيح وكانت استجابة المجلس العسكرى لبعض طلباتهم رد اعتبار لهم أمام كل من اتهمهم بأنهم بلطجية وفوضويون ومخربون يستحقون التفريق بالقوة وأنهم ليسوا من الثوار وأنهم شيوعيون وملاحدة وعلمانيون كفرة.

كان المجلس يتيه علينا بأنه هو الذى حمى الثورة ومنحها الشرعية بأن ضرب لشهدائها تعظيم سلام، والآن ضرب المجلس أصبعه فى أعيننا وكور لنا قبضته بمنتهى الحدة والغضب، أحرز المجلس هدفا مبكرا فى بداية الثورة والآن أحرز هدفا فى نفسه سحب منه الأفضلية، دلوقتى بقينا خالصين.. لذلك أعتبر أن أجمل ما فى الخطاب أنه جعل الثورة غير مدينة لأحد بأى شىء.

احذروا الشماتة (١٥-٧-٢٠١١)

فى عز برد يناير كان يحدث أحيانا عند دخولى إلى الميدان أن يتعرف على بشكل شخصى الشاب المسئول عن فحص بطاقات الهوية والتفتيش، قد أفرح عندما يستثنينى من هذه الإجراءات لكننى أفرح أكثر عندم يمارس مهامه بشكل طبيعى وهو يعتذر لى ويؤكد أثناء تفتيشى أنه من قرائى، أفرح بإخلاصه لمهمته وبطريقة تفكير جديدة علينا بعد سنوات كان شعار «إنت مش عارف أنا مين؟» أشبه بحصانة البرلمان، الآن ألتقى بشاب «عارف كويس قوى أنا مين» دون أن يثنيه ذلك عن أداء مهمته التى انتمنه عليها الميدان.

هذا النظام الذى فرض نفسه تلقائيا على أفكار المرابضين فى الميدان كان أحد أهم أسباب نجاح الثورة، كان مرور الحاجز الأمنى يرفع درجة إيمانك بما يحدث داخل الميدان قبل أن تذوب فى زحامه، وشاهدت كثيرين يرفعون أياديهم ويأخذون وضع التفتيش لأول مرة فى حياتهم والابتسامة تعلو وجوههم.

ربما ارتبكت الحسابات هذه الأيام لأن الأجواء أصبح بها قدر من التوتر واشتباك الأحداث وتشتت المواقف وظهور بعض الحسابات الشخصية على هامش الثورة، الأمر الذى انعكس على بعض رواد الميدان فاختل النظام بعض الشىء.

عندما أشيع مساء أمس أن الدكتور عمرو حمزاوى تم طرده من الميدان هو ومراسل إحدى القنوات الفضائية العربية أمتعضت وشعرت أننى مشارك فى هذا الخطأ.

أقول (أشيع) لأن البعض قال أن ماحدث هو أن الشباب (اتلموا بكثرة) حول حمزاوى أثناء خروجه من الميدان فبدا الأمر وكأنهم يطردونه

منه، بينما البعض يقول أن هذا هو ما حدث بالفعل لأن حمزاوى كان من مؤيدى فض الاعتصام.

وأقول (شعرت أننى مشارك فى هذا الخطأ) لأننى التزمت الصمت مثل كثيرين عندما تم طرد الشيخ صفوت حجازى من الميدان منذ يومين، وكنت أرى أن الصمت عن التعليق ورفض فكرة الطرد يعتبر موافقة ضمنية عليها، قلت لنفسى ربما كان تصرفا فرديا سببه أن الشيخ نسب له (وربما قال فعلا) أن بعض سكان الميدان فى هذه الأيام من البلطجية، لكن الأمر كان يستحق التعليق أيضا ربما أغلقنا الباب أمام فكرة طرد آخرين من الميدان.

أنا لست من مريدى الشيخ صفوت، لكن للأمانة نعرف أنه كان مرابضا معظم الوقت فى الميدان عند بداية الثورة، وأنه لعب دورا فى شد أزر محبيه ومريديه وكاد يتعرض للموت عدة مرات يوم موقعة الجمل، أى أن دوره فى الثورة يصعب إنكاره، صحيح أننى أعترض وبشدة على وصف بعض أهل الميدان بالبلطجة لكننى أرى معاقبته بالطرد من الميدان بهذه السهولة أمرا يحتاج للمراجعة خاصة وأنه شخص له رصيد يسمح بمناقشته ومراجعته (هناك جهات لم تعتد بتوجيه الاتهامات ولكن اعتدت بالضرب والحبس على المتظاهرين وكان رد الفعل متحفظا بحجة رصيدها الذى يسمح بذلك).

وجهة نظرى أن الميدان يجب أن يتعامل مع معارضيه أو أصحاب وجهات النظر المخالفة بطريقة تليق بالثورة قبل أن تليق بمن تتعامل معه، وهتاف الحرية الذى كان يرج الميدان رجا فى يناير لا يصح أن نراه والبعض يدفنونه فى قلب الميدان، وعندما ينبه أحد أبناء الثورة مثل حجازى إلى وجود بلطجية فى المكان ثم نراه فى قلب المكان فهذا

يدعو لأن نفهم منه ما قصده ونعرف لماذا لم يمنعه وجود بلطجية فى الميدان من النزول إليه وكيف عرف أن الميدان به بلطجية (لما يقول أن فيه بلطجية ويجى يتضرب ويتطرد يبقى الناس هتصدق كلامه.. فى حين أنك كان عندك فرصة تثبت للعالم أن كلامه غلط وكان هو اللى هيقول كده بنفسه)، وعندما يزور الميدان أحد أبناء الثورة مثل حمزاوى ولديه وجهة نظر ما بخصوص مميزات فض الاعتصام عليك أن تحاوره وتسمع منه وتتمسك بوجهة نظرك طالما أنت مقتنع بها وإذا ظل هو رافضا للاعتصام يبقى ياخد واجبه ونشكره على اجتهاده وخلاص.

حتى لو زار الميدان واحد من الفلول لديه فضول ما لمعرفة ما يدور فى هذا المكان أليس من الأولى أن يخرج من المكان بصورة تجعله يؤمن بقضية سكان هذا المكان؟

قلت من قبل أننا جميعا يجب أن نتعامل مع الثورة كأنها ديانة جديدة، تدعو الناس إلى اعتناقها بالحسنى دون أن تفرط فى قوتك أو صلابتك، وقلت أن هناك كثيرين يتربصون بالميدان ويتصيدون الأخطاء للثوار، وأقول مجددا على الجميع أن يوصدوا فى وجه العالم كله أية أبواب للشماتة.

أؤمن أن الثورة يجب أن تكون قوية على أعدائها.. رحيمة بأبنائها.. ذكية فى تعاملها مع الغرباء عنها.. فاتنة لمن يتأملها من بعيد.. ساحرة لمن يقترب منها، وأؤمن تماما أن الشدة فى غير موضعها محض حماقة كما أن التسامح فى غير موضعه محض هبل.

برما يتصل بك (١٧-٧-٢٠١١)

اتصل بى برما وش الفجر تقريبا، «إيه اللى مصحيك لحد دلوقتى يا برما؟»، فقال لى: لا أعرف ما الذى جعل عصام شرف وحسام حسن يجتمعان فى أحد فصوص مخى فى لقطة واحدة؟. لقد اكتشفت أن ظروفهما متشابهة بقدر كبير.. كل منهما وصل إلى منصبه فى لحظة تاريخية فارقة.. مصر كانت على وشك الوقوع فى فخ التوريث والزمالك كان على وشك الوقوع فى فخ دورى الدرجة الثانية، وكل منهما وصل إلى مكانه وسط تأييد جماهيرى عارم، شرف حصل على شرعيته من ألتراس الثورة وحصل عليها حسام حسن من ألتراس التالتة يمين، حتى مشكلتهما أثناء أداء المهمة كانت واحدة تقريبا، شرف يعانى من المجلس العسكرى وحسام كان يعانى من مجلس إدارة ناديه.

قلت له: « هل تعتبر أن المجلس العسكرى نسخة من مجلس إدارة نادى الزمالك؟ قال لى: لأ طبعا.. يكفى أن المجلس العسكرى استجاب لطلبات الثوار وسمح لشرف أن يشترى اللاعبين المحترفين الذين يحلم بوجودهم فى تشكيلته، بينما اختصر أعضاء مجلس الزمالك المسافات وراح شايل حسام نفسه عشان وجع الدماغ وراحوا كلهم قافلين موبيلاتهم حتى يتفادوا مواجهة الجماهير الغاضبة، بصراحة حسنا فعل المجلس العسكرى بأن أبقى على الدكتور شرف ولم يقله ومنحه فرصة جديدة بإمكانيات وصلاحيات أوسع.. أنا شخصيا أتمنى أن ينجح هذا الرجل هذه المرة لأننى لا زلت أراه أول قدم لروح الثورة فى السلطة وأتمنى أن تثبت وجودها بالفعل، فنجاحه سيكون من أجمل دروع البطولات التى سيحتفظ بها الميدان فى دولابه لأنه نجاح لواحد من أبناء النادى.. قصدى واحد من أبناء الميدان.

قلت له: «برما.. ممكن أعرف رأيك بصراحة فى أداء المجلس العسكرى؟» تنهد برما تنهيدة كادت تحرق التليفون ثم قال: لا أستطيع

أبدا أن أفترض فى المجلس العسكرى أنه شرير أو متواطئ.. لأننى لا أمتلك أدلة ملموسة على هذا الافتراض.

قلت له «أومال إيه؟»، فقال: ليس شرطا أن يكون المطرب العظيم ناجحا عندما يتجه إلى التمثيل، وأعتقد أن المجلس العسكرى غير موفق فى إدارة شئون البلاد لمشاكل مهارية، نظرياتهم فى الإدارة تصلح مع فترة انتقالية فى حياة وطن مستقر بالفعل وكل نقاطه فوق الحروف ومؤسساته تعمل بكامل كفاءتها وأفكاره مرتبة ونهائية.. لكنها لا تتماشى بشكل مرضى مع وطن تقريبا بيبدأ من الصفر، هم يمثلون خير أجناد الأرض بلا أدنى شك.. ولكن مهارات العمل السياسى أكثر تعقيدا من مهارات حمل السلاح.

قلت له: «طب ومجلس إدارة الزمالك؟»، فقال لى: يا راجل دول بقالين رسمى، قلت له مندهشا «بقالين؟»، فقال لى: بقالين وواقفين فى محل مش بتاعهم أصلا.

قلت له: «برما أنا عمرى ما سألتك عن المرشحين المحتملين للرئاسة»، برطم قليلا بكلام لم أسمعه ثم قال: بص.. عندى مشكلة مع كل واحد.. مشكلتى مع عمرو موسى «الألاطة» الزائدة والتى قامت الثورة للقضاء عليها أصلا، ومشكلتى مع البرادعى أنه يبدو أحيانا زاهدا زيادة عن اللزوم وروح غاندى التى تتلبسه أحيانا تشعرنى بالوهن، ومشكلتى مع العوا أنه داخل علينا دخلة شكرى سرحان على تحية كاريوكا فى شباب امرأة، ومشكلتى مع حمدين أنه كتير على مصر وهيربكنا «يعنى لو كان حمدى واحد مش حمدين كانت تبقى أسهل شوية»، ومشكلتى مع أبو الفتوح أنه ستايل قديم لفكرة رئيس الجمهورية بلغة خطابه وكلاسيكية شخص خرج من عباءة كيان سياسى محافظ ومنظم زيادة عن اللزوم.. فاضل حد؟»

قلت له: «المستشار البسطاويسى»، فقال لى: «دماثة البسطاويسى نموذج لدماثة الضيوف لا أصحاب البيت.. وتلك مشكلة».

قلت له: «ألا ترى فيهم أية مميزات؟»، فقال: على اختلاف نواياهم أرى فى كل واحد منهم شخصا يحب البلد بطريقته ولديه فكرة تشبهه يحاول أن يدفع بها بلده إلى الأمام، أحب وأكره وأنا أنظر إليهم لكننى أبدا لا أمتلك أدنى شك فى وطنيتهم جميعا.

قلت له: «طب رجعنا تانى لعصام شرف وحسام حسن»، فقال: على كل واحد منهما أن يستفيد من تجربته السابقة وهو يخطو خطوته الجديدة، فمثلما نطلب من حسام حسن أن «يسيطر على أعصابه» نطلب من الدكتور شرف أن «يثور قليلا»..

كنت طير وصبحت مراكبى (١٨-٧-٢٠١١)

كانت لدى مشكلة فى كل مرة أستمع فيها لأغنية أحمد منيب: «آه وآه ويا فرحة قلبى.. كنت طير وصبحت مراكبى» فأسأل نفسى ماذا كان يقصد العم فؤاد حداد بهذا التشبيه؟ ما الذى كان يدور فى باله عندما شعر بالفرحة لأنه تحول من طير لمراكبى؟

سنوات وأنا أطارد نفسى وأصدقائى المثقفين بالسؤال دون إجابة شافية، واليوم وأنا أحمل طفلتى المتيقظة بوحشية بعد الفجر بقليل فى البلكونة محاولا منح أمها فرصة للنوم، وبينما أغنى لها هذه الأغنية التى هبت فى عقلى بدون مقدمات عرفت الإجابة فقرأت الفاتحة فى سرى للعم منيب والعم حداد.

«كنت طير» أيام العزوبية محلقا من شجرة إلى أخرى ومن سطح بناية إلى ناصية حقل، و«صبحت مراكبى» أتحمل مسئولية شخصين معى على القارب نفسه فى بحر الحياة كل حلمى أن أحملهما إلى الشاطىء الآخر بسلام، أما عن فرحة قلبى بهذا التحول فيالها من فرحة على مقاس القلب فلم أعرف فى حياتى كلها عملا أنبل من مساعدة شخص غريب فى عبور الطريق.. فما بالك بمن تحبهم؟

كنت أتمنى أن يكونا منيب وحداد على قيد الحياة لأهاتفهم فجرا قائلا: «الآن فهمتكم».

بعد شهور من مولد ابنتى أصبحت أتعجل لحظة نطقها للكلمات وإن كنت أثق تماما فى حكمة إنجليزية تقول أن الواحد بيستعجل كلام طفله إذا كان ده طفله الأول فقط.

أنت لست بحاجة لامتلاك منبه ما دمت تمتلك طفلا فمن الثابت علميا أن اللى خلف ما نامش.. أكاد أجن من الذين يقولون على من ينام بعمق أنه نايم زى البيبهات أقطع دراعى لو كان عندهم أطفال أصلا، تعلمت أن «التسنين» هو أفضل تشبيه للمرحلة التى نعيشها كلنا هذه الأيام.. انفعال مستمر وصراخ يتوقف وضجر وارتباك لا حل له سوى انتظار انتهاء المرحلة بشكل طبيعى وتدريجى.. مصر «بتسنن» ولا حيلة أمامنا سوى أن نتحمل بعض جميعا حتى تمر الأمور بسلام.. عندك حل تانى؟

عموما أسأل نفسى لماذا تبدو مغرمة بمص أصابعها طوال الوقت؟ أمها تقول لأنها بتسنن طبعا وأنا متاكد أنها تحاول أن تجرب طعاما جديدا بعد أن ملت الطعام نفسه الذى تعيش عليه منذ أن جاءت إلى الحياة.. صحيح أن مافيش أحلى من» لبن الأم» لكن بعد عدة أشهر من طعام واحد أكاد أشعر بها وهى تهتف «أم اللبن».

أما الزوجة كان الله فى عونها فهى تعانى من عدد ٢ فم كلاهما جعان وبيزن طول الوقت، لذلك عندما قالت لى زوجتى «عايزين ناخد أجازة» أرسلتها إلى حماتى مع الابنة، لكنها غضبت منى، ربما لم أجد فهم طلبها.. كل ما أفهمه أنها تعمل كأم وزوجة وعندما تطلب إجازة فهذا يعنى الحصول على إجازة من إحدى المهنتين ما لم يكن من كلاهما.

نتلصص عليها أنا وزوجتى وهى نائمة لنعرف تشبه من فينا أكثر؟ فى كل مرة تشبه واحدا منا، بمرور الوقت خلصت لنظرية صارحت بها زوجتى قائلا (ما دام البنت كل يوم شبه حد فينا من غير ملامحها ما تتغير.. يبقى أكيد أنا وأنتى شبه بعض أصلا)، عندما استشعرت زوجتى فى النظرية إهانة لها لم تتردد فى التعبير عن غضبها فقلت لها «بصراحة إنتى لازم تاخدى أجازة».

كلما نظرت إليها وهى نائمة أشيل هم مرحلة قادمة اسمها مرحلة «احكى لى حدوتة يا بابا» فأنا روانى فاشل تماما وحكاياتى لا تناسب الأيام التى نعيشها فأمنا الغولة لم تعد مرعبة مقارنة بأمنا البلطجية والسندريلا ستبدو ساذجة فى عيونها وهى تتأملها تجرى بفردة حذاء واحدة لن أستطيع أن أقنعها لماذا اشترطت عليها الساحرة أن تغادر الحفل قبل الثانية عشرة إذا كنت أنا وأنا كبير أهو مش فاهم ليه الإخوان اشترطوا أن ينصرفوا من الميدان قبل حلول الليل، سيبدو الرجل أبو رجل مسلوخة أقل إثارة للريبة من الرجل اللى ورا عمر سليمان، سأتحاشى الحكايات وسأكتفى بتوجيه النصائح على الرغم من إيمانى التام بقاعدة تقول أن نظريات الآباء ونصائحهم ضد قاعدة سرعة الصوت، فما يقوله الأب الآن لا يصل إلى أسماع ابنه جيدا إلا فى سن الأربعين.

كنت طيرا ما إن يستقر حتى يرحل، وأصبحت مراكبى ما إن بدأت رحلته حتى شعر بالاستقرار.

كان الواحد يؤمن فى طفولته أنه عندما يكبر سيعرف إجابات عن كل الأسئلة التى تدور فى ذهنه، أجمل ما فى الأبوة أنك ستعرف فجأة الإجابات كلها لكنك ستجد مشقة فى معرفة «هيه الأسئلة كانت إيه؟».

برما يتحدث عن نظرية النقاشين (١٩-٧-٢٠١١)

قال لي برما: الأرقام التى يرزعها الإعلام فى وجه الواحد منا كل صباح سواء التى تم التحفظ عليها أو منع التصرف فيها، تلك الثروات الطائلة التى كان المسئولون يراكمونها بينما الفقراء يراكمون لقيمات الخبز الجاف على جنب أملا فى إعادة الاستفادة منها، هذه المليارات تؤكد مدى إحكام وقوة نظرية سيدنا على رضى الله عنه عندما قال: «إن الله فرض فى أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما استمتع به غنى».

أثبتت المرحلة السابقة أن الشيطان قد غير طريقة عمله، كان فى السابق يعتمد على إغواء الفقراء ولخطأ تقنى ما أصبح فقراء مصر راضين بأحوالهم فغير الشيطان أسلوبه وأصبح يعتمد على الأغنياء بشكل أكبر.

أعادت المرحلة السابقة أيضا تعريف مسألة الفقر والثراء.. لم يعد التعريف قاصرا على كم الأموال التى تمتلكها ولكن اتخذ أبعادا جديدة.. علمتنا الأيام السابقة أن الفقير فعلا هو الشخص الذى تؤثر فيه سياسات الحكومات وقراراتها.. أما الثرى فهو الشخص الذى يؤثر فى سياسات الحكومة.

علمتنا المرحلة السابقة أن الكبار لا يستثمرون فى مشروعات تحتاج إلى مجهود شاق، المجهود الحقيقى يبذلونه ذهنيا لاختيار مشروعات تحقق ثروات طائلة بضربة واحدة.. شراء الأراضى المهجورة.. مشروع اللوحات المعدنية.. تجارة الشقق والفيلات.

انتهت موضة تكوين الثروات من الاقتراض من البنوك والمضاربة فى البورصة، تعلمت البنوك الدرس وأصبحت تعمل بمنطق جديد تقرضك فقط المبلغ القادر على إثبات امتلاكك له، أما البورصة فيقولون: لو

عايز تخرج منها بثروة صغيرة فلا بد أن تدخلها بثروة كبيرة.

سألته: ماذا عن الادخار يا برما؟!، فقال: لا تفكر أن الادخار هو مفتاح الثروة، هولاء الكبار كانوا يكنزون ولا يدخرون..

سألته: كيف يقدر الفقراء على مواصلة العيش فى هذه الظروف القاسية؟... نظر لي ساخرا ثم قال:

قال أحدهم زمان: الفقر يشبه فقدان العذرية.. هو أمر لا يؤلم سوى لمرة واحدة فقط.

سألني: هل تريد أن تعرف حجم ثرائك؟

اصنع قائمة بالأشياء التى تمتلكها والتى لا يمكن شراؤها بالمال.

هل تريد قاعدة تضمن لك السعادة فى أضيق الإمكانيات؟

ضيع فلوسك النهاردة كأن مافيش بكرة بدلا من إنك تضيع النهاردة كأن مافيش فلوس بكرة..

قلت له زدني يا برما، فقال: اللحظات الجوهرية فى الحياة تتجاوز مسألة الفقر والثراء، يقول حداد «لو يسألوك تقول.. أجمل ما فى الدنيا المية للعطشان يعرفوك مصرى»، ونظرية النقاشين التى يتحرك بها معظمنا تحتاج لمزيد من التقدير بدلا من مهاجمتها عمال على بطال (نظرية أنا مابانزلش الشغل غير لما الفلوس اللى فى البيت تخلص)، هناك حكاية عن رجل أعمال أمريكى زار قرية ساحلية ودخل أحد المطاعم وطلب نوعا من السمك لم يسمع به من قبل فأعجبه.. طلب المزيد فقالوا له الصياد لا يحضر لنا سوى كمية قليلة كل يوم، بحث الرجل عن الصياد حتى وصل إلى المكان السرى الذى يصطاد فيه.. راقبه فوجده اصطاد خمس سمكات من النوع الذى أعجبه ثم هم بالانصراف، توجه رجل الأعمال إلى الصياد قائلا» لماذا أنت مقل فى ساعات عملك ومعدل

إنتاجك؟» فقال له الصياد « أصحو كما يحلو لى أفطر ثم أتجه إلى الصيد أقضى ساعتين ثم أبيع ما اصطدته لألحق بأطفالى على الغذاء ونظل نلعب سويا حتى موعد نومهم وفى السهرة أخرج لأسهر مع أصدقائى نمرح ونعزف الموسيقى ونلهو حتى ساعة متأخرة»، فقال له رجل الأعمال: «إذا ضاعفت ساعات عملك ستحقق ثروة أكبر.. يمكنك معها أن تستأجر شبابا يعملون عندك.. بعدها ستبيع للمطاعم كلها.. ستحتكر هذا النوع من السمك وبعدها يمكنك أن تصدر الفائض للمدن الكبيرة.. وبعد قليل ربما تمتلك مكتبا فيها.. سيتحول المكتب إلى شركة.. وستصدر بعدها إلى جميع أنحاء العالم وتصبح واحدا من أثرياء الكوكب»، قال له الصياد « وما الذى سأستفيده بعد ذلك؟ »، فقال له الرجل «ستصبح ثريا لدرجة تمكنك من الاستمتاع بحياتك.. ستصبح قادرا على أن تمتلك بيتا فى قرية مثل هذه تقضى فيه الإجازة تسبح وتمارس هواية الصيد وتستمتع باللهو مع أطفالك وتقضى ليالى الصيف على شاطىء القرية مع أصدقائك تعزف الموسيقى وتمرح حتى ساعة متأخرة».

فخ الرفض (٢٠-٧-٢٠١١)

فى هذه الظروف التى نعيشها لم أسترح أبدا لفكرة أن يعتذر شخص ما عن عدم تولى مسئولية إحدى الوزارات.

لم أقتنع أبدا بالأسباب التى تم طرحها، ولست مقتنعا أن أحدا يمتلك رفاهية رفض المهمة، فهى لأول مرة وبجد «تكليف مش تشريف»، من يرفض يعتقد أنه تفادى الوقوع فى الفخ لكن الحقيقة أنه قد وقع فيه بالفعل.

أكره المعتذر عندما يكون طموحه أكبر من هذه الوزارة التى ربما لن يطول بها العمر أكثر من ٣ أشهر، أراه ببساطة شديدة يفضل مصلحته الشخصية على مصلحة بلد لجأ إليه وطلب منه أن يشارك فى المساعدة على عبور هذه الفترة، شخص «خايف يتحرق سياسيا» فقرر أن يحافظ على برستيجه ليستمتع بالمنصب فى مرة قادمة تكون الفترة أطول والظروف أفضل بحيث يكلل تاريخه المهنى والسياسى بنجاح شبه مضمون، أولئك الرافضون الذين قرروا أن يخدموا البلد بشروطهم التى تنطوى على طموح فردى وشغف بالمجد الشخصى لا يجب أن يتم اللجوء إليهم مرة أخرى فى أى يوم من الأيام، ويجب أن يحرموا من هذه الفرصة إلى الأبد.

البلد تغرق وتمد لك يدها وأنت بمنتهى الألاطة تقول لها ربما فى مرة قادمة.

لن أعتبرك خائنا وإن كان الاتهام يحوم حولك لكننى أعتبرك نموذجا للشخص الذى قامت الثورة لدهسه، ربما تكون مختبئا الآن لكننا سنعرفك فى المرة القادمة لأنه خلاص مابقاش فيه حاجة بتستخبى.

أما الذى اعتذر عن قبول المنصب لأنه يخشى ألا يمتلك صلاحيات

كاملة تساعده على أداء مهمته كما ينبغى فهو كالمحارب الذى هرب من الميدان لأنه يخشى أن يكون السلاح الذى فى يده أقل كفاءة من سلاح العدو، فهرب من الميدان وخسر شرف الجندية وشرف المحاولة، ما لا يدرك جله لا يترك كله.. هذه هى القاعدة، والصلاحيات التى ستنقصك كنا سنتكاتف جميعا حتى نساعدك فى الحصول عليها، نسيت أنه إذا لم تساعدك الظروف كان سيساعدك آلاف الشباب الذين ينامون على أسفلت التحرير فى شمس يوليو حتى نفرح بهذا البلد.. كان عليك فقط أن تلبى نداء الواجب وأن تجتهد وتناضل لتنجح فى مهمتك لكنك «اشتريت دماغك» وقفلت الباب من أصله وتورطت فى التهمة نفسها.. خدمة البلد بشروطى أو بلاش خالص.

هناك من اعتذر لأن طموحه أكبر من منصب حكومى، شخص مشغول بنفسه ويترفع عن خدمة البلد فى هذه الظروف لأنه مشغول بمشروعه الأكاديمى أو الحزبي أو الاستثمارى، يرى أن منصب وزير حكومى (شغلانة مش جايبه همها)، يتخلى عن لعب دور المسعف الذى عرضه عليه بلد جريح لأنه يخاف أن تتسخ يده التى يفضل الاحتفاظ بها نظيفة لمهمة أخرى.

هناك من اعتذر لأنه مريض نفسى ويريد أن يتيه فخرا بجاذبية جملة «عرضوا عليا الوزارة وأنا رفضت».. والصراحة خيرا فعل.

أحترم بشدة من رفض تولى منصب الوزير لأسباب صحية مثلا، أو لأنه وبموضوعية شديدة يعرف إمكانياته الشخصية ويعى جيدا أنه لن يكون ناجحا فى المهمة وأن هناك من هم أفضل منه، أحترم من رفض المنصب لأنه لم يلق قبولا من الشعب أو العاملين فى مجال الوزارة المرشح لها صحيح هو يحافظ على كرامته فى هذه اللحظة لكنه أيضا يعرف أنه لن يجد فى محيط عمله أى دعم أو تعاون لأنه مرفوض بالأساس.

أحترم أيضا من قبل التكليف رغم كل هذه الظروف الصعبة التى نعيشها لأنه يثق فى نفسه وفى قدراته ولا يخشى أحدا ولا يخاف أن يتعرض للسب والهجوم إذا لم يوفق فى مهمته، أحترم أنه لم يخش النزول إلى الميدان فى أوقات عصيبة وعصبية وفهم جيدا أن اللحظة التى يشرفك فيه الوطن بأن يطلب منك أن تشارك ولو فى جمع القمامة هى لحظة تاريخية وعظيمة.

أما الشخص الذى يطلب البلد خدمته فيتباطأ ويتلكأ ويضع ساقا فوق ساق فهو شخص جبان.. ليس لأنه خاف من ثقل المهمة.. هو جبان لأنه عمره ما كان هيقدر يرفض لو كانت الوزارة اتعرضت عليه أيام مبارك.

حسب التوقيت المحلى لميدان التحرير

ramadanelsawra#

(١)

يبدأ الأمر على تويتر بأن يشعر أحدهم ب(الوحدة) فيقرر أن يكسرها دون أن يخل هذا بـ (توحده)، فيطلق جملة أقرب ما تكون للطعم القادر على اجتذاب أسراب من الأسماك الملونة قادرة على بث الروح فى عروق المتوحد من جديد، قد يكون الطعم سياسيا يفتح أبواب المناظرات، وقد يكون رياضيا فيفتح أبواب استوديوهات التحليل، وقد يكون جملة طانشة تتمتع بروح (القلش) فتفتح لك الباب على جحافل (القلاشين) أمثالك.. من هنا جاءت فكرة هذا الملف.

(٢)

كل ما فعلته هو أننى كنت أعد الساعات حتى موعد رجوع الزوجة من العمل، يكاد الجوع أن يجعلنى أقدم فاصلا من الرقص الاستوائى بعرض الشقة وطولها، قلت لنفسى الواحد هيعمل إيه فى رمضان الذى يبدأ فى الثالثة فجرا ولا ينتهى قبل السابعة مساء، ثم تذكرت أنه أول رمضان بعد الثورة، فتسللت إلى تويتر وكتبت (هل استنشاق الغاز المسيل للدموع يبطل الصيام؟)، لم أتلق إجابة سريعة، فكتبت (هل سيطلب وزير الداخلية منصور العيسوى من الشاويش المسئول أن يلتزم بضبط النفس عند ضرب مدفع الإفطار؟)، فتلقيت إجابات قصيرة من نوعية (لول) و(دى) و(الابتسامة الرقمية)، استفزنى سكون تويتر فكتبت (هل سنخوض هذا العام معركة رمضان أولا أم العيد أولا؟)، ثم كتبت (إذا تحول الاعتصام إلى اعتكاف هل سينسحب منه الإخوان

أيضا؟) وهنا بدأ سكان تويتر يطلون بكثافة ليتفاعلوا مع هذا القلش، فما كان منى إلا أن عملت هاش تاج (وهو مقهى صغير يتناقش فيه أصحاب الاحتياجات الخاصة) وعنونت الهاش تاج ب (رمضان الثورة) ليقدم من خلاله كل (قلاش) وجهة نظره عن أول رمضان بعد الثورة فى أقل من ١٤٠ حرفا.. وإليك النتائج..

قبلها كنت أود أن أكتب اسم صاحب كل تويتة أمامها ولكن تعرض هذه الجمل للعديد من عمليات «الريتويت» جعلنى غير متأكد من اسم أول من أطلقها لذلك أعددت قائمة بالأسماء التى تكرر ظهورها خلال هذا الحوار مع الشكر لهم بالطبع، وعموما الهاش تاج موجود

ramadanelsawra#

ويمكن الرجوع إليه للاطلاع على المداخلات كاملة خاصة تلك التى لا تصلح للنشر.. واخد بالك؟

(٣)

- عاجل: المجلس العسكرى: لا نية لفض الخيام الرمضانية بالقوة.. و «التشييش» السلمى حق مكفول لكل مواطن مصرى.
- الثوار يطالبون أن تكون الرؤية فى التحرير حتى يحصل الشهر الكريم على الشرعية من الميدان.
- عاجل: الليبراليون يطالبون بتأجيل شهر رمضان لأن مافيش حد مستعد له غير الإخوان والسلفيين ويطنون الجمعة القادمة جمعة العيد أولا.
- عاجل: عمرو موسى: قدوم رمضان قبل العيد شىء مهم ومؤثر جدا وعموما صوم رمضان يعتبر خطوة إلى الأمام.

- عاجل: العيسوى: لا يوجد لدى الداخلية مدفع إفطار.
- يسرى فودة يعرض فيديو تم التقاطه لأحد أعضاء مجلس الوفاق القومى وهو يدخن سيجارة مع البلطجية قبل المغرب.
- اللواء ممدوح شاهين: المحاكمات العسكرية فقط للبلطجية ومفطرى رمضان.
- الصائم الحق هو الذى يثور على الفساد ثم يهدأ علشان يكسر صيامه بأى حاجة.
- عاجل: اللواء عمر سليمان: ثوار التحرير يفطرون حسب إمساكيات أجنبية.
- عاجل: جماعة الإخوان: هدفنا خمسين فى المنة من موائد الرحمن ولا نسعى للكنافة أو القطايف.
- عاجل: بيان المجلس العسكرى: تأجيل شهر رمضان الكريم إلى ما بعد الانتخابات احتراما لإرادة الشعب العظيم.
- عاجل: الأمة تنتظر خلال الساعات القادمة بيان انطلاق مدفع الإفطار.
- عاجل: اللواء عمر سليمان: المصريون غير مؤهلون للصيام.
- عاجل: الثوار فى التحرير يفكرون فى توجيه مدفع الإفطار ناحية شرم الشيخ هذا العام.
- عاجل: العيسوى: الشرطة مش موجودة فى الشارع من يوم ٢ رمضان ولسنا مسئولين عن أية مدافع إفطار انطلقت بعد هذا التاريخ.

- عاجل: الإخوان: هناك من يحاول الالتفاف على نتيجة استطلاع هلال شهر رمضان.
- عاجل: فريد الديب: مبارك أول من أيد الصيام فى رمضان.. أومااال.
- عاجل: الدكتور شرف يقرر إذاعة المحاكمات بعد الإفطار وليس قبله حتى لا تخسر الناس صيامها.
- عاجل: الملثم يعلن عن قيامه فى رمضان بالمزيد من الألعاب النارية فى خط الغاز لتسلية صيام المصريين.
- التليفزيون المصرى نقلا عن عمر سليمان: أيادى وأجندات خارجية مسئولة عن قدوم رمضان فى هذا الحر.
- عاجل: فريد الديب يبلغ مبارك اعتراضه على أن يصوم المصريون فى غيابه، ومبارك يرد عليه: خليهم يتسلوا.
- عاجل: ممدوح حمزة من أمام أكبر مائدة رحمن فى التحرير: افطروا افطروا المائدة دى بفلوسى.
- عاجل: النائب العام يقرر تأجيل العيد الصغير ١٥ يوما والثوار يحتجون.
- الهتاف الآن: ارفع راسك فوق أنت صايم.
- عاجل: جماعة إحنا آسفين يا ريس ينظموا مسيرة إلى شرم الشيخ يطالبون فيها مبارك أنه مايصومش علشان صحته.
- يوم رمضان بقى أطول.. آدى اللى خدناه من الثورة.. منكوا لله خربتوا البلد.

- المفتى يقول أن رمضان ٣٠ يوما هذا العام والثوار يتّهمونه بالتباطوء.

- السؤال: هل تصلح صلاة التراويح بعد الثورة أمام مسجد مصطفى محمود؟

- الهتاف الآن: ثورة ثورة حتى النصر.. صايم صايم حتى العصر.

- عاجل: مصدر عسكرى: رمضان جاء هذا العام لأن ٧٧,٢٪ من الشعب المصرى قالوا نعم لرمضان فى الاستفتاء الأخير.

- واحد فى رمضان بيقول لفريد الديب «فطار مبارك» فرد عليه وقال له «سيبه على الترابيزة اللى جنب سريره».

- عاجل: غدا حلف اليمين للحكومة الجديدة بعد استبدال بعض الحقائب الوزارية بشنط رمضانية.

- عاجل: ممدوح حمزة: أنا أول واحد قدم فكرة شهر رمضان للحكومة من ٣٠ سنة بس رفضوا.

- هتاف الأطفال فى رمضان: حالو يا حالو.. مبارك شعبه حله.

- ثورة وصيف ورمضان.. منكوا لله وقفتوا عجل الإنتاج بتاع مارينا.

- عاجل: وزير التجارة ينفى قيام الحكومة باستيراد كميات من قمر «الديب».

- رؤية هلال رمضان فى تونس قبل بقية الدول العربية.

- عاجل: فوانيس على شكل قناصة تملأ الأسواق والعيسوى ينفى مسئوليته ويتهم تجار الموسكى.

- حمادة هلال وأغنية رمضان الجديدة: شهر رمضان الكريم بعد شعبان العظيم.

- عاجل: البرادعى يدعو جميع المصريين للإفطار أول يوم رمضان فى ميدان التحرير.. ويستأذنهم إنه يفطر فى النمسا اليوم ده.

- قبل العيد بأيام: ضبط شحنة للقنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطى قبل بيعها فى العيد لأطفال الثوار.

- عاجل: ضبط شحنة من فاونيس رمضان على هيئة رجل عسكرى بيضرب تعظيم سلام لكنها شحنة فاسدة لأن بعد شوية العسكرى بيضرب بصباعه.

- عاجل: مبارك: لم أكن أنتوى الصيام هذا العام.

- توفيق عكاشة: فيديو الإفطار الجماعى اللى كان عامله فريدوم هوس لبتوع ٦ إبريل عندى.. بس بعت الواد يجيب الفلاشة من العربية.

- الحشود فى روكسى تتساءل: هيه الناس اللى بتصوم رمضان دى عايزة إيه؟

- عاجل: مصدر عسكرى: إننا لم ولن نضرب المدفع فى وجه هذا الشعب العظيم.

- الفوانيس الصينى تهتف: الشعب يريد تقديم الأذان.

- عاجل: التليفزيون المصرى يبث بعد قليل وقائع إفطار الدكتور عصام شرف من أحد محلات التابعى.

- عاجل: مبارك يعلن تخليه عن صيام شهر رمضان ويكلف المجلس العسكرى بالصوم بدلا منه والله الموفق والمستعان.
- الإخوان يطالبون بالإفطار أولا ثم الصلاة والسلفيون يتمسكون بالصلاة أولا ثم الإفطار والليبراليون يتمسكون بالدستور أولا وبعدين نشوف.
- الثوار يطالبون بتطهير دار الإفتاء قبل استطلاع هلال الشهر الكريم.
- الاحتفال برؤية هلال رمضان بحضور مندوب من ائتلاف شباب الثورة.
- مش معقول رمضان يجي فى أغسطس.. سبتمبر أولا.
- اللى صايمين رمضان دلوقتى مش هما الشباب الجميل اللى كان صايم النص من شعبان.
- محمود سعد يكشف فى حلقة الليلة أسرار جديدة عن موقعة عين «الجمل».
- العسكرى: مدفع الإفطار اضرب.. الثوار: سلمية سلمية.
- الفريق شفيق لعلاء الأسوانى: أنا عزمت واتعزمت.
- عاجل: الثوار يشترطون منع مسلسل تامر حسنى جديد لفض الاعتصام.
- ولا يوم من أيام مبارك أيام ما كنا بنفطر الساعة ٥.. اللى خدناه من الثورة.
- عاجل: غدا تبدأ أول جلسات مؤتمر الفطار الوطنى.

- عاجل: محكمة الجنايات تقرر تأجيل رمضان لشهر أكتوبر.
- الشيخ شلهوب: وقال الصائمون لقمر الدين إيه؟. نااااااعم.
- عاجل: الإخوان يستعينون فى الإفطار بجبنة باندا لأن التعديلات الدستورية مايتقالهاش لأ.
- بكار: ويحز فى نفسى ما ألقاه من حسونة ورشيدة.
- عاجل: السلفيون يدعون أول أيام رمضان لمائدة رحمن مليونية.
- وبسؤال أحد المواطنين عن توقعه للتاريخ الذى ستصدر فيه أحكام الإدانة على الفاسدين فقال: «يا ميش» يعيش.
- عاجل: الإخوان يعدون أن تكون موائد الرحمن هذا العام بالقوائم النسبية.
- الهتاف الآن: زى ما قال الريس.. رمضان فى شرم كويس.
- عاجل: جماعة الإخوان تفصل عصام «العريان» لأن ظهوره فى رمضان يبطل الصيام.
- حاليا فى جميع الخيم الرمضانية معسل بطعم ورائحة الغاز المسيل للدموع.. خصم خاص للثوار.
- عاجل: الإخوة الأقباط يعتصمون أمام الكاتدرائية ويطالبون أن تضم المادة الثانية ما يضمن المساواة وحقهم المشروع فى قمر الدين.
- عمرو حمزاوى: على التيارات الإسلامية أن تكف عن خلط الدين بـ «القمر».

- عاجل: مجلس الوزراء يقرر تأجير عجلة الإنتاج فى العيد للمواطنين المصريين.

(٤)

omertaher شكر خاص لرفاق (القلش)

عمرو غالب - إيهاب فرج – محمود عبد المطلب – محمد السنهاوى – دينا محمد – محمد سعداوى - محمد أبو شنب – محمد يوسف – محمد أبو ذكرى – خالد شوقى – أمنية عمرو – إيناس حلمى - أحمد عبد الجليل – عمر على – ميدو فرانس – محمود العابدين – جيهان مصطفى –محمد سعد – باهر عماد - تامر بسيونى – جهاد العبودى – ياسر شكرى– أحمد عاطف مجاهد – محمد مكاوى – إيمان الألفى – محمد حكيم – خالد سليمان – أحمد قاسم – محمد جعفر.. وآسف جدا للأصدقاء اللى أساميهم وقعت منى فى الزحمة.

كوميك كلوب الإخوان (٢٢-٧-٢٠١١)

آدى اللى خدناه من الثورة.

وجدتنى أقولها مرتين رغما عنى فى يوم واحد.

المرة الأولى عندما توقفت بالصدفة أمام برنامج على قناة روتانا اسمه كوميك كلوب، سيبك من فكرة البرنامج القائمة على استضافة بعض الممثلين ليلقوا على الجمهور نكات قديمة وسيبك أيضا من سخافة مقدميه، فوجئت فى الحلقة التى توقفت عندها بمقدمى البرامج يلقون نكات جنسية على الرئيس السابق وزوجته بطريقة مستفزة للغاية.

لدينا جميعا مواقف واضحة من الرئيس السابق وأفعاله ويفترش الناس التحرير منذ أسابيع مطالبين بسرعة محاكمته، لكننى أؤمن تماما أن للأمر ضوابط كثيرة، فلا معنى أولا للنكات الجنسية البذيئة، ولا معنى أن يكون بطلها رئيس مصرى سابق خصوصا عندما تتم إذاعتها على قناة خليجية، وهذا ليس دفاعا عن الرئيس السابق قدر كونه دفاعا عن الثورة التى سيطولها الهجوم بسبب برنامج مثل هذا لم يكن أبطاله يجرؤن أن يلمحوا بمثل هذه السفاهة فى عهد الرئيس السابق، وسيربط المواطنون بلا شك بين هذه الوقاحة وبين الثورة (آدى اللى خدناه من الثورة)، فالحرية التى يطالب بها الثوار يترجمها المذيعون الخفة إلى نكات جنسية، والمحاولات التى يبذلها بعض الشباب للحصول على موافقة أهاليهم للانضمام إلى الاعتصامات سوف تتكسر على صخرة برنامج تافه يعلن للجميع أن الثورة لا تحترم أحدا وأننا جميعا سوف نصبح مادة للسخرية وقلة الأدب مقابل ريالات الوليد بن طلال.

من لم يستطع أن يسخر من الرئيس ونظامه (سخرية سياسية اجتماعية وليست جنسية) فى عز أيامهما وفى ظل سطوتهما فلا معنى لأن يفعلها الآن، ومن يعتقد أن الانضمام للثورة والثوار يمر بسخرية

الضباع من خصوم سياسيين فعليه أن ينزل من على كتف الثورة فورا لأنها مش ناقصة.

هذه الثورة رفعت لافتات ساخرة فى وجه الرئيس السابق عندما كان يجلس على مقعد الحكم وكان رافعوها على استعداد لأن يدفعوا ثمنها، أما أن ترفعها الآن بهذه البذاءة وأنت تعرف أنه لن يحاسبك أحد فهذا «شغل ناس جبانة» ولا يليق بنا جميعا كمصريين سواء كنا من الثوار أو ممن لديهم تحفظات على الثوار.

المرة الثانية قلتها عندما أرسل لى أحد الأصدقاء مقالا منشورا على موقع إخوان أون لاين.

الثورة التى منحت الإخوان وجودا شرعيا رسميا أصبحت محط سخريتهم وبسذاجة مطلقة.

ينشر موقع الإخوان مقالات ليتها تكتفى بالسخرية من ثوار التحرير لكنها أيضا تسب وتشتم وتهين وتتهم، فموقع الإخوان يرى أن المعتصمين فى التحرير (حشاشين) يتصدرهم – حسب تعبير الموقع – السيد «مزاجنجى» أما رفاقه فى النضال فهم «البيصى» و«الستامونى» و«القشط»، وأن معتصمى التحرير يقضون الليل أمام مائدة عامرة يتصدرها شيشة أحدث موديل، وأن شباب الميدان وبعد انتهاء السهرة حصلوا على «الأوبيج» من «البهظ بيه» الذى شارك مع عبده الكرف أحد صبيانه فى توزيع اللفافات على الحاضرين.

طب الواحد يقول ايه؟

يعنى أولا ضحالة فكرية ولغوية لا تليق بتلاميذ الأستاذ حسن البنا ولو كان رحمه الله على قيد الحياة لفصلهم من الإخوان دون تردد، وخفة دم مصطنعة تجعل شباب الإخوان فى لحظات سخريتهم نسخة من «محمد

رجب» عندما يلقى إفيه، ومقالات صحفية تنافس مقالات الصحف القومية فى أزهى عصور ديمقراطية مبارك وتنافس كُتَّابا نعرفهم جيدا ربنا لا يرجع أيامهم فى الردح للمعارضين، أما النضال بتحويل الثورة إلى - حسب تعبير الموقع- «ثورة الشيشة» وتحويل المعتصمين إلى «مزاجنجى مناضلا»، فهذا أكبر دليل على أن الإخوان ليس لهم علاقة بالثورة فعلا وإنهم لا زالوا يعملون بنفس أسلوب الحزب الوطنى وأمن الدولة القائم على التشهير والتجريح والحرب غير الشريفة.

الغريب أن رواد الموقع أنفسهم علقوا بكل احترام على المقال بجمل من نوعية «اتقوا الله» و»أتمنى أن يكون الكاتب بيمثل نفسه مش الجماعة» و»حرام عليك ده أسلوب لا يليق» و»إخوتى لا تنسوا الفضل بينكم».

يعنى المقال كان لـ»الإخوان» أما التعليقات فكانت لـ»المسلمين».

ضبط زوايا (٢٦-٧-٢٠١١)

من المستحيل أن تكون مصريا طبيعيا وكارها للثورة فى الوقت نفسه، من المؤكد أن حضرتك لديك تحفظات على بعض الممارسات.

من المستحيل أن تكون رافضا لفكرة أن يضمن المصريون حدا أدنى للأجور يكفل لهم معيشة كريمة، قد تكون غير مهتم بهذا المطلب لأنك تعيش حياة كريمة وتحقق دخلا كبيرا يتجاوز الحد الأدنى المطالب به ولكن صدقنى لن تستمتع بحياتك وأنت محاصر بالجائعين، لن تستقيم حياتك فى مجتمع مقسوم إلى نصفين الأول يمتلك سيارات فارهة والثانى ينجب أطفالا تجرح هذه السيارات طول الوقت بمسامير صدئة.

من المستحيل أن تكون رافضا لفكرة تطهير الداخلية وعودة الأمن إلا لو كنت حضرتك تاجر مخدرات أو بلطجى أو مرشد يتكسب قوته من تسليم جيرانه وأقاربه لأمناء الشرطة، من المستحيل أن تكون رافضا المحاكمة العلنية الحاسمة لرموز الفساد والإفساد إلا لو كنت حضرتك تخاف من أن «تيجى رجليك فى هذه المحاكمات»، من المستحيل أن تكون رافضا لفكرة منح رئيس الحكومة صلاحيات واسعة لتطهير كل مؤسسات الدولة إلا إذا كان عند حضرتك حساسية من الديتول.

من المستحيل أن تكون رافضا لفكرة رعاية مصابى الثورة وتكريم شهدائها وصرف مستحقاتهم ومحاسبة قتلتهم وأنت تعرف جيدا أنهم شباب خرجوا فى كلمة حق أمام سلطان جائر دون أن يكون لديهم أى طموح آخر بخلاف أن حضرتك تعيش فى وطن عادل، ربما أنت لا ترتاح لفكرة أن يتحول دم الشهداء إلى لبانة فى فم البعض الذين قد يتاجرون بها لتحقيق مكاسب خاصة.. لكننى على ثقة أن حضرتك على قدر من الذكاء يسمح لك بالتفرقة بين المتاجرين والصادقين.

من المستحيل أن تكون رافضا لفكرة تطهير القضاء إلا لو لم يسبق لك أن طاردت قضية لك فى المحاكم تحاول أن تثبت فيها حقك وضاعت منك سنوات طويلة لإثبات هذا الحق دون فائدة، من المستحيل أن تكون رافضا لفكرة تطهير المحليات إلا لو لم يسبق لك أن اضطررت لدفع رشوة فى كل مرة تحتاج فيها إلى تصريح ما أو ترخيص ما من المحليات، من المستحيل أن تكون رافضا لتطهير الإعلام إلا لو كنت حضرتك لا تتابع إلا قنوات الشو تايم فقط.

أغلب الظن أن حضرتك لديك تحفظات على أداء الثوار، ومعك الحق أحيانا لأن الثوار ليسوا ملائكة ومن الوارد أن يخونهم التوفيق أحيانا، لكن لا بد حضرتك أن تأخذ بالك من أن معظم الناس فى مصر حاليا يفعلون ويتحركون من خلال حسابات شخصية وقائمة من المصالح الخفية ما عدا ثوار التحرير، الأحزاب تقوم والجماعات تنتفض وكلهم يتعاملون مع الثورة كأنها ضريح يزورونه لأخذ البركة ثم يقومون بتفعيل هذه البركة من أجل مقعد فى برلمان أو فى قصر عابدين، وحدهم يظلوا المجاذيب المحلقون المقيمون حول هذا المقام بلا أية طموحات فردية إنهم يحلمون أن تسرى البركة والنفحات إلى جميع أنحاء البلد.

مجاذيب الثورة هم الذين يحملون الأسرار وقادرين ببراعة على التمييز بين نيات كل من يدخل إلى هذا المقام، عاطفيون جدا ويستفزهم أن يسىء أحدهم الأدب فى هذا المقام مهما كان شأنه.

يقعون فى أخطاء بلا شك لكن الرهان عليهم وعلى وعيهم الذى زلزل الأرض من حولنا لا زال قائما، أراهن على أنهم يعرفون أن الاعتراف بالأخطاء وتصحيح المسار هو عين الثورة، وأنه لا يضر الثورة أبدا أن تقسو على نفسها بنفسها حتى تستخرج أفضل ما فيها.

أنا متأكد أنهم يعرفون أنه لم يعد باستطاعة الواحد أن يلوم الناس التى ملت الأمر وبدأت تفقد تعاطفها مع الثورة.. ده الواحد أحيانا بيزهق من أبوه وأمه عندما يكركبا حياته دون أن يفهم هم عايزين إيه بالضبط، متأكد أنهم يعرفون أن وضوحهم وصفاء أفكارهم أصبح مطلبا شعبيا عادلا، وأن الفجوة بين الثورة والشعب هى مسئولية الثوار، وأن الثورة ساهمت فى ميلاد حزب الكنبة عندما تراخت فى أن تلعب كما يجب دورها فى إنها تقوم الناس من على الكنبة، وأنه عار على الثورة أن يكون توفيق عكاشة قادرا على التأثير فى الناس أكثر منها.

حضرتك مطالب أن تضع النقط فوق الحروف وأنت تحدد موقفك من الثورة فالفرق كبير بين الفكرة ومن يشرف على تنفيذها، أما الثوار فليسوا مطالبين بوضع النقاط فوق الحروف.. بل مطالبين باختراع كلمات جديدة.

برما يتحدى فلول اتحاد الكرة (٢٦-٧-٢٠١١)

كان برما يجلس على المقهى متأففا فسألته عن السبب فقال: أن تبدأ يومك بخبر عن تولى مجدى عبد الغنى منصب المتحدث الإعلامى الرسمى باسم مصر فى بطولة كأس العالم للشباب المقامة فى كولومبيا حاليا فهذا أمر لا شك أنه يفسد اليوم من أساسه.

لم تمر شهور على فضيحة عبد الغنى أثناء حضوره الرسمى فى تصفيات جنوب إفريقيا عندما كان يتقاضى بدلا بالدولار ليتابع مهامه أثناء الماتشات ثم فوجئت اللجنة المنظمة باختفاء عبد الغنى من جنوب أفريقيا كلها واتضح انه أخذ البدل وسافر إلى القاهرة ليسجل حلقات جديدة من برنامجه الذى يبثه على مودرن، كانت فضيحة وألزمت اللجنة المنظمة عبد الغنى برد الدولارات التى ضرب عليها هذا بخلاف فضيحتنا الدولية.. بعد كل هذا يسافر على حساب مصر شخص «متعلم عليه» دوليا علشان يتكلم باسمها فى بطولة عالمية.. فيه كده؟!

قلت لبرما « فى رأيك يا برما.. ما هى مشكلة مجدى عبد الغنى؟»، فقال: مشكلته إن حسام حسن جاب ضربة جزاء فى ماتش هولندا.. سددها عبد الغنى وأصبح هداف مصر فى كأس العالم، ومن ساعتها وحسام حسن مصاب حاسس أنه مضطهد بينما عبد الغنى بيضطهدنا بالجون بتاعه.

سألته عن قرار اتحاد الكرة بإلغاء الهبوط فقال: الحمد لله استطعنا أن نؤمن ماتشات الموسم اللى خلص فضاعفنا عدد الماتشات، واستطعنا أن ندخل موسوعة جينيس بدورى مكون من ١٩ نادى يعنى كل أسبوع فيه ١٨ فريق هيلعبوا مع بعض ويفضل فريق يقضى الأسبوع ده وهو بيلعب فى مناخيره، اتحاد الكرة عندنا أصبح مريبا، قلت له «إزاى؟» فقال: الناس فى خضم تفتيشها عن رموز النظام السابق نسيت أن

رئيس اتحاد الكرة سمير زاهر واحد من أعظم فلول الحزب المنحل.. يا راجل ده حتى عندما تم اتهام زاهر بالتزوير حصل على البراءة بموجب صورة تجمعه مع مبارك وهو يكرمه وقال المحامى للقاضى وهو يقدم له الصورة ينفع الرجل اللى كرمه مبارك يبقى مزور؟» وقتها طبعا ماكنش ينفع».

قلت له: «مش شرط أن كل عضو سابق فى الوطنى يكون من الفلول»، فقال لى: معاك حق.. لكننى بصراحة أرى أن إلغاء الهبوط وما يترتب عليه من صفقات خلفية هو أول إنجازات الثورة المضادة.. عندما يورط رئيس الاتحاد البرلمانى السابق عن الحزب المنحل مصر فى ٣٨ أسبوعا كرويا فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى نقلة فى شكل حياتنا ومضمونها فهذا رجل يا إما مش فاهم هو بيعمل إيه يا إما تبع الفلول، عندما يورط البلد فى ١٠ أشهر كرة بخناقاتهم بأستوديوهاتهم التحليلية بالـ ٦ ساعات السهرة بتوع القنوات الرياضية بخناقات الأمن مع الجمهور بمهاترات صفقات اللعيبة والأخطاء التحكيمية وعقوبات لجنة المسابقات فهذا رجل يضيع من عمر البلد ١٠ أشهر فى تشويش ذهنى مستمر.. هذا رجل يدفعنى لأن أسأل شباب الثورة « هيه جمعة اتحاد الكرة إمتى أن شاء الله لأنى هاكون موجود وهاعتصم لحد ما يرحل مجلس الفلول».

قلت لبرما: «أعصابك.. مش ممكن يكون زيادة عدد فرق الدورى فرصة لنرى أندية جديدة؟» فقال برما: صحيح.. ففى السنة التى انسحبت فيه الشرطة من الشوارع وبوسنا رجليهم علشان يرجعوا رجعوا لكن بفرقتين فى الدورى «الداخلية واتحاد الشرطة».. يا عم بلا نيلة.

قلت لبرما: «طب والحل» فقال: الحل أن الثورة تعبر كوبرى قصر النيل وتخش يمين حتى تصل إلى الجبلاية التى يعيش بين ظلالها زاهر ورفاقه، هذا المكان الذى يؤثر فى المصريين بدرجة كبيرة لا بد أن يكون من أولويات التطهير.

قلت له: «ولكننا لا نمتلك مستندات تثبت فساد اتحاد الكرة»، فقال: الفساد ليس مجرد رشاوى، الجهل فساد والتربيطات والمجاملات غير البريئة فساد وأنا أشم رائحة اتحاد الكرة من هنا بالرغم من أننى لا أستطيع أن أجزم ولا أمتلك ما يثبت أن هناك مصالح خفية تدار فى السر سواء ترتب عليها مكاسب معنوية أو مكاسب نقدية.. مش شرط تكون كاش ممكن يكونوا بياخدوا فيزا.

قلت له: «طيب وبالنسبة لمجدى عبد الغنى؟»، فقال لى: أهو ده عايز جمعة تطهير لوحده.. يا راجل ده لو كان مبارك هو اللى شاط ضربة الجزاء ماكنش عمل فينا كده.

يارب إنت عارف اللى فيها (٢٧-٧-٢٠١١)

هى ثورتك يا رب بلا شك ونحن جميعا أسباب لنفاذ قضائك، كلنا بمباركنا بعادلينا بشهدائنا بإخوانا بفلولنا ببلطجيتنا بانتلافاتنا بروكسينا بمصطفى محمودنا بيسرى فودنا بتامرنا بتاع غمرة.

إنت وحدك يا رب صاحب الخلود وما عداك له نهاية، وأنت الذى اخترت موعد النهاية وسخرتنا له جميعا، هى ثورتك ولا فضل لأحد فيها، كان ممكنا أن تنقضى سنوات وحركة كفاية و٦ إبريل والجمعية الوطنية للتغيير تناضل من فوق سلم نقابة الصحفيين أو من بيت البرادعى، كان ممكنا أن تنقضى سنوات طويلة والإخوان ما بين المعتقلات شوية والبرلمان شوية ماحدش فيهم بيقضى يومين ورا بعض شبه بعض، كان ممكنا أن تظل أحزاب المعارضة تنعم برخصة الجريدة ومنح الحج الرسمى وكام مقعد برلمانى كل كام دورة واهى اتعشت ومستورة على كدة، كان ممكنا أن يظل السلفيون حبيسى مساجدهم وتجارتهم وزياراتهم الموسمية لأمن الدولة.. لكنك اخترت أن تضع حدا لهذه الحياة البائسة التى تعيشها كل كتلة منهم.. برحمتك لا بحسن تدبيرهم.

خلال السنوات الماضية كان الإنترنت ينقطع بالأيام بعد قطع كابل البحر المتوسط الذى يتم تبريره بأنه ربما عمل تخريبى وربما سمكة قرش مسعورة، كان ممكنا أن ينقطع الإنترنت كعادته قبل ٢٥ يناير بأيام ويضيع علينا الاحتشاد لهذا اليوم.

كان ممكنا أن يقوم خالد سعيد بمراضاة أمناء الشرطة الذين توجهوا للقبض عليه بورقة بخمسين جنيه ويادار ما دخلك شر، كان تفادى موته سهلا قبل أن يتحول إلى لعنة أول ملامحها جروب كلنا خالد سعيد الذى عبأ الناس لهذا اليوم.

كان ممكنا أن يمر يوم ٢٥ يناير بسلام وينتهى بعودة المتظاهرين إلى بيوتهم بعد علقة متكررة، وكان ممكنا أن تنقل الدولة للناس شعورا بأن كل شىء على ما يرام لكنها ارتبكت فألغى مبارك افتتاح معرض الكتاب وأجل اتحاد الكرة ماتش الأهلى واتحاد الشرطة ووقف شاب مغوار بثبات فى مواجهة مدرعة أمن مركزى واعتذر محمود سعد عن عدم الظهور فى مصر النهاردة وبثت الشبكات كلها صورا لمحمد عبد القدوس أمام نقابة الصحفيين واتنين مخبرين شايلينه من رجله وبيمسحوا بيه الأرض وتم إفساد كل أنواع شبكات التواصل الاجتماعى عن طريق ضرب النت نفسه، كانت الحكومة تهيج الناس دون أن تدرى.

وحدك يا رب ثبت أقدام المتظاهرين يوم ٢٨ يناير فى الشوارع، نحن الشعب الذى اشتهر بأنه «زغرودة تلمه وعصاية أمن مركزى تفرقه» فشلت العصيان والقنابل والرصاص بكل أنواعه فى تفريقنا، منحتنا يا الله فى هذا اليوم قوة لم نختبرها من قبل.

وحدك يا الله خسفت بالداخلية الأرض فى هذا اليوم، خسفت بهم الأرض بالمعنى الحرفى للكلمة، فقد ألهمتهم أن يختفوا من أمام موجات الغضب التى ابتلعتهم كما ابتلع البحر جنود فرعون.

وحدك يا الله كنت تلهم مبارك فى كل خطاب له أن يورط نفسه فى هذه المأساة أكثر وتهيج عليه الميدان أكثر، كانت لديه فرصة منذ الخطاب الأول أن يحتضن هذا الغضب وينحنى احتراما لشهدائه وينقل للناس شعوره بالندم والتقصير.. كانت هتخلص الحكاية فى ساعتها، لكنه اعتقد أن هؤلاء الشهداء سقطوا حتى يرحل نظيف وكام وزير.

وحدك يا الله أغلقت علينا باب الارتباك بعد خطاب مبارك العاطفى بتاع سأموت فى بلدى، أنت الذى قلت لنا ماتصدقوش واثبتوا، ثم ألهمت الناس الذين خرجوا لتأييد مبارك ونصرته أن يورطوه بزيادة بمعركة الجمل.

حتى فى ليلة الخميس التى ظللنا ننتظر فيها بالساعات خطاب التنحى خرج مبارك قائلا سأظل، وعندما شعرنا باليأس وقلنا يا رب حلها أنت من عندك خرج سليمان ليلقى علينا خطاب التنحى الذى لم يتوقعه واحد فينا.

وحدك يا الله ألهمت شفيق البلوفر والبونبونى وماقدرش أقول أنها ثورة وأنا قتلت واتقتلت فتمسكنا بالميدان قبل أن تميع الثورة، وحدك يارب ألهمت مبارك أن يطل علينا وسط غضبنا من إقامته فى شرم الشيخ ألهمته أن يطل علينا بخطابه الصوتى المسجل بتاع يحز فى نفسى فأخذ ١٥ يوم سجن، وحدك يا الله ألهمت البعض الثبات أمام رهبة المجلس العسكرى فى بدايته رغم كل تنبيهات المحبين الصادقة «الجيش خط أحمر»، ألهمتهم أن يضغطوا عليه فيخرج أسوأ ما فيه فنضغط بزيادة فتدور عجلة الثورة من جديد وتتحقق مطالبها التى كانت فى طريقها للدرج.

وحدك يا الله ألهمت شرف التراخى فاستيقظ الثوار من جديد حتى استرد بعضا من عافيته، وألهمت القضاة البطء فثار الميدان فأصبحنا نشاهد المحاكمات على الهواء، وألهمت الفلول التسلل إلى الثورة للركوب عليها أو لتدميرها فثار الميدان فعاد قانون الغدر للأضواء وأصبحوا الفلول قاب قوسين من الإقصاء من كل مرافق الدولة، وألهمت الإخوان والسلفيين الابتعاد عن الميدان فعادوا أجمل مما غابوا مطالبين أن تكون الجمعة القادمة جمعة وحدة الصف التى كنا نفتقدها بشدة.

هى ثورتك يا رب وماحدش له فيها أكتر من التانى، ساهم مبارك فى نجاحها بالقدر نفسه الذى ساهم به وائل غنيم، أندهش أحيانا ممن ينسى ذلك ويعتقد أنه برنس العالم وجاب الديب من ديله.

وحدك يا الله منحتنا الحرية مقابل أن تستعيد من بيننا أجمل من كانوا بيننا.. الشهداء، يارب أدعوك أن تلهمنا كيف نصون هديتك، أدعوك أن تتم نعمتك علينا، أعرف تماما أنك تحب إذا عمل أحدنا شيئا أن يتقنه.. لذا أدعوك أن تسامحنا إذا لم نتقنه.. هنتقنه إزاى أصلا وأنت اللى عامل كل حاجة؟

الطاقة الجماعية (٢٨-٧-٢٠١١)

تقريبا أنا مختلف مع كثير من الأفكار التى طرحها مرشح الرئاسة حازم أبو إسماعيل فى آخر كلام أول أمس، لكننى لم أجد فى هذا الرجل ما يمنعنى من احترامه، كنت أتابعه بأريحية شديدة حتى فى عز لحظات اختلافى مع ما يقوله.. كانت من المرات النادرة التى أجلس مستمتعا فيها بخلافى مع أحد منذ الثورة بعد شهور طويلة كنت أمتعض وأتوتر بشدة من أسلوب وطريقة بعض الأشخاص الذين يقولون ما أتفق فيه معهم تماما.

جاءت هذه الحلقة فى وقت كنت أفكر فيه كيف يمكن للواحد أن يصارح نفسه بالعيوب التى نقع فيها منذ بداية الثورة، عن نفسى أعرف أن الواحد يخطئ أحيانا ويندم ربما على مقال هنا أو جملة هناك، لكن التوتر الذى نعيش فيه يوم بيوم وساعة بساعة يحول بين الواحد وبين التقاط أنفاسه وإعادة تقييم أفكاره، وكانت الليلة التى أذيعت فيها هذه الحلقة فرصة مناسبة إذ انقضت السهرة أمام البرنامج بدون مشاحنات أو صوت عالى أو تجريح أو شدة أعصاب، وفرض حازم أبو إسماعيل بسماحته على أجواء السهرة حالة من اعتدال المزاج النفسى ساعدت الواحد فى محاولته لاستكشاف بعض الأخطاء التى تكدر صفو حياتنا.. مثل:

التعامل مع الأفكار والأشخاص بالجملة.. إما أن تقبل الشخص كاملا أو تناصبه العداء كاملا (الكلام نفسه ينطبق على الأفكار) وهو خطأ يحرمك من ميزة التعلم مما يميز الآخرين ويمنحهم وجودا معترفا به من كثيرين هذا فى حالة العداء الكامل، أما القبول بالجملة فهو يعمى عينيك عن عيوب ربما تكون فيك أنت شخصيا جعلتك تتقبل الفكرة أو الشخص على إطلاقهم.

التربص.. البعض يستمع للناس أحيانا وهو جالس على طرف الكرسى، هناك تحفز خفى يحولك فى لحظة لأمين شرطة يبحث فى كلام محاوره عن ثغرة، وهو أوبشن مرهق نفسيا ويتضخم داخل الواحد حتى يتورط فى أن يلوى ذراع كلام من يحاوره حتى «يمسك عليه غلطة».. أسوأ ما فى التربص أنه يشغلنا عن الاستفادة من المساحات المشتركة بيننا.

سهولة التخوين.. وهو أمر ناتج عن استغراقك فى عملية التربص، وهو دليل على ضعف الشخصية وضعف الحجة والشعور بالخوف، والتخوين بلا دليل أراه أمرا لا يقل إرهابا عن التكفير، ومثلما يبوء من يكفر شخصا ما بالتهمة ما لم يكن يمتلك عليها أمارة أصبحت أشعر أن تهمة الخيانة تليق أكثر بمن يستسهل تخوين الآخرين.. وأصبحت أشعر أنه من الغباء أن يهدر الواحد نصف طاقته فى نفى الآخر بدلا من أن يهدرها فى الاستفادة به ورفع معدل الطاقة الجماعية.

لا بد أن نؤمن جميعا بأنه من حق كل واحد فينا مساحة للخطأ، لا أحد يمتلك الإجابات النموذجية النهائية، ومن حقى أن أمتلك مساحة تسمح لى أن «ألف وأرجع تانى» إذا اكتشفت أننى كنت مخطئا، هذه المساحة تبدو مثل «النقطة» التى يتبادلها أبناء الشارع الواحد فى مناسبات مختلفة، فهى عندك النهاردة وعندى بكرة، والاعتراف بحق كل واحد فى هذه مساحة الخطأ لا ينفى أبدا أن نقول له بكل أدب أنه وقع فى الخطأ.

جرب الواحد جميع أنواع الاختلافات، قد تستمتع عندما تقنع من أمامك بوجهة نظرك لأنه لا يمتلك واحدة قوية، قد تستمتع عندما تختلف مع واحد له وجهة نظر قوية لكنه قليل الأدب فتستمتع بأنك أثبت له أنه مخطئ، لكننى اكتشفت أن المتعة الأكبر تكمن فى الخلاف مع الأشخاص المحترمين.. وأن الخلاف مع شخص محترم ومرتب الأفكار ستكون

ممتعة أيا كانت النتيجة.. يبدو أن الواحد عليه أن ينتقى جيدا من يجب عليه أن يختلف معهم.

فى المقابل هناك أشياء كثيرة أؤمن أنه لا بديل عن التعامل معها بالحدة والشدة والتربص.. الكذب والافتعال وقلب الحقائق والالتواء وقلة الذوق وقلة الأدب والتفاهة والفساد والإفساد والنوايا السيئة والتشويه المجانى والتضليل والاستهبال.. هى أشياء أولى بأن يهدر الواحد طاقته فى مطاردتها حتى تخر صريعة.

سأعتبر كل العيوب التى تم ذكرها فى المقال عيوبى الشخصية ولن أحملها لأحد، لكن إذا وجدت يا صديقى أى تشابه بين العيوب المذكورة في المقال وعيوبك فهى (مش صدفة).

انتصف الأول (٢٩-٧-٢٠١١)

انتصف يوم جمعة وحدة الصف وكان لا بد أن أرسل مقالا اليوم، كنت أتمنى أن تمنحنى مطابع الأخبار مهلة حتى انتهاء اليوم لتكون شهادتى عليه كاملة، لكن يقال أن الجواب بيبان من عنوانه، وأنا أرى أن الجواب حتى لحظة كتابة هذه السطور لا يوجد به ما يثير القلق أو الخوف، ربما نلمح فى بعض مناطق الجواب ركاكة ما أو انفعال زائد لكن قبل أن تسيطر الركاكة على النص كله كان الحكماء يتدخلون ويعيدون الصياغة بشكل يعيد إلى النفس بعض الطمأنينة.

حملت بعض التيارات علم السعودية ولم يدافع عنهم سوى أصوات ليبرالية قائلة أنهم لا يرفعون علم دولة تعادى الثورة لكنهم يرفعون علم عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا يوجد أى داع للتخوين المجانى.. يرفع البعض فى الميدان علما عليه المطرقة والمنجل فى إشارة إلى الفكر الشيوعى ولم نتهمهم يوما أنهم عملاء لروسيا.

أخلف بعض السلفيين وعودهم ورفعوا شعارات دينية ولافتات أتفق على تجنبها، لم يتعرض لهم أحد سوى سلفيو كوستا.. سلفيون التزموا بالتوافق وأعملوا ضميرهم الوطنى وغلبوا عقولهم على الانفعالات.

هتف السلفيون الشعب يريد شرع الله وإسلامية إسلامية بينما كان بقية السلفيين يرفعون أمام المجمع لافتات تحيى معتصمى التحرير، ورفع أحدهم لافتة يعتذر للشهداء أنه لم يكن موجودا بينهم أيام الثورة ليفتديهم بروحه.

هتف السلفيون ارفع رأسك فوق أنت مسلم، تساءل الجميع عما يجب أن يفعله المسيحى فى هذه اللحظة هل ينكس رأسه، لكن فجأة وبلا مقدمات وبدون أن تعرف من الذى أطلق الشرارة الأولى كان الميدان كله يرتج تحت هتاف مسلم ومسيحى إيد واحدة.. تحفظ البعض على

موضوع الإيد الواحدة لكنهم سرعان ما اندمجوا فى الهتّاف مرةً أخرى عندما عاد بصورة جديدة «مسلم ومسيحى كلنا مصريين».

هناك من خرق الاتفاقات التى تمت فى اليومين الماضيين وهناك من استبسل للتمسك بها والقضاء على أية محاولات للتفرقة، كانت المسيرات تهتف فى الشوارع الجانبية هتافات مليئة بالتعصب لكنها ما إن تجتاز بوابات الميدان حتى تذوب فى الهتافات المعتدلة التى كانت تسيطر عليه معظم الوقت.. للميدان رهبة.

على المنصة هناك من يهتف الشعب يريد تطهير البلاد فيرد عليه البعض بهتاف الشعب يريد تطبيق شرع الله، يلعب المسئول عن المنصة أغنية «بسم الله الله أكبر» فيتوحد الميدان من جديد وتقشعر أبدان الجميع بمن فيها أبدان من يؤمنون أن الغناء حرام.

أنهى المقال الآن والميدان مشغول بدراسة عرضين.. الأول استمرار الاعتصام وقبول دعوة من الشيخ صفوت حجازى لإفطار جماعى يوم الخامس من رمضان وصلاة التراويح خلف الشيخ محمد حسان، والعرض الثانى من الكاتب الكبير محمد المخزنجى فى مقاله فى الشروق يقول فيه: «بعد أيام قليلة سيبدأ شهر رمضان الكريم، وعلى كل القوى المخلصة وبعيدة النظر، والعقلاء الشرفاء من مختلف الفصائل والأطياف، أن يتبنوا الدعوة إلى إيقاف كل التظاهرات والاعتصامات والوقفات الاحتجاجية، واعتبار هذا الشهر هدنة نرى فيها ما يتوجب إنجازه من مطالب الثورة، خاصة إعمال العدالة فيمن أجرموا فى حق الأمة من عصابة النظام الساقط، وتطهير ما تبقى من فلوله وذيوله فى مواقع التأثير والتدمير دون جور ولا مزايدة، وتفعيل أقصى ما يمكن تفعيله من آليات العدل الاجتماعى لصالح الفقراء واستعادة الأمن الذى تنشط فى ظلاله مبادرات الأمة».

أنا شخصيا أقف إلى جوار المخزنجي في دعوته وإن كان هذا لن يمنعني من أن أصلي التراويح خلف الشيخ حسان في الميدان يوم الخامس من رمضان.

جمعة الإسلاميين (٣٠-٧-٢٠١١)

كانت جمعة ٢٩ يوليو جمعة الإسلاميين بلا شك، دعوا إليها وانشغلوا بالحشد لها على مدى الأسبوعين الماضيين، كنت أرى أنها مليونيتهم ولا يمكن أن أقف فى طريق أن يقوموا بها، واختلفت مع ما طرحه مرشح الرئاسة حمدين صباحى عندما طالب الإسلاميين أن يؤجلوا التظاهرة أو أن يبحثوا عن مكان آخر بخلاف التحرير، كنت أرى أنها ستكون «شياكة ثورية» أن يتم تعليق الاعتصام فى هذا اليوم ويترك الميدان لفصيل سياسى ما يريد أن يوصل رسالة ما حتى لو اختلفت معها، خاصة وأنه فصيل ينهى مظاهراته مبكرا ويترك الميدان قبل المغرب، كنت أرى أن تصرفا مثل هذا سيكون فى منتهى الرقى والوطنية لما يجى من الثوار.

اعتبر البعض ما طرحته نوعا من الرومانسية لا تناسب مع الظروف التى نعيشها فالتزمت الصمت، لكن ما إن بدأ الكلام حول جلسات تفاوض للوصول إلى توافق امتزج عندى التفاؤل بقليل من الامتعاض، شعرت أن ما يقوم به الائتلافات والأحزاب من محاولات للتوافق مع مليونية هى بالأساس إسلامية الدعوة والهدف هو «شغل تماحيك» به قدر ما من التطفل، كنت أتمنى نجاح الفكرة كما رسمها شباب الثورة لكن أساس الفكرة نفسه لا يخلو من ثغرة.. بدل أماكن الطرفين.. أعتبر أن الإسلاميين هم المعتصمون فى الميدان وقوى شباب وأحزاب الثورة تدعو لمليونية.. قوم جه الإسلاميون وطلبوا منهم أن يهتفوا بكذا ولا يهتفون بكذا وأن ينسوا الهدف الأصلى لمليونتهم ويندمجوا مع الإسلاميين فى مطالب توافقية.. طب يبقى إيه لزمة المليونية أصلا؟

أنا شخصيا أرى أن الإسلاميين لم يكونوا مضطرين لعقد اتفاق من هذه النوعية ولم يكن ليلومهم أحد على رفض الفكرة والتمسك بمطالبهم بصراحة ووضوح، لكن بما أنهم قد قبلوا التوافق فكان عليهم أن يلتزموا به، لأن عدم التزامهم وضعهم فى نهاية اليوم فى صورة «اللى مالهمش كلمة».. يا إما مالهمش كلمة على الجموع التى افترشت الميدان وضربت بعرض الحائط كل ما اتفقت عليه قياداتهم، يا إما القيادات مالهاش كلمة والاتفاق كان مجرد خدعة منهم.. يا إما مالهمش كلمة لأنهم كانوا صادقين وقت الاتفاق ثم رجعوا فى كلامهم.

كان أكثر ما يحيرنى بالأمس قيادات الإسلاميين الذين أطلوا عبر شاشات وفضانيات كثيرة.. كانوا كلما واجههم أحد بنقضهم للاتفاق وأنهم رفعوا شعارات دينية من نوعية «الشعب يريد تطبيق شرع الله» كانوا يتركون مسألة عدم الوفاء بالكلمة ويرهبون من يحاورهم بـ «وانت ضد شرع الله ليه؟».

أنا شخصيا لست ضد شرع الله أبدا وأتمنى أن يحكمنا، لكن بالله عليك قل لى كيف أئتمنك على شرع الله وأنت أصلا مالكش كلمة.

من أمام قبر سليمان خاطر (١) (٢١-٨-٢٠١١)

فى أكتوبر ٩٨ قررت (مع نفسى) أن أزور قبر سليمان خاطر لأقرأ له الفاتحة.

زيارة تحولت لتحقيق صحفى كان له فضل كبير فى دعم خطواتى الأولى فى عالم الصحافة.

كان خاطر علامة استفهام كبيرة فى طفولتى عندما كانت تروى حكايته كجندى مصرى على الحدود قتل وأصاب سبعة إسرائيليين وتم تحويله للمحاكمة واستيقظت مصر كلها فى يوم على خبر انتحاره فى زنزانته.

اتجهت إلى الزقازيق وهناك لم أجد صعوبة فى الوصول إلى منزله فالكل يعرفه من الزقازيق وحتى قريته التى تبعد عنها أكثر من ٤٠ كيلو.

(٢)

أمام بيته يوجد مصنع بلاط وضع فوقه لافتة كبيرة كتب عليها «مصنع بلاط الشهيد سليمان خاطر».. تذكرت هذه الجملة بعد سنوات وأنا أمشى فى شوارع العاصمة الإيرانية طهران لأجد نفسى فجأة أقف أمام لافتة كبيرة مكتوب عليها «خيابان شهيد سليمان خاطر».. خيابان بالفارسية تعنى «شارع» كنت أقف تماما فى منتصف واحد من أجمل شوارع طهران يحمل اسم خاطر وددت وقتها أن أصافح كل من يعبرونه لأقول لهم: « أنا بلديات هذا الرجل».

دخلت أسأل عن أهله فقابلنى صديق عمره وزوج شقيقته اسمه «أحمد العوضى»، قال لى بعد أن قدم لى الشاى: «العائلة لا تتحدث إلى الصحافة منذ توفى سليمان»، قلت له: وأنا أقسم لك أنى قادم لزيارته وقراءة الفاتحة على روحه.. انس أنى صحفى، لفنا الصمت لثوان قبل أن يدخل علينا الحاج «عبد المنعم خاطر «شقيق سليمان الأكبر، قلت

له الكلام نفسه فقال: «بس أنا عايز أتكلم».

(٣)

كان سليمان فلاحا بسيطا فى غاية التواضع محبا لأشقائه وأهل بلدته وكان شقيقه الأكبر يعمل فى الكويت، وبعد أن تحسنت ظروف الأسرة قليلا قرر سليمان أن يسافر ليعمل معه هناك، كان سليمان لا زال طالبا فى كلية الحقوق فقرر أن يضرب عصفورين بحجر أن يتقدم للجيش لتأدية الخدمة العسكرية حتى يتمكن من السفر.. قرر أن يتقدم لها بصفته حاصلا على الثانوية العامة على أن يقوم بالمذاكرة والحصول على المؤهل الجامعى أثناء وجوده بالخدمة وبذلك يختصر وقتا طويلا فى سبيل السفر.

فى البداية تم تجنيده فى مخابرات الاستطلاع، ثم تم نقله إلى قوات الأمن المركزى فى سيناء.

كان سليمان ـ والكلام لصديق عمره ـ يتعامل مع الجيش بقدسية شديدة، كان يدهشنى وأنا ضابط سابق بالجيش بالطريقة التى يعتنى بها بسلاحه كان يحفظ رقم سلاحه مثل اسمه وكانت لديه القدرة على فكه وتنظيفه وإعادة تركيبة عدة مرات فى وقت قياسى.

(٤)

علاقة سليمان بالجيش بدأت قبل تجنيده بكثير..

بيت سليمان يبتعد كيلومترات قليلة عن مدرسة بحر البقر.

يوم قصف الطيران الإسرائيلى هذه المدرسة ذهب هو وصديقه وكانا طفلين إلى موقع القصف وساعدا فى انتشال جثث الأطفال ـ الذين كانوا فى مثل عمرهما ـ من تحت الأنقاض.

المسافة ما بين بيت سليمان وبحر البقر تحولت فيما بعد إلى معسكرات تابعة للجيش، وكانت متعة سليمان الأولى فى طفولته أن يقف يوميا على الجسر ليتابع الجنود فى طريقهم من الإسماعيلية إلى المعسكرات أو العكس.

كانت أمه تخبز وتجهز القشدة والجبنة وتقف على الجسر وسليمان إلى جوارها يستوقفون الجنود فى ذهابهم أو إيابهم ليوزعوا عليهم الطعام.. كان يسألهم بالاسم عن أقاربه الكبار الموجودين على الجبهة فكانوا يبتسمون له دائما قائلين «جايين ورانا».

(٥)

مهارة سليمان والتزامه كانا كافيين ليصبح حكمدار نقطة الحراسة على الحدود..

إلى أن جاءت الليلة التى انشغل فيها بقية أفراد الخدمة فى إحضار التعيين (طعام العشاء)...

ونما إلى أسامعهم من بعيد صوت يشق سكون الصحراء..

كان صوت شخص ما يشد أجزاء سلاحه الآلى.

****

(بدأت كتابة حلقات عن سليمان خاطر على هامش حادث مقتل الجنود المصريين على حدودنا مع إسرائيل فى هذا التوقيت)

سليمان خاطر «٢»

(١)

فى أواخر أيام سليمان خاطر كان دائم الشكوى من وضع الإسرائيليين فى سيناء وتصرفاتهم المهينة والمستفزة التى تتكرر يوميا، وقص على أهله ذات يوم أن الإسرائيليات عبرن ذات مرة السلك الشائك، فأقام خاطر ورفاقه مانعا آخر.. لكنهن عبرنه أيضا ودأبن على استفزازه بنزول المياه وهن عرايا تماما.

يقول صديق سليمان: «عندما استمعت إلى الحادث من إحدى الإذاعات الأجنبية كنت متأكدا أن سليمان خاطر هو الذى فعلها على الرغم من أنهم لم يعلنوا اسم الجانى، هو على الأقل لم يخطط لأن يفعل هذا فعندما قابلته فى السجن لأول مرة بعدها سألته لماذا فعل هذا فقال: «اللى حصل كان خارج إرادتى.. هم اللى استفزونى»».

(٢)

فى تمام الساعة السادسة مساء يخيم الظلام على نقطة المراقبة المسئول عنها سليمان خاطر، بعد هذا الوقت إذا عبر أى شخص هذه المنطقة لا بد أن يقول «كلمة سر الليل»، وهو أمر لا يقبل الاستهتار.. فإذا مر ضابط مصرى لا يعرف كلمة سر الليل بهذه المنطقة يتم إشهار السلاح فى وجهه، ويتم ترقيده على الأرض، وعليه أن يخاطب العسكرى المشرف على الخدمة كأنه يخاطب مصر نفسها.

كان خاطر حكمدار هذه النقطة وقبل الواقعة الشهيرة اجتازت فتاة إسرائيلية ــ برواية سليمان لصديقه ــ الحدود وتعرفت إلى أمين شرطة فى نفس نقطة عمل سليمان، وفى مرة زارت الأمين فى موقعه وخدرته وحصلت منه على رقم الشفرة السرى وسرقت جهاز اللاسلكى الخاص به وتمت محاكمة الأمين.

ليلة ٥ أكتوبر ٨٥ اخترق بعض الإسرائيليين المنطقة الحدودية باتجاه النقطة التى يشرف عنيها سليمان، حاول أن يمنعهم من التقدم مستخدما اللغة الإنجليزية ويقول صديق سليمان.. ربما لم يفهموا ما قاله.

(كان بين هؤلاء الإسرائيليين رئيس المحكمة العسكرية الإسرائيلية وضابط برتبة رائد أى أنهم على مستوى ثقافى يؤهلهم للإلمام ببعض الكلمات الإنجليزية البسيطة على الأقل مثل: (Stop أو no passing)

كان سليمان بمفرده بينما بقية فريق المراقبة يقوم بإحضار طعام العشاء، شد سليمان أجزاء سلاحه وهى حركة تعنى فى اللغة العسكرية أنه سيقوم بالضرب فى المليان.

لم يكن الموقف يسمح بإبلاغ الرتب الأعلى، خصوصا بعد أن تمادى الإسرائيليون حسب رواية سليمان فى استفزازه بأن بصقوا عليه وبصقوا على علم مصر وسبوا كلاهما، حاول سليمان أن يرهبهم بتصويب السلاح ناحيتهم، فما كان من الضابط الإسرائيلى الموجود ضمن المجموعة إلا أن أخرج طبنجته وأطلق النار باتجاه سليمان فخرج الأمر من يد سليمان وبدأ يحصدهم بسلاحه فأسقط سبعة إسرائيليين بين قتيل ومصاب.

فى هذه الأثناء لمح سليمان فى الظلام طفلة تجرى مذعورة فجرى ناحيتها وسلمها لأحد زملائه طالبا منه العبور بها لتسليمها لنقطة الحدود الإسرائيلية.

التف حوله زملاؤه وكانوا خائفين وطلبوا منه أن يسلمهم سلاحه لكنه رفض وطلب منهم استدعاء القائد العسكرى للمنطقة، وصل إليه القائد (كان اسمه الرائد أحمد الشيخ) فسلم سليمان نفسه وسلاحه له.. بعدها تم نقله لسجن الفنارة الحربى تمهيدا لمحاكمته.

(٣)

فى أول زيارة له فى السجن قال لشقيقه: «تخيل أنا النهاردة فى السجن مع المتهربين من أداء الخدمة العسكرية؟ أنا اللى بدافع عن تراب البلد موجود مع العيال الهربانة من الجيش!»

كانت المحاكمة سريعة..

تواجد مع سليمان عشرات المحامين يدافعون عنه بقيادة نقيب المحامين الأسبق أحمد الخواجة.

بعد إعلان الحكم وقف سليمان يهتف بحرارة «تحيا مصر.. تحيا مصر» وكان هتافه مختلطا بحالة من البكاء الشديد.

كان الحكم عليه بعقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة

سليمان خاطر «٣»

(١)

كان التليفزيون المصرى يبث مباراة كرة قدم بين الأهلى والمنصورة، ثم انقطع الإرسال فجأة.

(٢)

بعد صدور الحكم اقترب رئيس هيئة المحكمة ـ والرواية لأحمد العوضى زوج شقيقة خاطر ـ من سليمان قائلا له: «إنت ابننا يا سليمان وهتفضل فى قلوب المصريين.. لكن القانون قانون».

دفاع سليمان عن نفسه أثناء المحاكمة يمكن تلخيصه فى جملة واحدة قالها لهيئة المحكمة العسكرية «أنا دافعت عن الأفرول اللى أنا وأنتوا لابسينه».

قبل المحاكمة عرض الجنود وبعض الضباط القائمون على حراسة سليمان أن يساعدوه فى الهرب على أن يعاونه أهله بعد ذلك فى إنجاح مهمة اختفائه، لكنه رفض وقال لهم حتى لو اتحكم عليا بالإعدام مش هاهرب.

وفى أول زيارة بعد صدور الحكم تقابل أهل سليمان مع الكاتب مكرم محمد أحمد الذى كان يجرى معه حوارا صحفيا، أثناء الحوار أبدى سليمان امتعاضه من إحدى الصحف القومية التى خرجت بمانشيت عن سليمان يقول «سليمان خاطر بطل رغم أنفه»، لكن مكرم وعد بأن يدافع عن خاطر وأن يعيد إليه حقه الأدبى الذى يفكر كثيرون فى سرقته منه بعد أن أصبحت القضية سياسية تتعرض لضغوط مختلفة، وهو الوعد الذى أوفى به فيما بعد نقيب الصحفيين الأسبق على صفحات مجلة المصور على حد شهادة أهل سليمان.

كيف كانت حالة سليمان عندما زرتموه؟

سألت فأجابنى شقيقه وزوج شقيقته قائلين..

كانت معنويات سليمان مرتفعة لأنه استطاع أن يرسل التماسا لرئيس الجمهورية لتخفيف العقوبة (التى لم تكن قد أصبحت نهائية وقتها) وكان مقتنعا أنه سيستمر فى السجن عامين أو ثلاثة على الأكثر.

فى هذه الزيارة طلب سليمان من أهله أفارول صوف أزرق وفانلة صوف وفرشاة ومعجون أسنان وماكينة حلاقة وكتبه الدراسية (كتب السنة الثالثة بكلية الحقوق).. طلب كل ما له علاقة بالحياة.

ويحكى شقيقه الحاج عبد المنعم قائلا: «كانت هناك قطعة أرض باسم سليمان، وبعد الحكم طبعا احتجنا لتوكيل منه لإدارة هذه الأرض حتى لا يتوقف نشاطها، فطلب منى سليمان أن أحضر مندوبا من الشهر العقارى فى اليوم التالى إلى السجن لإنهاء إجراءات التوكيل.

بالفعل ذهبت إلى الشهر العقارى واصطحبت مندوبا وتوجهنا إلى السجن لكنهم هناك منعونى من الدخول فقلت لهم إنى أحمل تصريحا فاعترضوا قائلين: «المشير أبو غزالة فى زيارة للسجن وممنوع الدخول» وطلبوا منى أن أحضر فى اليوم التالى.

فى هذا اليوم عاد الحاج عبد المنعم إلى البيت وأثناء إذاعة التليفزيون لمبارة الأهلى والمنصورة انقطع الإرسال فجأة وظهر المذيع ليلقى خبرا يقول: «انتحار الجندى سليمان خاطر فى السجن اليوم».

(٣)

بعد أن استقر سليمان خاطر فى السجن أرسل إلى شقيقه خطابا يطلب منه ألا ينزعج من طلب سليمان بتقليل زيارات العائلة له ويشرح له السبب، قرأته بنفسى وحصلت على صورة منه..

يقول سليمان فى هذا الخطاب...

«أخى الحبيب عبد المنعم حفظكم الله.. أعرفك أننى بخير ولا ينقصنى سوى رؤياكم الكريمة وبلغ سلامى وألف تحية للأخت أم محمد والأخت أنصاف وزوجها والأولاد.

مش تزعل يا أبو عاصم أنا مش عايز الضرر ليك لأنى أنا عارف الظروف هنا.. كل واحد بيأتى اسمه بيروح إلى قائد الجيش، مش تزعل وإذا يعنى فيه زيارة مش عايز غير الأولاد وأى حد من بيت عمك الشبراوى ومن بيت عمتك وأمك وبس، وأوعى تشغل نفسك من جهتى والله أنا لسه داخل من الخارج وكنت قاعد باضرب فى الأولاد، والأولاد دلوقتى واضعين ليا راضوين (راديو) وفيه أم كلثوم بتقول واحشنى وأنت قصاد عينى.. شايف النغم، يعنى لو مافيش زيارة مش تشغل نفسك.. أنا بخير والحمد لله».

(٤)

أثناء اطلاعى على الخطاب فوجئت بالحاج عبد المنعم خاطر يقول بصوت عالى « يا أمى تعالى سلمى».

دخلت علينا والدة سليمان خاطر.. كتلة متحركة من الحزن والوجع، صافحتنا فى ود بالغ وخجل ثم انتبذت مكانا بعيدا فى مجلسنا وفجأة هبت واقفة كمن تذكر شيئا هاما ثم نادت بصوت واهن «يا سليمان يا خاطر»... فانفتح باب المضيفة.

سليمان خاطر «الأخيرة»

(١)

أثناء جلوسنا وقفت أم سليمان كمن تذكر شيئا هاما ونادت بصوت واهن «يا سليمان يا خاطر» فانفتح باب المضيفة ودخل علينا طفل (كان وقتها فى العاشرة من عمره) فصافحنا وقدمه لنا الحاج عبد المنعم خاطر قائلا «سليمان ابنى.. اتولد قبل وفاة سليمان بشوية ورغم أن سليمان عمه طلب مننا أننا نسميه إسلام بس احنا سميناه سليمان ولما عرف قال لى انت خايف اموت فسميته سليمان ولا ايه؟».

قالت الأم.. « سليمان كان كويس يا أستاذ»، ثم صمتت وكأنها تكلم نفسها قائلة «أومال ماكنش كويس؟».

ثم واصلت حديثها «كان أصغر أخواته وأحسنهم، ياريته كان شقى ده كان أهداهم، أنا فاكرة يوم الزيارة الظباط أصحابه فى السجن كانوا بيحضنوا فيا ويقولوا لى (فتحنا له الباب وقلنا له اهرب وهو مارضيش وقال لهم هيقولوا سليمان هرب)، يومها حضنى وباسنى وكان بيضحك ووشه منور وقد كده وقال لى (أنا حلو وكويس يا أمه وهاجيلك قريب)، وهو صغير راح على بحر البقر يوم ما اتضربت ورجع يبكى، بس كان طيب وماكنش بيشيل حاجة لحد واللى فى جيبه لغيره، ويوم ما رحت له السجن أخد منى الأكل ووزعه على زمايله، وقلت له ماتزعلش يا سليمان أنت طيب وراجل كبير واللى حصل ده بتاع ربنا».

(٢)

يوم عرف أقارب سليمان بوفاته توجهوا إلى السجن وصلوا فى السادسة مساء، سأل جندى الحراسة عن هوية القادمين فقالوا له «إحنا قرايب سليمان خاطر»، فما كان منه إلا أنه أغلق الباب فى وجههم

وأطفأوا الأنوار الخارجية للسجن وخرجت لنا خيول السجن عند الباب لتبعدنا وبعد ساعة خرج أحد الجنود قائلا: « لو سمحتوا امشوا من هنا فورا.. سليمان فى مشرحة زينهم».

قال لى يومها الحاج عبد المنعم شقيق سليمان: «وجدنا جثة سليمان مليئة بأشياء غريبة لا تدل على أنه مات منتحرا.. وجدنا أظافره محطمة تماما وزرقاء، وكدمات وسحجات فى ظهره من الخلف، وكانت ساقاه مثنيتين لأعلى وجثته منحنية وملفوف حول نفسه ولم يكن هذا وضع شخص منتحر بشنق نفسه فى مكان عال.. فمن المفترض فى هذه الحالة أن تكون جثته مدلاة لأسفل».

تم دفن سليمان.

ولكن أمام هياج الرأى العام وقتها والإصرار على أن سليمان مات مقتولا وليس منتحرا أصدرت محكمة الأمور المستعجلة حكما باستخراج جثة سليمان وإعادة معاينتها لمعرفة أسباب الوفاة وكانت نتيجة تقرير الفحص هى أن سليمان مات باسفكسيا الشنق.

(٣)

الملابسات كلها لا تترك للواحد مساحة ليصدق أن سليمان خاطر مات منتحرا، لا نشأته الريفية ولا التزامه الدينى يسمح بذلك، ولا مساحة للحديث عن تأنيب ضمير شديد أدى إلى اكتئاب جعله يقدم على الانتحار، فتأنيب الضمير مردود عليه بإيمان سليمان الشديد بأنه أدى واجبه، أما الاكتئاب فلا يوجد شىء واحد يدل عليه فهذا رجل طلب قبل وفاته بأيام كل ما له علاقة بحب الحياة من ملابس وأدوات نظافة وكتبه الجامعية، وكان سعيدا بأنه استطاع أن يرسل التماسا لرئيس الجمهورية لتخفيف العقوبة، وكان بشهادة زملائه فى السجن مرحا يناكفهم ويناكفونه ثم يسهرون يستمعون إلى أم كلثوم فى الراديو، وعرضوا عليه أن يهرب

لكنه رفض، وأثناء محاكمته شاهد بنفسه كيف كان جمهور المحاكمة يهتفون باسمه ويرونه بطلا يفخرون به، ثم إن شخصا اعتاد أن يرسل لأهله خطابات من السجن لماذا لم يكلف نفسه عناء كتابة رسالة بها وصيته أو بها أسباب إقدامه على الانتحار؟

أما التفاصيل الواردة فى تقارير الطب الشرعى فقد تناولها كتاب وصحفيون كثيرون وقتها بالنقد واستخراج مناطق التضاد غير المنطقى فيها، لكن القضية كان لا بد لها أن تنتهى ولو بالقوة.

كان أحمد رشدى هو وزير الداخلية وقت وقعت الحادثة ويذكر أهالى سليمان خاطر أنه لم يمسسهم بسوء، بعدها مباشرة وأثناء إثارة موضوع قُتل أم انتحر كان اللواء زكى بدر قد وصل إلى المنصب ففرض حصارا حول القرية وحول منزل عائلة سليمان خاطر (والكلام لزوج شقيقتهِ) ولم نغادر المنزل طوال فترة الحصار بأوامر الأمن وكان كل شىء ممنوعا الدخول أو الخروج أو حتى استخدام التليفونات.

يقول أهل سليمان أن الموضوع بالنسبة لهم انتهى بوفاة سليمان ولم تعد كل هذه الأحداث تشغلهم فلا شىء كان سيعيد سليمان إليهم.

(٤)

قبل خروجى من بيت سليمان خاطر استوقفتنى والدته قائلة: «ولا عمرى صدقت إنه مات غير لما جه أبو عاصم أخوه وحضنى وقال لى سليمان مات يا أمه.. قلت له لا يمكن يا أبو عاصم.. ابنى حلو وصغير مايموتش دلوقتى».

من قال أن سليمان مات؟

سعد (٣١-٨-٢٠١١)

تقول صفاء أبو السعود: «سعدنا بيها بيخليها ذكرى جميلة إلخ»، تحول سعدنا بيها إلى «سعد نبيهة»، تعتقد أنه أفيه يلعب على الاسم فتقول مثلا أن تطور مصر يمر بثلاثة مراحل سعد زغلول ثم سعد نبيهة ثم سعد الصغير، الحقيقة أن حياتى الشخصية كان بها صديق اسمه سعد وكانت والدته اسمها نبيهة.

كان سعد زميلنا فى معظم مراحل الدراسة، وكان جارنا، أما والدته فقد كانت على علاقة طيبة بمعظم أمهات أبناء شلتنا، كانت لعبتنا المفضلة فى الطفولة والمراهقة دائما أن نستفز سعد ونغنى له جملة واحدة فقط من الغنوة « سعد نبيهة.. سعد نبيهة «، أما لماذا كنا نستفز سعد فلأنه كان تركيبة متميزة، كان كوميديا دون أن يقصد وكان طيبا لكنه يفاجئنا بعبقرياته الخالدة.

فى إحدى المرات دخلت مدرسة التربية الوطنية وسألت الفصل: «ما هى اللغة التى كان يتحدث بها المصريون قبل دخول اللغة العربية؟»، صمتنا جميعا لكن سعد رفع يده بجسارة طالبا الإجابة قائلا: «اللغة الإنجليزية يا أبله»، وقعنا جميعا فى الأرض من شدة الضحك خاصة عندما قالت له المدرسة: «وحياة أمك؟».

وفى رحلة تعارف بين مدارس الصعيد إلى أسوان أقمنا معرضا صغيرا يعبر عن المحافظة وعند زيارة محافظ أسوان للمعسكر مر به وسأل سعد: «تعرف إيه أصل كلمة سوهاج؟»، سعد لا يتردد أبدا فى تقديم إجابة يراها مقنعة من وجهة نظره.. فقال للمحافظ: «الكلمة من جزئين «سو» وهى تعنى جدا بالإنجليزية.. وكلمة هاج» ثم صمت سعد ليكمل قائلا: «يعنى معناها.. هاج جدا» نظر إليه المحافظ مندهشا فقال سعد: «وده لأن السوهاجية معروف عنهم أنهم دمهم حامى من أيام الفراعنة».

كان سعد عبقريا فى استخدام مواد الطبيعة المتاحة حوله، كان يحفر لنا أسماءنا بخط جميل على قطع متساوية من أخشاب شجر الجوافة ليظل الواحد منا طول الليل يتأملها ويشم رائحة الجوافة المحببة للقلب، وفى أسوان وجد لدى مدير المعسكر بعضا من الطمى الأسوانى وظل طول الليل يصنع منه تماثيل صغيرة لجمال عبد الناصر الذى كان يعشقه وفى الصباح اقتنع باقتراح أحد زملائنا أن يبيعها لأبناء وفود المحافظات الأخرى حتى يوفر مبلغا يساعده على العودة من أسوان بهدايا لوالدته، نجحت الفكرة وجمع جنيهات ليست قليلة أنفقها فى دعوتنا لأكلة كفتة مشوية بعيدا عن أكل المعسكر الحقير.

فى إجازات الصيف كنا لا نمتلك سوى ملعب كرة قدم وحيد، فى إحدى السنوات توجهنا إليه بعد انتهاء الدراسة فوجدناه يمتلئ بالحشائش والأشواك العشوائية بطريقة لا يصلح معها اللعب، ظللنا لعدة أيام نتوجه إلى الملعب لتنظيفه لكن المهمة كانت أكبر من إمكانياتنا، فى إحدى الليالى بينما نقف تحت البيت قال لنا سعد أنا عندى فكرة، فى صباح اليوم التالى توجهنا إلى الملعب ودخلنا فوجدناه مليئا بعشرات الخرفان والماعز تتسلى بأكل الأشواك والحشائش وبعض الرعاة أصحاب القطعان وسعد يجلس معهم يحاورهم وبعد ثلاثة أيام من فكرة سعد العبقرية كان الملعب مهينا تماما.. بالمناسبة لم يكن سعد محبا للعبة كرة القدم.

كان شخصا دمثا وشديد الحياء كان رد فعله على هتاف: «سعد نبيهة» يليق بشخص محب لأهله: «بس يا جدعان لأمى تسمعكوا تزعل» كان يخاف على زعلها ويبتسم للهتاف فى الوقت نفسه.

توفى سعد فى حادث موتوسيكل بينما كان عائدا من مستودع الأنابيب بأنبوبة فى أول أيام رمضان منذ عدة سنوات بعدها صارت أغنية العيد فرحة من ضمن الأشياء المربكة فى حياتى.

هل يعرف الرئيس القادم ما هو مقبل عليه؟ (١) (١-٩-٢٠١١)

رحل الرئيس السابق على حد قوله بسبب (الظروف العصيبة التى تمر بها البلاد)، وستتسلمها حضرتك بكل الحب وأنا هنا لا أعنى أنك ستتسلم البلاد لكنك ستتسلم الظروف العصيبة.

لقد غيرت الثورة جينات الشعب وأصبح عليك أن تتفهم طبيعة الشعب الجديدة بعد أن ذاب فى بعضه البعض وأصبح كتلة واحدة عبر ١٨ يوما فى الميدان.. لقد استيقظ المارد وكسر كل التابوهات التى عاش سجينا فيها على مدى ثلاثين عاما وبعد أن كان يمشى إلى جوار الحيطة بقلب مرتعش أصبح الآن يمشى على الحبل بقلب ميت.

بقدومك سيكون سلاح المظاهرات قد أصبح موضة قديمة، فهناك سلاح جديد اخترعه المصريون اسمه (سلاح التجريس)، سيتم تجريس حضرتك ما لم تسر على العجين دون أن تتلفه، والتجريس أصبح متاحا للجميع بعد أن أصبح كل جهاز كمبيوتر فى البلد عبارة عن وحدة مونتاج وورشة فوتوشوب، سيعدون لك كليبات ساخرة وبوسترات ستسرى سريان النار فى الهشيم تقارن بين حالك وأقوالك قبل الرئاسة وتسخر من تصريحات أو أفعال لا يرضى عنها الشعب، ستتحول بمرور الوقت إلى فقرة كوميدية إذا أسأت استخدام منصبك أو فشلت فى إدارة البلاد كما ينبغى، لن يشكوك أحد إلى الأمم المتحدة مثلا ولكن سيشكونك البعض إلى رسام الكاريكاتير البرازيلى كارلوس لاطوف حتى تصبح فضيحة حضرتك بجلاجل.

الجميع تعلموا أن يقفوا للمسئول على الواحدة وسيلتزم الجميع (الليبراليون قبل الإسلاميين) بتطبيق مبدأ مساءلتك إذا عثرت دابة فى الطريق، ولن يلتفت أحد إلى البرلمان أو الأحزاب أو الشرطة ستكون وحدك فى مواجهة الشعب فقد سقطت وإلى الأبد نظرية (الريس ماكنش

يعرف)، وتأكد أن جملة (آدى اللى خدناه من الثورة) التى يرددها الكثيرون ستختفى تماما بعد وصولك إلى الحكم وسيحل محلها جملة (آدى اللى خدناه من الريس الجديد).

أية أخطاء تحكيمية ستكلفك إزعاجا لا طاقة لك به، ولك عبرة فى جمهور الألتراس وقود الثورة الذى يرفض الظلم حتى لو كلفه ذلك وجع الصدام والسجن، أما المسالمين فلن يترددوا فى حال أن خيبت ظنونهم أن يعتصموا فى حديقة القصر الجمهورى بالبوكسرات.

اعمل حسابك أن الشعب لن يقبل مجددا موضوع التشريفة ولن يقضى ولو خمس دقائق فى الشارع انتظارا لمرور موكب حضرتك أو موكب أحد رجالك وإذا لم تلتزم بالإشارة والظروف المرورية التى نلتزم بها جميعا سنعتصم جميعا أمام إدارة المرور بالدراسة وسنطالب برحيلك من هناك حتى يصبح رحيلك نكتة دولية، وبالمناسبة كل من هم حولك أهداف سهلة للشعب يمكن إصابتك من خلالهم.. لقد كان درس الرجال المحيطون بالرئيس موجعا فعليك أن تدقق عند اختيارك لمن يحيط بك تدقيق المجنى عليه أثناء عرض المتهمين فى النيابة، وإذا نشرت لك الصحف يوما صورة وإلى جوارك ابنك أو ابن أختك أو ابن خالتك ستكون الطامة الكبرى.. يستحسن أن تعلن فى أول خطاب لك أنك مقطوع من شجرة.

لن تستطيع أن تصبغ شعرك أو أن تضع عدسات لاصقة أو أن يبدو وجهك فى لقطة مقربة بلا تجاعيد وسندقق النظر إلى البدل التى سترتديها ورابطات عنقك وتيكت قمصانك وحذارى من أن ترتدى ملابس مستوردة ويفضل أن تخبر الشعب باسم الترزى الذى ستتعامل معه حتى تغلق الباب فى وجه من سيتهمونك بأن ملابسك منحة من بلاد الكفرة، لن نقبل أن يمر عام دون أن تصاب بوعكة صحية فقد أصبحت لدينا حساسية من رجال الدولة الذين يعبرون السبعين وهم فى صحة

سيد معوض بينما أبناء الشعب العاديون يسير كل منهم فى الشاعر وهو يحمل ملف الأشعة والتحاليل بينما لم يتجاوز الخامسة والثلاثين.

لن تستطيع أن تذهب إلى شرم الشيخ كثيرا وإلا أصبحت فى نظرنا محسوبا على النظام القديم وسيصعب عليك أن تصلى العيد فى مسجد القوات المسلحة وإلا شككنا فى وجود صفقة سياسية بينك وبين المجلس العسكرى ولن نقبل أبدا أن تكون الفترة الزمنية بين الإعلان عن خطاب لك وبين ظهور الخطاب أكثر من ساعة وان نقبل تأخيرا فى الإعلان عن موقفك من أى حدث ما فى أقل من ساعتين، وإياك من الاقتراب من المنتخب الوطنى وإياك وزيارة معسكراتهم التدريبية أو إرسال برقيات تهنئة بمناسبة فوزهم بأى بطولة إلا لو كانت بطولة كأس العالم على أقصى تقدير، واحذر أن يقترب منك مواطن عادى فى الشارع أو أثناء زيارتك لأحد المدن حاملا طلبا ما فيقوم رجالك بمنعه، واحذر استخفاف الدم والإفيهات القديمة أو السخرية التى تهين أو توجع القلب حتى لا تنقلب عليك خفة الدم كما انقلبت على الرئيس السابق بلافتات شاهدها العالم كله.

كل ما سبق مجرد مقدمة وغدا إن شاء الله يا سيدى الرئيس سأدخل فى الموضوع.

هل يعرف الرئيس القادم ما هو مقدم عليه؟ (٢)

تضم قائمة الأشخاص المرشحين لمنصب الرئيس القادم أسماء محترمة، حضرتك واحد منهم، لكن كونك شخصا محترما لا يتنافى مع فكرة أن قد تكون تورطت خلال حياتك فى أخطاء يتم عقابك عليها حاليا بأن تصبح أول رئيس لمصر بعد الثورة، مثلا ربما كنت طفلا بتاع مشاكل ربما تسببت فى عاهة مستديمة لصديق من أصدقاء الطفولة فدعى عليك أهله، ربما تكون صدمت شخصا بسيارتك وهربت عندما كنت تأخذها دون علم والدك، ربما تكون قد قضيت فترة مراهقتك تكهرب القطط وتشعل النار فى شعر ساق زملائك وهم نائمون، ربما كنت تطلب من أهلك ضعف ثمن مذكرات الجامعة وتحتفظ بالفرق لنفسك، ربما دخلت فى قصة حب أثناء الجامعة وجعلت زميلتك تتعلق بك ثم نفضت لها فكسرت قلبها، من المؤكد أنك قد فعلت ما تستحق عليه عقوبة أن تصبح رئيس مصر عقب خروج المارد من القمقم، بعد أن أصبح المصريون لا يترددون فى المطالبة بحقوقهم وتخلصوا من آفة السكوت عن الظلم والرضا به وخطت الشوارب فى وجوههم وأصبحت أصواتهم غليظة تطير النوم من أعين أسراب الخراتيت فى بحيرة فيكتوريا.

هذا التغيير يفترض ألا يؤذى أحدا، لكننا حديثو العهد بهذه التغييرات لذلك سنحتاج لبعض الوقت حتى تصبح مطالبتنا بحقوقنا واعتراضنا على الظلم أكثر تنظيما وتحضرا وذكاء، ستكون حضرتك رئيس مصر فى الفترة التى نتعلم فيها فى بعضنا البعض كيف نكتب كتالوج الحضارة الجديدة، ومثلما ينفعل الرجل المصرى على زوجته عندما يؤرقه أى شىء فى الشارع سننفعل على حضرتك طول الوقت حتى يصبح الشارع قريبا مما نحلم به.

انتهى زمن الحيل السياسية التى تؤمن مستقبل الحاكم ونظامه، لأن الأدوات التى كانت تساعد على ذلك انتهت.. انقضت أسطورة أمن الدولة

تحت أقدام مارد كبير ومخيف اسمه الحرية لن يتنازل المصريون عن العيش فى كنفه.. وانتهت أيام الحزب الحاكم الذى يمتلك الدولة بوضع اليد بميلاد عشرات الأحزاب والتيارات اليقظة.. وانتهى زمن الإعلام الحكومى بعد أن أصبحت فضيحته بجلاجل، لن يساعدك فى تأمين مستقبلك السياسى سوى الشعب نفسه وهذه مشكلة أخرى.

فالشعب لم يتخلص بعد من آفة قديمة اسمها آفة صناعة الفرعون، ولك فى دفاع البعض المستميت عن أخطاء المجلس العسكرى التى لا تخطئها عين دليلا، ولك فى احتفال البعض بوجود عصام شرف فى محل فول وطعمية وحمل حذاء سيدة ريفية كانت تزوره فى مكتبه دليلا آخر، لا زلنا عاطفيين وقد يتعلق بك البعض ويدافعون عنك بسذاجة وقد يتطوع المطبلاتية لتضخيم هذا الاتجاه وتعميمه فى البلد.. ساعتها ستكون حضرتك قد وقعت فى الفخ، ستخدعك هذه المحبة الساذجة وسيصورها لك رجالك كأنها إقرار بشرعيتك الأبدية، ستصبح فرعونا جديدا دون أن تدرى وبمرور الوقت لن تستمع لأى رأى معارض ولن تلتفت لأية أضواء كاشفة يمدك بها المخلصون، ستخترع حججا للديكتاتورية وستبرر أخطاءك ببراعة وستصبح نسخة من الرئيس السابق الذى بدأ حياته بأنه (مش هيجدد) وظل ثلاثون عاما (ينجد) فينا والمحيطين به يصفقون له.

إذا كان لا بد لك أن تحسب حساب لجرأة الناس عليك مرة فعليك أن تحسب ألف مرة حسابا للحظة التى سيصنعون فيها منك فرعونا لأن شريحة الشعب قد تغيرت قد (تهنج) قليلا لكنها ستعود لطبيعتها فى أقرب فرصة وسينظرون لهذا الفرعون الجديد ثم يلتهمونه كأصنام العجوة.

هل يعرف الرئيس القادم ما هو مقبل عليه؟ (٣)

يكفيك أنك ستصبح رئيسا فى زمن أصبح فيه توفيق عكاشة هو إعلامى البسطاء وصوت الشعب، يصدقونه نكاية فى الثورة والمحسوبين عليها بعد أن نجح كثيرون فى الربط بسذاجة بين مشكلة كل واحد مع زوجته وبين الاعتصام فى ميدان التحرير، يصدقونه لأن ما يقوله يتبناه المجلس العسكرى بعدها بوقت قصير فمثلا الحرب العكاشية ضد ٦ إبريل تنتهى بأحد أعضاء المجلس العسكرى يجلس فى منزله ممسكا بسماعة التليفون قائلا فى أحد البرامج أنهم عملاء وخونة، طيب إذا كانت أعلى جهة رسمية فى البلد تمنح هذا الرجل مصداقية مجانا فلم لا يصدقه البسطاء أصحاب نظرية (هم بتوع الثورة عايزين إيه تانى؟) ولا حرج عليهم إذا إن بتوع الثورة وبرغم نبل أهدافهم غير قادرين على الوصول لهؤلاء البسطاء حتى يشرحوا لهم بنفس اللهجة العكاشية البسيطة المصطبنجية ما يريدونه بالفعل.

تسألنى ما المشكلة فى أن يكون عكاشة صوت البسطاء، أقول لحضرتك أنه نموذج للإعلام الذى لا يفيد البلد فنستفيد.. أو حتى يضرها فنقف له بالمرصاد، لكنه يربكها وخلاص.. إعلام يزيد الأمور بلبلة ويحير العاديين فوق حيرتهم، إنه إعلام زنة اللمبة النيون وأنت قاعد بتذاكر، سيكون من رابع المستحيلات أن تمنع عكاشة من الظهور وإذا فعلت سأتضامن معه ومع حقه فى التعبير عن نفسه لكن سيكون عليك أن تبذل جهدا مضاعفا فى اتخاذ إجراءات وقائية ضد ما يثيره من كركبة فى نفوس العاديين، سيكون واجبا عليك أن تتعامل مع المصب لا المنبع، تجاهل مثل هذه النماذج الإعلامية يزيدها حماسة والسخرية منها يزيدها شعبية ومواجهتها يزيدها بطولة.. وهنا تكمن المأساة.

فى كل الأحوال سيكون عليك أن تتقى شر فكرة (التجاهل) فى كل ما يحدث من حولك، لن تستطيع أن تتجاهل كليب على اليوتيوب يكشف

مشكلة فى قسم شرطة أو مستشفى حكومى أو تحقيق صحفى يكشف فساد مسئول أو حتى كيس قمامة ملقى خارج الصندوق قد تمر به فى طريقك إلى أى مكان، لن تستطيع أن «تعمل نفسك من بنها»، أشدد على فكرة أن الشعب لن يسمح لك بتجاهل صغائر الأمور فما بالك بتجاهل غرق عبارة وحضور مباراة فى الاستاد؟ لدى شعبنا خبرة سيئة فى موضوع التجاهل ويشعر بحساسية مبالغة تجاهها وإن كنا نضرب كفا بكف دهشة منها فيما قبل ستجد كثيرين يرونها إهانة ربما تستحق أن يكون ضرب الكف بكف على مقربة من بيتك.

عليك أن تكون فى غاية اليقظة حتى تستطيع أن تنام يوما.

لن يغفر لك الناس أن يخبئ عنك رجالك مصيبة ما أو أن يزينوا لك الواقع، وسيبدأ منحنى حضورك فى الهبوط فى اليوم الذى سنجد فيه فى إحدى الصحف استغاثة موجهة لرئيس الجمهورية الأب ذو القلب الرحيم فاستغاثة من هذا النوع لا يقدر عليها إلا الأثرياء ستثير الغضب وستعيدنا إلى نقطة الصفر ومهمتك أن تكون ناجحا للدرجة التى تقي شر فضيحة مثل هذه فى الصفحات الأولى، ربما يرضى منك الناس باعتراف بالتقصير ويمنحونك مهلة لعلاجه، ربما يستجيبون لك إذا طلبت بنفسك مساعدة منهم فى علاج ما يشكون منه، لكنهم لن يقبلوا التجاهل بأى وضع، وكما تعرف فإن الملايين التى كانت فى التحرير أخذت تليفونات بعضها وعلى استعداد لأن تدعم بعضها البعض فى أى وقت.. الأمر كله متوقف على رنة.

قد تعتقد حضرتك أنى عشمان فى الشعب زيادة عن اللزوم وأفترض فيه ثورية عظيمة بينما هو غير ذلك، أقول لحضرتك أن من أراهن عليهم أنت تعرفهم جيدا ويعرفون أنفسهم فهم طليعة هذا الشعب الذين قد يبدو أنهم متفرقون حاليا لكنهم يتوحدون أسرع مما تظن وأكيد حضرتك عارف.

المهم..

منافقو الصحف والإعلام مسئولية حضرتك وأنت المسئول عن دفع فاتورتهم، سيدفع المنافقون جزءا من الفاتورة بأن يفقدوا شعبيتهم بالتدريج، لكن حضرتك ستكون متهما بعودة النفاق إلى كل ما كان عليه أيام النظام السابق، ويا ويلك يا سواد ليل حضرتك مثلا إذا خرجت الصحف القومية يوما ما وفى صفحتها الأولى تهنئة للشعب بمناسبة عيد ميلاد السيد الرئيس مع صورة لك ومقال لرئيس التحرير موقعا باسمه بأكبر بونط فى المطبعة يدعو لك أن تستقبل عامك الجديد بالرخاء والنعيم نفسه الذى يعيش فيه شعبك، لأن يومها سيحتفل الناس بعيد ميلادك على طريقته حيث سيشعلون الشماريخ فى صينية ميدان التحرير وسيغنون لك أمام كاميرات العالم أغنية عيد الميلاد الشعبية «كان يوم أسود يوم ماجيت».

لذلك أقترح عليك يا سيادة الرئيس أن تغلق هذا الباب فى أول خطاب لك بأن تقول للعالم كله أنك «ساقط قيد».

الشناقة ورجل الشطرنج (٥-٩-٢٠١١)

(١)

شخصيتان كانتا تشغلان بالى على هامش الثورة الليبية.

الشناقة.. تلك القائدة الليبية التى كانت مقربة من القذافى وكانت ضالعة فى عمليات التخلص من معارضى القذافى بعنف لا يليق بامرأة أو بإنسان أصلا.

وكيرسان اليومجينوف الرجل الذى جلس ليلاعب القذافى الشطرنج أمام الكاميرات فى الوقت الذى كانت قواته فيه تسحق الثوار فى بنى غازى.

ماذا كان مصير الأولى؟

ومن أين أتى الثانى بكل هذا البرود؟

(٢)

ظللت أفتش فى سيرة حياة كيرسان اليومجينوف رئيس الاتحاد الدولى للشطرنج الذى زار ليبيا فى عز المعمعة وتحداه القذافى فى ماتش شطرنج أمام الكاميرا انتهى –حسب تصريح اليومجينوف- بأن اتفقا على التعادل، ظللت أفتش فى سيرته حتى وجدت قصة حقيقية تجعلنا لا نندهش من أى شىء يقدم عليه هذا الرجل، فهو بشهادة الجميع فى بلده (روسيا) شخص غريب الأطوار ليس لأنه زار ليبيا فى هذا التوقيت بدعوة من نجل القذافى الذى يرأس اللجنة الأوليمبية فى بلاده فحسب، ولكن لأن روسيا كلها تتحدث عن قصة الكائنات الفضائية التى اختطفته من بيته فى موسكو منذ سنوات.

اليومجينوف رجل ثرى جدا وفى الوقت نفسه رئيس إحدى المقاطعات فى جنوب روسيا، مؤخرا خرج فى إحدى المقابلات التليفزيونية ليقول

أن الكائنات الفضائية اختطفته إلى أحد النجوم لأخذ عينات منه وهناك عرف أن لعبة الشطرنج وصلت إلينا من الفضاء الخارجى وأننا لسنا وحيدين فى هذا العالم، قال إن الحدث تم منذ عدة سنوات وعندما أخبر الرئيس السابق بوتين وقتها سرا قام بعزله من منصبه، ويتردد أنه حكى للرئيس بوتين ليعرف منه إذا كانت هناك ثمة توجيهات يجب الالتزام بها عند معاودة الاتصال بهم.

لكنه لم يشرح لماذا اختار أن يخبر الجميع بالقصة بعد كل هذه السنوات وبعد عودته لمنصبه من جديد ولكن بالانتخاب، الأوساط السياسية انقلبت على اليومجينوف وطالبته أن يكف عن مثل هذه القصص التى يراها البعض دعاية انتخابية رخيصة وطلب أحد نواب الكرملين استجواب الرئيس الروسى ميدفيديف حول سلامة القوى العقلية لاليومجينوف وإذا كان جديرا بالفعل بثقة الحكومة ويستحق الفرصة لمزاولة العمل السياسى العام، لكن اليمجينوف تجاهل الجميع وتمادى فى الحكى عن الواقعة ويبدو أنه أراد أن يثبت للعالم صحة علاقته بالكائنات الفضائية فاصطحب كاميرته ليسجل لقطات تاريخية له وهو يلاعب القذافى الشطرنج.

(٣)

عندما كانت هدى بن عامر التى يطلق عليها أهل ليبيا لقب الشانقة فى سن المراهقة وتحديدا فى العام ٧٣ أعلن القذافى استقالته بدون أسباب، استيقظت هدى يومها على أبيها يسحبها من يدها وفى يده الأخرى ابنه الرضيع وتوجه إلى حشد فى أحد المدرجات الرياضية فى بنى غازى، وضع ابنه الرضيع أرضا وسحب سكينا وهدد بذبح ابنه ما لم يعدل القذافى عن استقالته.

يومها ترسخت محبة القذافى فى وجدان هذه السيدة وعرفت أنها محبة تستحق أن يراق على جوانبها الدم حتى لو كان دم الأخ الرضيع.

تدرجت هدى فى المناصب حتى أصبحت أمين شئون المرأة فى مؤتمر الشعب العام ورئيس بلدية بنى غازى مرتين ونائب رئيس البرلمان العربى ثم رئيسا له، وعلى طول حياتها السياسية كان القذافى يستخدمها لتصفية خصومه.

كيف اكتشف القذافى مهارتها فى تصفية خصومه؟

فى عام ٨٤ كانت تجرى محاكمة شعبية علنية لأحد معارضى القذافى اسمه الصادق حامد، وكانت طوال المحاكمة مسئولة عن تهييج الجماهير بهتاف واحد يطالب بإعدام الصادق فى الميدان، كانت قد تجاوزت العشرين وتتمتع بحماسة غير عادية ألهبت الأجواء إلى أن صدر حكم الإعدام، وعند تنفيذ الحكم (وحسب رواية الكاتب كمال قبيسى فى موقع العربية) وضعوا حبل المشنقة فى رقبته ثم اندفعت هدى لتدفع الكرسى من تحت قدميه، لم يمت الصادق فى الحال وظل يحرك قدميه فى الهواء، فما كان من هدى إلا أنها ظلت تجذبه من قدميه بقوة حتى يموت، ظن الجميع أنه مات وبعد فك الحبل وجدوا قلبه لا زال ينبض فهرعوا به إلى المستشفى، هناك كانت هدى ورفاقها فى انتظاره ووضعوا فى فم الصادق جورب مثقوب ملىء بالرمال فى فمه كان الرمل ينساب ببطء عبر هذه الثقوب ليقتل أى محاولة منه للتنفس حتى مات.. كانت أوامر القذافى وقتها هى الإجهاز عليه فاستجابت هدى لرغبة العقيد، بعدها انهالت المكافآت عليها وكان من بينها أنه شهد على عقد قرانها بعد هذه الواقعة بشهور، وردت هى الجميل بأن شاركت فى إعدام ٧ معارضين فى ٨٧ فى بنى غازى ثم أصبحت تصفية المعارضين لعبتها.

يذكرها أهل بنى غازى بكل خير بمسدسها الذى كان يزين خصرها دائما وبصيحتها الشهيرة « هنا لا يوجد رجال.. أنا الرجل الوحيد فى بنى غازى»، وفى ١٧ فبراير ٢٠٠٨ أصدرت أوامر حاسمة بقتل المتظاهرين ضد الرسوم المسيئة للرسول، وظلوا ضحايا هذا اليوم ماثلين فى ذاكرة الليبيين إلى أن اختاروا هذا التاريخ ليكون تاريخ ثورتهم.

قال أحد قيادات ثورة ليبيا: «إذا فشلت ثورتنا فستشنقنا هدى بن عامر جميعا»، نجحت الثورة وتم اعتقال هدى فى طرابلس بعد دخول الثوار وقبلها كانوا قد حرقوا منزلها فى بنى غازى، وهى الآن تنتظر مصيرا أعتقد أنه لا يوجد اثنان فى ليبيا يختلفان عليه.

(٤)

كامل التحية والمحبة الصافية لثوار ليبيا.. ولا عزاء للكائنات الفضائية.

ما تسيبوا حبة فرح ! (٦-٩-٢٠١١)

طيب ما هو من حقنا أيضا اتهام المجلس العسكرى بالإساءة للجيش المصرى العظيم، يعنى عندما يخرج أحمد سبايدر علينا فى كل مكان ليروى لنا كيف أن المجلس العسكرى يحتضنه ويتبناه فهذا أمر يسىء للمؤسسة العسكرية أكثر من كلمات طائشة خرجت من إحدى الناشطات فى لحظة انفعال، وسبايدر لمن لا يعرفه هو ابن تليفزيونى للمناضل توفيق عكاشة اكتشفه وقدمه للجماهير بصفته أحد شباب هذا الجيل اللى عارفين اللى فيها ويمتلك أدلة على عمالة كل من مر فى ميدان التحرير

http: //www. youtube. com/watch?v=WqYyFDXGFlU &feature=player_embedded

معلش استحملنى وشاهد الفيديو لتتعرف على هذا الشخص عن قرب وأوعدك أنى هاعوضك قبل نهاية المقال عن الدقيقة التى ستتأذى فيها من مشاهدة الفيديو الموجود على الرابط.

كتب هذا الشخص ونشر فى كل مكان تفاصيل مشاركته فى عزاء والدة اللواء حسن الروينى (رحمها الله)، ما كتبه كان غاية فى الركاكة فكرت أن أنشره كما هو إلى أن وجدت ملخصا له منشورا على موقع جريدة البديل يعفينى من أذى نشر ما كتبه كاملا (مش هيبقى الرابط والمقال)..

من بين ما قاله..

«قال إنه ذهب مساء الأحد الماضي إلى عزاء والدة اللواء حسن الرويني عضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة، في سيارة اللواء حمدي بدين قائد الشرطة العسكرية، وأنه قال له إنه يعتبره مثل ابنه وقال: «كان بيقول لكل الناس فى العزا أن أحمد ده ابني لدرجة أن في ناس صدقت فعلا إني ابنه»».

وعن موقف اللواء حسن الرويني معه قال سبايدر: «بص لي بنظرة بيشبه عليا وقالي: إنت مين؟ قولتله أنا أحمد سبايدر. راح واخدني في حضنه وكان مبسوط بيا أوي وقالي أقف هنا جنبي يا أحمد.. شوية بص لي لاقاني تعبان قالي: مالك؟ قولتله: كنت في المستشفى امبارح والدكتور قالي إن ضغطي واطي من الإرهاق والإجهاد والتعب وقلة النوم وإني ماباكلش حلو (أنا فعلا كنت في المستشفى امبارح لأني أغمى عليا أول مرة يحصلي كده بس ماكنتش راضى أقول لحد الموضوع ده) المهم قالي: لا خلي بالك من نفسك. وقالي: خلاص ادخل وماتمشيش إلا لما تقولي».

ما هو يا إما سيادة اللواء بدين ينفى ما حدث ويتخذ موقفا ضد شخص يتاجر بعلاقته بقيادات الجيش كذبا يا إما يشرح لنا فى أقرب فرصة لماذا يعتبر أحمد سبايدر مثل ابنه؟ ولماذا يحتضن قائد الشرطة العسكرية المصرية هذا الشاب تحديدا بكل ما لدى الأشخاص الطبيعيين من تحفظات عليه بينما جنوده يقفون بالمرصاد للمسحولين فى حب هذا البلد بكل رجولة وصدق؟ ولماذا يحدث دائما ما يجعل القيادات تبدو وكأنها تسىء للجيش نفسه، سذاجة الجدار العازل حول السفارة الإسرانيلية.. سيعود الجيش إلى ثكناته وسيظل هذا الجدار يلخص الطريقة التى تعامل بها المجلس مع الثورة والثوار إذ زرع بينهم وبين ما يحلمون به جدارا مشابها لا يمكن رؤيته بالعين المجردة ولكن نشعر به جميعا، سيعود الجيش إلى ثكناته وسيظل ماثلا فى ذاكرة الجيل مشهد خير أجناد الأرض وهم يحمون أمتارا من النجيلة فى ميدان التحرير على مدى الأربع وعشرين ساعة بينما طوارئ القصر العينى على بعد أمتار من الصينية ولا يهتمون بحمايتها من هجمات البلطجية والأهالى المنفعلين.

قبل ما أنسى.. وعدتك أن أعوضك عن الكليب المؤذى الذى نشرت رابطه، وإليك رابط كليب لأغنية للمطرب محمد المهدى وكلمات الشاعر محمد السيد يقول فيها..

يوماتي بفطر أمل واتعشى بالإحباط

خيبتي بتركب جمل ودمي ريحته شياط

في خير كتير فى البلد لكنه مش للبلد

وايش ياخد ابن البلد من مجلس الظباط

وحشاني يا متعبه فى الحرب أو فى السلم

وبعيده وقريبه وحبيبه قوى للعلم

أنا وانتى يا طيبه معمول علينا الفيلم

وانا حيلتي إيه غير حلم والدعوة فى الصلوات

ماتسيبوا حبة فرح

يتسرسبوا فينا

نصبتوا ليه الفرح

و فرحتوا ليه فينا؟

http: //www. youtube. com/watch?v=3qQVoLl-PiY&feature=player_embedded

أدعو الله أن تنتهى هذا المرحلة على خير وبسرعة فهى الأثقل دما منذ وعى جيلى على الحياة فى هذا البلد، وأن يعود الجيش العظيم الذى نحبه ونفخر برجاله إلى ملاعبه التى برع فيها منذ فجر التاريخ، وليغفروا لنا أننا لن نعتبر جملة «الجيش حمى الثورة» جملة مفيدة.. فى الحقيقة هى جملة ناقصة... «الجيش حمى الثورة واحتضن قادته أحمد سبايدر» هكذا تبدو الجملة صحيحة وإن كانت غير مفيدة.

العار

لم تظهر مساوئ فترة حكم مبارك الحقيقية وحجم الخراب الذى زرعه بيننا إلا بعد رحيله عن الحكم. وهذا

يذكرنى بما يحدث في فيلم العار.

رحل الأب تاركا ميراثا مربكا ومعلقا فى الوقت نفسه.

الابن الأكبر الأقرب للأب وأمين سره وذراعه اليمين خلال مسيرة حياته يرفض أن يهاجم أحد والده ويرى أنه كان أعظم رجل فى الدنيا، الابن الأكبر يصر على مواصلة العمل بالنهج نفسه الذى كان يسير عليه أبوه، يبدو أنه حريص على مستقبل العائلة وعلى حق جميع الأبناء لكن بنفس نظرية الأب.

بقية من فى الفيلم مرتبكون.. هناك الأخ الذى يبدو وكأنه يعارض ما يحدث لكنه فى الحقيقة منسحق تماما أمام نصيبه فى التركة التى خلفها الأب، من المفترض أنه صاحب مبادئ لكن الإغراءات أقوى ويحاول أن يبرر لنفسه تنازله الجزئى عن مبادئه مقابل أن يحظى بجزأ من الثروة.

هناك الأم المغلوبة على أمرها والتى تثور على هذه التركة وترفضها وترفض مدرسة الأب القديمة فى أكل الحرام، لكنها سرعان ما تنزوى وتختفى عن الأحداث وهى لا يشغلها شيء سوى مستقبل وسمعة ابنتها.

هناك شخصيات ثانوية لا نعرف أسماء الممثلين الذين قدموها، يظهرون سريعا وتصورهم الكاميرا من ظهورهم، هؤلاء هم الذين يهتمون بأن تسير الأمور كما كانت وأن تتم الصفقة كما ينبغى وأن يصل الميراث إلى قدامى مستحقيه شركاء الماضى.

هناك الدفَاس وأبو دهشوم الذين رحلوا مع الأب وكانوا يعرفون أصول التخزين، وهناك من يترحم على أيامهم ويراهم معلمين كبار على دراية بالكيفية التى يجب أن تسير عليها الأمور.

هناك الزوجة السرية المحبة للابن الأكبر مسئول الميراث محبة عمياء، تدافع عنه وتراه الأعظم فى الحياة وأكثر من يناسبها، لا تراه مخطئا أبدا بل إنها على استعداد لأن تضحى بحياتها حتى يصل إليه الميراث كاملا وتسير أموره كما ينبغى بالعند فى أشقائه الذين يرفضون هذه الطريقة.

الابن الأكبر وبالرغم من أنه كان شريكا أساسيا للأب فى تاريخه السابق إلا أنه لم يتعلم المهنة كما ينبغى، وإذا كان الأب قادرا على إقناع أبنائه بأنه رجل حكيم وبتاع ربنا فإن الابن يفقد هذه الحكمة المفتعلة سريعا ويبدأ فى تهديد إخوته بالمسدس الذى يحمله.

هناك الأخ الذى يحاول أن يعبر بالمركب إلى بر الأمان فيرفض بشدة كل ما يطرحه إخوته ثم يحاول أن يقنع الجميع بالهلاك الذى هم بصدده ثم يفكر أن يمسك العصا من المنتصف دون أن يكون له طموح مادى فى المسألة ثم يدعم الحق ثم يتراجع لأن دعم الحق مهلك أيضا، هذا الأخ الذى يتحمل مالا طاقة لأعصابه به سرعان ما سينهار لأنه أضعف من مواجهة الطمع والقبح البشرى.

الخوف الآن أن يضيع الأخ الأكبر التركة كلها فى الملاحات فيضيع جميع من دعموه معها، هناك من سيطلق الرصاص على رأسه، وهناك من سينهار ويفقد عقله تماما، لا أحد سينجو من هذا الهلاك سوى الابنة الرقيقة التى اختارت أن تهرب من هذه المأساة وأن تختار أفضل ما فى هذا الميراث فوقفت بنفسها فى محل العطارة.

حتى لا تصبح مليونية أمير سعيود (٨-٩-٢٠١١)

رزق الله سعيود موهبة كبيرة لكنه يهدرها أحيانا بانفعاله الزائد وربما بغروره وتعاليه على الخصم وأحيانا على زملائه وأحيانا بقلة خبرته وساعات كثيرة بالفزلكة.

والدليل ماتش كيما الأخير حيث أهدر سعيود ضربة جزاء مايضيعهاش أحمد السيد، يعنى ماتش سهل وحارس مرمى مع كامل احترامى له قدماه تلمس نجيلة استاد القاهرة للمرة الأولى فى حياته فأصبح من الفرحة والخضة يضرب شقلباظات فى الهوا تشبه شقلباظات رجل أين أشيانى ويمسك الكرة العرضية على ست مرات، قوم ظهر أمير سعيود وقد احتلت فص جبهته الأمامى مشاعر الانفعال والفزلكة وقلة الخبرة فأضاعها بطريقة جعلت محبيه يتكسفوا منه وأعداءه يفرحوا فيه.

هل تحب أن تضيع ضربة الجزاء التى حصلت عليها اليوم أم أنك تحلم مثلى بأن نحرز هدفا صحيحا منها؟

نحتاج اليوم إلى الخبرة.. نحتاجها فى تمييز من يندس بيننا ليفسد اليوم.. أولئك المنفعلين كذبا غير المشغولين بأهداف اليوم السياسية.. أو أولئك الذين يزرعهم النظام السابق بيننا ليستدرجنا إلى الدم والتخريب، نحتاج إلى الخبرة لتفويت الفرصة على كثيرين يقفوا لهذا الجيل على غلطة ويتربصون به انتظارا لتأكيد اتهاماتهم وشكوكهم، نحتاج إلى الخبرة حتى ننقل إلى الجميع رسالة واضحة.. هذا جيل يؤمن بقضيته وبالحرية ولا يؤمن بالعنف، هذا جيل إذا اقترب منه أحد رافعا عصا عليه سيأخذها منه ويكسرها ثم يعيدها له لكنه أبدا لا يمارس السياسة بأن يبادر برفع العصا على أحد، هذا جيل ينزل من بيته يعرض مطالبه ويدافع عنها وعلى استعداد أن يستشهد من أجلها لكنه أبدا أبدا أبدا مش نازل من البيت علشان يولعها.

لذلك أرجو منك يا صديقى أن تراعينى أنا الواقف إلى جوارك فى الميدان، إذا تعرضت للاعتداء سنقف خلفك جميعا بدون شك وسنكون أصحاب حق لكن إذا بادرت أنت بالاعتداء وأشعلت المعركة فستورطنا جميعا لأننا أيضا سنقف خلفك ولكن سنكون قد أضعنا جزءا كبيرا من حقوقنا.

أنا لا أطالبك أن تخاف من الشرطة والجيش بالعكس أنا أطالبك بأن تخاف من الناس العادية ملح أرض هذا البلد، خاف من نفورهم منك ومن زملائك، خاف من فجوة ستدفع ثمنها عندما يحين موعد انتخابات البرلمان أو الرئاسة فيتحاشى الناخبون كل ماله علاقة بالثورة والتطهير، خاف من بشر هم ضحايا لسنوات من القهر والاستعباد لدرجة جعلتهم لا يهتمون بشىء سوى لقمة العيش وديكتاتور مناسب يمشى البلد وخلاص، خاف من أن يفقدوا إيمانهم بك وبينهم من لا يريد ذلك لكنك لا تساعده.

عشرات الآلاف الذين أطلوا عليك من البلكونات مصفقين ملقين لك بحبات البصل وزجاجات الخل والماء خاف من اللحظة التى ستجرى فيها فتجدهم قد أغلقوا أبواب العمارات بالجنازير فى وجهك.

ساعدهم أن ينضموا إليك، انتهز الفرصة اليوم وأقنعهم بأنك شهيد حى يفتح صدره للرصاصات لكنه لا يحمل فى يده شيئا سوى علم مصر، قل لهم أنك لست مشاغبا وارفع صوتك وقل للعالم أن ثورتك تتعرض للظلم، الناس تنجذب للمظلوم بانسيابية مذهلة.

التحدى الحقيقى اليوم أن يمر اليوم بسلام وأن تثبت للجميع أنك أصبحت تمتلك الخبرة وأنك تخلصت من الانفعال غير المبرر وأنك لا تحمل فى قلبك ضغينة ضد زملائك فى الملعب ولا تتعالى على أحد.. أزل التراب عن موهبتك حتى يستمتع بها الجميع، فلتحرز هدفا اليوم يجعل الجماهير تتمسك بك وتطالب بمنحك الفرصة كاملة أو لتضيع ضربة الجزاء فيدير الجميع لك ظهره مثلما فعل جوزيه مع سعيود.

التوقعات المرئية (١٠-٩-٢٠١١)

لا تتوقع منى اليوم مقالا به قدر من الولولة واللطم وجلد الذات، يمكنك مراجعة بعض الصحف القومية التى أصبحت ضليعة فى هذا النوع من الكتابة، تلك الصحف التى كانت تجامل النظام السابق بإطلاق الزغاريد البلدى تهنئة بإنجازات وهمية.. أصبحت تجامل النظام الحالى بالبكاء على المستقبل المظلم الذى تقودنا إليه الثورة، يمكنك مراجعة تليفزيون أسامة هيكل وتستمتع بالمذيعين الذين كانوا يقدمون وصلة بكائيات على هامش تغطية مسجلة للأحداث مصحوبة باتصالات تتجاوز اللطم إلى السب والقذف، يمكنك الاستمتاع بمذيع يتلقى بالصدفة اتصالات هاتفية من هذا النوع فقط ثم يعلنها صراحة قائلا: المشاهد هو الوحيد (المخول) له الحكم على ما يجرى.. فى هذه اللحظة كان أحد الأصدقاء يتصل بى قائلا: ده أن ابقى (مخول) فعلا لو اتفرجت على التليفزيون ده تانى.

لا تتوقع أيضا أن تقرأ مقالا به لغة العقل والاتزان والحكمة، يمكنك مراجعة كتاب كثيرين يقدمون أشهى ساندوتشات المخ فى مواقع ساحرة تتميز بإطلالة تهدئ الأعصاب على نيل القاهرة، لكنهم سيطفحونك اللقمة دون أن تدرى فمع كل قضمة سيقولون لك: مش قلت لك؟ مش أنا حذرتك؟ والله العظيم كنت عارف وماحدش سمع كلامى؟ شوفت بقى دماغى المستنيرة؟ شوفت حلاوتى؟ إيه رأيك فى مخى..؟ هناك ستستمع بالعقل كأنه حبة مخدرة ولكنك لن تلاحظ أن الجرعة أكبر مما ينبغى وأنك وقعت فى يد بائع ساندوتشات مخ متطرف فى استخدام عقله لدرجة أن يصنع منه ساندوتشات.

لا تتوقع أن تقرأ مقالا به فصول من كتالوج الثورة تقول لك إيه الصح وإيه الغلط، لأنه بصراحة لا يوجد شخص يعرف الصح والغلط لأن الثورة نفسها ليس لها كتالوج ومن يخبرك بغير ذلك فهو رجل هجاص، منذ يوم ٢٥ يناير وكل ما نتخيل أنه خطأ ثورى يتضح لنا بعد

مرور وقت قصير أنه كان صح جدا وكل ما كنا نتخيل أنه ثوري صح جدا يتضح بعد مرور الوقت أنه كان خطأ عظيما، وأنا من هنا أتوجه بنداء لأى شخص يمتلك نسخة من كتالوج الثورة أنه مايخبيش حاجة علينا والنبى يا إما يقولنا ما يجب وما لا يجب يا إما يرحمنا من الأستذة علينا والدب فى الجناب والتقطيم.

لا تتوقع أن تقرأ مقالا عن مميزات وإيجابيات يوم الجمعة، فالحال كما هو عليه والوضع لم يتغير أبدا، الداخلية ستظل لفترة طويلة تسدد فاتورة عن الكراهية التى زرعتها فى نفوس كثيرين فى العهد البائد وسندفع نحن معها جزءا من هذه الفاتورة للأسف لأن نوع الناس الذى ناصبته الداخلية العداء لا يقرأ الصحف ولا يتابع تليفزيونات ولا يفهم حضرتك قصدك إيه من الكلام الكبير اللى بتقوله عن هيبة الدولة، لم يتغير أن أى خطوة للأمام أو للخلف أو حتى بالعرض قادرة على أن (توقع الناس فى بعضها بسهولة)، المتطرفون على الجانبين مرهقون.. وإن كنت أرى أن التطرف الثورى يمكن علاجه بمنتهى السهولة بزرع شريحة المعرفة والتوجيه بينما التطرف الفلولى لا يمكن علاجه حيث إنه من المستحيل زرع شريحة الثورة فى جسم رافض لها، كان مثيرا يوم الجمعة أن تجد المتهمين بإشعال الثورة والمحرضين عليها فى حالة حزن على ما يجرى وفى خجل من أن يكونوا ساعدوا عليه بينما دعاة الاستقرار ونهدى بقى يا جماعة هيطيروا من الفرحة من كتر الخراب اللى شايفينه، النوع الأول مشغول بالبلد أكثر من نفسه والنوع الثانى هو بتاع (مش قلت لكم) هو المشغول بأنه يطلع صح حتى لو احترقت البلد.

لا تتوقع منى مقالا أضع فيه الثورة فى قفص الاتهام، مع العلم أن الثورة لديها من الشجاعة ما يكفى لأن تعترف بالأخطاء فهى ليست من النوع بتاع (تلك الاتهامات أنكرها كلها)، الثورة بحداثة عمرها تتعلم المشى منفردة فى بيت كله ألغام بينما صاحب البيت يستمتع بوقته فى

بنها ويطلب منها فقط ألا تقترب من منشأة أوضة النوم.

صديقى.. لا تتوقع منى شيئا سوى أننى لم أفقد تفاؤلى بعد، ولا زلت واثقا فى قدرة الله على أن يقود هذا البلد للمستقبل الذى يستحقه وأن يتم نعمته علينا، ثقتى فى الله تتعاظم يوما بعد يوم وفى أنه يختص هذا البلد بمحبة فريدة.. فى سنة من السنين كانت مصر موشكة على مجاعة قارسة ستستمر سبع سنوات.. لم يرسل الله لها طعاما وأمطارا لينقذها.. لأ.. أرسل لها نبيا ليأخذ بيدها

(نشر هذا المقال فى اليوم التالى لجمعة السفارة).

بخصوص نقد المجلس العسكرى (١٢-٩-٢٠١١)

أحترم جدا الأصدقاء الذين يطالبونى بالتوقف عن نقد المجلس العسكرى، واستبدال النقد بأفكار مفيدة، وهم محقون لكننى لم أتأخر يوما عن تقديم الأفكار والأرشيف موجود، لكن المجلس يتجاهل أفكارا يجمع كثيرون عليها بل إن هناك من حاول أن يدعمها لكن بلا فائدة، اقترحت منذ شهور أن ينطلق حفل تخرج أحدث دفعات أكاديمية الشرطة من ميدان التحرير وأن يكون اليوم احتفالية وطنية ثورية تقرب المسافات وتفتح صفحة جديدة مع جيل شرطى جديد فنطمئن على مستقبلنا معهم ويطمئنوا هم وأهاليهم على الظروف التى سيعملون بها، تحمست المذيعة ريم ماجد والمحطة التى تعمل بها للفكرة وتبنوها لفترة إلى أن استقرت دفعة الأكاديمية الجديدة فى أماكنها دون أن يعير أي من المسئولين هذه الفكرة أى اهتمام، تحمست لفكرة وفد من الشباب سيجوب عدة دول أوربية فى وقت واحد لتنشيط السياحة محملين ببرنامج ثقافى فنى وعروض تنشيطية من شركات السياحة.. تحمس المصريون فى أماكن كثيرة لدعم الفكرة من أستراليا إلى كولومبيا بينما تجاهل المسئولون الأمر تماما بل إن وزارة السياحة عنفت هؤلاء الشباب وطالبتهم بعدم القيام بالحملة بعيدا عن إشرافهم وكانت مطالبة رسمية ذات لهجة حادة لكنها لم تثن الشباب عن حملتهم التى حققت نجاحا جيدا فى حدود إمكانياتهم الشخصية، كانت هناك اقتراحات لأن تكون المليونية فى محافظة ما كل مرة فى صيغة احتفالية ثورية تقرب المسافات بيننا وبين أهالى المحافظات البعيدة التى كدنا أن ننساها فى زحام صراعاتنا اليومية، اقتراحات لتشجيع المنتج المصرى بحملة تنشيطية تقلل الضريبة المفروضة عليه وتقيم مهرجانات تسويقية أسبوعية فى كل مكان، هناك أفكار كثيرة قيلت لكن أحدا لم يهتم، الأكثر إحباطا أن هناك كثيرين يقدمون يوميا أفكارا أكثر أهمية وحيوية دون أن يعبرهم أحد، الأكثر إدهاشا أن الحكومة أنشأت مشروعا أسمته بنك

الأفكار يضخ الناس إليه أفكارا قد تغير وجه البلد لكننا لم نسمع أن الحكومة تبنت واحدة منها يوميا، يوما بعدي يوم أطلب من المجلس أن يتبنى خطة لرفع الحالة المعنوية للجميع وتقريب وجهات النظر وإنعاش البلد بل إننى قلت فى مداخلة تليفونية مع صديقى بلال فضل أننا جميعا مستعدون للتعاون مع المجلس فى أى شىء يفيد البلد ونحلم جميعا وكلنا طاقة أن نساعد فى أى خطة تنمية حتى لو كان دورنا فى هذه الخطة إننا ننزل نلم الزبالة من الشوارع هنعمل كده، هو مين عايز يعيش طول عمره فى المناكفة وبس؟ أنا شخصيا لا أريد أن يمضى عمرى وأنا أقرأ بيانات وأنشر شكاوى وأتابع كليبات التخوين والفضائح وأنفى تهما وأحضر مليونيات قد يتسلل إليها فى نهاية اليوم اللى يجيب لنا الكلام.

المجلس لا يتجاهل الأفكار فقط، بل نه يتجاهل الشكاوى، كتبت منذ أسبوعين عن الطائرة الهليكوبتر العسكرية التى أثارت الذعر على شواطىء العين السخنة وطفشت السياح وطلبت توضيحا لما حدث سواء بالنفى أو بالاعتذار ومعاقبة المسئول، كتبت عن أحد الشباب الذى يتباهى عبر النت بعلاقته بقيادات الجيش وكيف أنها تحتضنه بالرغم من أن احتضان قادة الجيش لهذا الشاب تحديدا إساءة كبيرة له ولنا وطالبت القادة الذين يذكرهم هذا الشاب بالاسم أن ينكروا حفاظا على صورتهم التى يهدرها تصريح هذا الشاب بعلاقتهم به أو يشرحوا لنا لماذا يحتضنوه حتى نفهم الموضوع، كنت فى ذيل قائمة من الكتاب والمثقفين يطالبون المجلس كل يوم بسرعة تحديد موعد الانتخابات والالتزام بوعده بتسليم السلطة سريعا.. تلك المطالبة التى تتكرر كل لحظة عملا بقاعدة لا يأس مع الحياة بينما المجلس يعمل بقاعدة لا حياة لمن تنادى.

لو كان المجلس يود الاستماع لأفكار بناءة لوجد يوميا أمام باب مكتبه عشرات الآلاف أكثر أهمية منى فى كل التخصصات العامة والنادرة على استعداد أن يشيلوا التراب فوق دماغتهم حتى يأخذ البلد خطوة للأمام، لكن المجلس يفتح بابه طول الوقت لأصحاب الخناقات النظرية والفلسفة السياسية وينشغل بحوارات لم نخرج منها بأى شيء مفيد حتى هذه اللحظة، حتى اليوم الذى فرحنا به وهللنا لقدومه بعد طول انتظار (يوم الاستفتاء بمشاركة شعبية حقيقية) طلع بدون فائدة فلا هو ريح بتوع نَعم ولا بل ريق بتوع لا، أنا مواطن مصرى يحترم الجيش وكان يقبل أيادى الجنود الذين يرتدون الزى المموه ويستأذنوه فى التفتيش قبل الدخول إلى التحرير، أنا مواطن متيم بضباط الجيش الخالدين فى ذاكرته منذ أيام المراهقة أثناء دراسته فى ثانوية عسكرية، أنا مواطن مصرى لم يكن خلال الخمسة والثلاثين عاما الماضية يمتلك مناسبة للفخر والفرح واجترار المجد الوطنى إلا فى يوم الأجازة الذى كان يقضيه فى بيته يوم ٦ أكتوبر متنقلا بين أفلام محمود يس ومحموقا مع أغنية وردة ع الربابة باغنى، أنا واحد من كتاب كثيرين قالوا من قبل: «الجيش خط أحمر»، أنا الذى كتبت يوما أن الجيش هو آخر جدار فى هذا الوطن.. طب أعمل إيه وأنا أرى هذا الجدار يعلو يوما بعد يوم ويحجب عننا الشمس؟!

برما ما بين عودة الطوارئ وعودة المدارس (١٥-٩-٢٠١١)

كان برما جالسا يضبط أوتار العود الذى اشتراه من شارع محمد على، سألته عن سعره فقال: الأسعار ولعت.. كنت أتمنى أن يفرض مجلس الضباط طوارئ لتحجيم ثورة الأسعار بدلا من طوارئ لتحجيم ثورة يناير.. لقد أصبح المشهد المألوف أمام أى سوبر ماركت فى مصر حاليا كالتالى.. رجل وامرأة غالبا زوجته يحملان أكياس المشتريات ويقفان أمام باب السوبر ماركت وفى يد الرجل الفاتورة يتأملها وإلى جواره زوجته دافسة راسها فى الفاتورة معاه.. يتأملان الفاتورة بوجوم وصمت رهيب ثم يطلق الرجل زفيرا مصحوبا باستغفار ثم تمصمص زوجته شفايفها بحسرة ثم يحملان ما اشترياه وينصرفان بخطوات ثقيلة.

الناس ستموت بإسفكسيا الأسعار وكلما نجت من فخ مصروفات بأعجوبة وقعت فى فخ جديد بسرعة مذهلة، رمضان ثم العيد ثم مأساة بدأ الدراسة بطقم المدرسة الذى ارتفع سعره ٣٠٠٪ بالمصروفات بأجر المدرسين الخصوصيين بساندوتشات العيال.. الأب دلوقتى بيعدى على أكتر من محل جنب بعض علشان يشترى نص كيلو الجبنة بأرخص سعر ممكن.. مع أن الجبن هو نفسه فى كل مكان لكن فى مصر حاليا كل تاجر يبيع بضاعته على كيفه وبالسعر اللى يرضيه.. لازم تاخد جولة قبل ما تشترى البقالة ولأول مرة فى مصر تقدر تفاصل فى سعر علبة الحلاة الطحينية، كل هذا ومجلس الضباط وحكومته مش شايفين حد من الشعب غير اللى فى الميدان واللى فى التليفزيون وياريت حتى عارفين يتعاملوا معاهم.

قلت له: (كل ده هيتصلح وأنا متفائل بس تخلص المرحلة الانتقالية)، قال برما: على رأى واحد صاحبى قال لى مجلس الضباط قال قدامنا ٦ شهور مرحلة انتقالية وبعد كده كل حاجة هترجع إن شاء الله زى أيام مبارك.

قلت له: وليه التشاؤم.. هو أنت كنت تحلم تشوف الناس دى واقفة ورا القضبان؟. هو أنت بالمناسبة شايف المحاكمات دى هتخلص على إيه؟ قال برما: اكتشفت أننى لست مشغولا بمصير الرئيس السابق قدر انشغالى بمصير أحد المتهمين الآخرين، فالرئيس السابق انتهى وذهب إلى غير عودة لكن هذا المتهم سيعود إلينا، وسيرفع فى وجوهنا المستندات المنسوخة مما تنشره الصحف ليقف ويهلل فى كل مكان وفى كل برنامج بصوته العالى وانفعاله البرانى، سيعود ليربكنا من جديد ويشوش أفكارنا وسيسلط سيف خصومته الشخصية على كثيرين ليشغلنا بصراعاته معهم فى كل وقت.. يساعده فى ذلك الإعلاميون الذين نثق فيهم لكنهم يفردون له مساحات زمنية واسعة مقتطعة من محبتنا لهم ومن حقنا عليهم فى أن نخرج من عندهم بشىء مفيد، سيعود محملا بشحنات من السب والقذف المجانى.. قرص الطين اللى مابيلزقش فى الحيطة بيعلم.. وهو للأمانة علم على كثيرين بقذفهم بقرص الطين دون أدنى دليل.. والعامة لدينا لا يهتمون بالدليل مادام الشخص ظهر فى التليفزيون فأكيد هو على حق وعارف بيقول إيه، بل إن العاديين قد يخترعون الدليل بأنفسهم تأكيدا على أقراص الطين الطائرة.

للثورة علامات للنجاح كثيرة من بينها أن يتم تطهير ساحة الإعلام من نموذج يسىء بشكل عشوائى للجميع ويمثل طريقة فى التفكير والتعايش مرفوضة تماما، وأنا كلى ثقة فى الله أن هذا سيحدث قريبا وقريبا جدا كمان.

المحاكمات مليئة بالكثير من الجمل والتعبيرات التى قيلت أثناءها والتى ستظل ماثلة فى وجداننا، أنا شخصيا اخترت واحدة اعتبرتها بشرة خير» انتهى وقتك.. انتهى وقتك».

قلت له: لعلها بشرة خير فعلا إن شاء الله، بس أفهم من كلامك أنك ضد تحديث قانون الطوارئ؟ فقال لى: بالعكس.. أنا من خلالك أدعو

الناس للتخلى عن مصطلح «آدى اللى خدناه من الثورة» وعليهم أن يستخدموا المصطلح الجديد «آدى اللى خدناه من الطوارئ «.. مش خلاص المجلس والحكومة ربنا كرمهم وفعلوا القانون اللى هيكتفوا بيه الثورة؟ خلاص يبقى كلمة الطوارئ هى الأعلى صوتا فى الشارع دلوقتى.. ماسمعش حد يشتكى من الثورة تانيى.. الذكر بقى اللى يلاقى حاجة مش عاجباه ويقولها بصوت عالى «آدى اللى خدناه من الطوارئ».

قلت له «باقولك إيه.. ما تفكك من السياسة دى شوية وتسمعنا حاجة على العود الجديد»، سألنى عايز تسمع إيه؟ قلت له أيه حاجة بمناسبة زيادة الأسعار، ضحك ثم قال.. لأ أنا هاسمعك حاجة بمناسبة عودة المدارس.

اعتدل برما فى جلسته واحتضن العود بنعومة وبدأ يغنى...

محافظتى الشرقية

ومدرستى.. مدرستى بحر البقر الابتدائية

وكراستى.. كراستى مكتوب عليها تاريخ اليوم

مكتوب علىَ الكراس اسمى

سايل عليه عرقى ودمى

من الجراح اللى ف جسمى

ومن شفايف بتنادى

يا بلادى يا بلادى

أنا بحبك يا بلادى

يا بلادى يا بلادى

أنا بحبك يا بلادى

آخر شرطة شحن (١٧-٩-٢٠١١)

رن الموبايل وكان برما اللى طالب..

عمر: إنت فين؟

برما: فى مكان ما والشحن هيقطع فى أى لحظة مافيهوش ولا نص شرطة.. باقول لك إيه.. فاكر صاحبى اللى قال لى أن بعد المرحلة الانتقالية كل حاجة هترجع زى ما كانت أيام مبارك؟

عمر: ماله؟

برما: إحنا لازم نرشحه بسرعة لجايزة الثورة التشجيعية لأنه طلع راجل بيفهم.. القنوات الفضائية بتتقفل بحجج إدارية.. وقانون الطوارئ اتفعل.. وأخيرا قانون الضرائب العقارية اللى عطله عصام شرف راجع تانى وبقوة وهينفذوه.. والزمالك بيعلن أنه مضى مع لعيب من الإسماعيلية بس اللعيب مش هيقدر يلعب غير بفانلة الأهلى عشان الفانلة البيضا بتتوسخ بسرعة واحنا داخلين على أيام سودا.. كل حاجة زى ما هى وراجعين نعشق وندوب ونعيش تانى نفس حياتنا.. راجعيييين

عمر: إنت ليه بتتكلم عن الكورة يا برما ما خلاص إحنا بنضيع بقالنا كام شهر فى أفريقيا وفى كأس العالم وفى بطولات الأندية.

برما: يا حبيبى ما دام ربيع الثورات حل علينا يبقى لازم وحسب قوانين الطبيعة يبدأ خريف الكرة.. مش الأرض كروية يا معلم؟

عمر: كروية طبعا.. طب إنت فى أجازة ولا إيه؟

برما: أنا باحاول أفكر فى كاريير جديد.. بعد سنين كنت باشتغل فيها مع الدولفين فى مدينة الإنتاج الإعلامى أخدت صدمة عمرى.. كنت فاكر إن أنا اللى بادربه.. بس اكتشفت أنه هو اللى دربنى أنى أقف له على

طرف البيسين كل شوية بالسمك فى إيدى علشان يطلع لى من الميه..

عمر: دى قصة مؤثرة جدا ممكن تبعتها لكارلوس لاتوف يرسمهالك

برما: كارلوس لاتوف أسهمه قلت من ساعة ما أردوغان ظهر فى الصورة.. إحنا عيبنا إننا مخلصين للموضة أكثر مما يجب.. هللنا للاتوف مع إنه بيرسم بنفس سطحية أغنية حمادة هلال «شهداء ٢٥ يناير راحوا ف أحداث يناير».. الناس فرحت إن فيه خواجة واقف جنبنا مع إن العكس هو اللى مفروض يحصل.. إحنا أبهرنا العالم واللى يقف جنبنا علشان يطلع معانا فى الصورة هو المفروض يفرح مش إحنا.. أما أردوغان فعمل زى اللى راح يزور بيت واحدة أرملة يعرض عليها خدماته فالناس اعتبروه نبى.. لو كان راجل البيت موجود كان أخد واجبه فى الصالون ومشى بدل ما هو بقاله ٣ أيام بيلف فى الشقة..

عمر: ده كلام هيزعل ناس كتير يا برما شايفين الراجل حاجة عظيمة..

برما: عظيمة على نفسه.. من إمتى احنا رؤساء الجمهوريات بيجوا باستقبال الفاتحين ده؟. باقولك هنرجع زى ما كنا قبل الثورة.. هنرجع تانى شعب مبالغ فيه بيستقبل أردوغان بنفس الطريقة اللى استقبل بيها أميتاب باتشان من عشر سنين.

عمر: بس أردوغان رجل بطل وطرد السفير الإسرائيلى من تركيا

برما: وتشافيز بتاع فنزويلا برده طرد السفير من عنده.. أردوغان ماعندوش حدود مشتركة مع إسرائيل بيموت عليها ضباط من أولاده برصاص الإسرائيليين.. وقطع العلاقات الدبلوماسية معاهم بعد واقعة السفينة بسنة.. إحنا بعد واقعة الحدود بأسبوع ماقدرناش نستنى رد فعل الحكومة والشعب اتحرك بنفسه ودخل السفارة وطفش السفير..

احنا كبار قوى يا عمر وأجرأ من كل الناس دى.. احنا جامدين بس مش شايفين نفسنا كويس.. احنا بس لسه واثقين فى الخواجات أكتر من ثقتنا فى نفسنا.. أو على رأى اخواتنا الشوام «بتاع الغريب عجيب».

عمر: يعنى إيه يا برما

برما: يعنى لازم نتعامل مع الناس كلها بندية كاملة.. لازم نفهم أن أردوغان كان جاى ياخد بركة الثورة ويقدم فروض المحبة لخير البلد اللى بتتولد من جديد.. جاى يتونس بينا وبالتوانسة وبالليبيين.. قوم احنا حسسناه إنه جايلنا زيارة فى الملجأ.

عمر: برما أنا خايف لتكون بتتكلم زى المذيع اللى اسمه عماشة

برما: باقول لك إيه يا عمر والنبى لو معاك تليفون الراجل ده كلمه قول له برما بيقول لك «مدام بومبادور تلهيك وتجيب اللى فيها فيك».. الراجل ده بيغلوش علينا وعايز ينسينا باللى بيعمله أنه كان راجل الحزب الوطنى ونائب البرلمان عنه وإنه كان من خدامين السلطة وبواسين الأيادى وكان بيهاجم بالإذن والتصريح.. فما يجيش يشيل غيره الطين علشان ماحدش يفتح سيرة أيامه اللى فاتت.

عمر: برما أعتقد إنك هتكون محتاج محامى الفترة الجاية..

برما: بمناسبة المحامين.. إنت عندك تليفونات سامح عاشور ومنتصر الزيات اللى عايزين يترشحوا نقباء محامين.

عمر: عندى أيوه.

برما: طب والنبى كلمهم وقول لهم برما بيقول لكم.....

عمر: آلو.. آلو.. يا برما..

تعظيم سلام (١٨-٩-٢٠١١)

يستقبل الواحد القصص التى تحكى عن ضباط شرفاء بالروح نفسها التى يتمسك بها الغريق بطوق النجاة، يفرح بالقصص وينقل لأصدقائه ما تحكيه الناس عن مأمور قسم الأزبكية الذى طارد ووقف فى منتصف الشارع بمفرده يواجه بلطجية شارع عبد العزيز أو الضابط الإسكندرانى الذى تصدى من أسبوع لبلطجية شارع سعد زغلول بمفرده وسط تهليل الناس وتشجيعهم أو الضابط الشاب الذى ظل يطارد لص السيارات المسروقة إلى أن أصابته طلقة أدت إلى استشهاده، كل هؤلاء وآخرون مثلهم لهم كل التقدير والاحترام بإخلاصهم لمهنتهم ولمجتمعهم وبقدرتهم على إقناعنا أن الأيام القادمة أفضل ما دامت صفوف الشرطة تعج بالشرفاء المخلصين.

اليوم لدى قصة جديدة متداولة فى وسط المرشدين السياحين، سمعتها أكثر من مرة إلى أن أكدها لى أحد الأصدقاء الذين كانوا قريبين من الواقعة بحكم طبيعة عمله.

الحكاية عن ضابط فى شرطة السياحة.. قلعة محمد على هى مقر عمله، يوم جمعة الغضب وإثر انسحاب جماعى للشرطة من كل أماكنها كان هو واحد من قلانل تمسكوا بمواصلة العمل رغم كل الظروف الحرجة التى كانت تشهدها شوارع مصر فى هذا اليوم، عندما اشتعلت الأحداث كان هناك وفد من السياح الأمريكان يزورون القلعة بصحبة أحد المرشدين، وعندما لاحظ الضابط الذعر الذى حل بالسياح رفض أن يسمح لهم بالخروج إلا بعد أن تهدأ الأمور تماما.

ظل يترقب ما يحدث وتلقى أوامر الانسحاب لكنه لم يستجب لها، كان الوفد يقيم فى فندق ميريديان الهرم وكان من المفترض أن يعودوا إلى بلادهم فى صباح اليوم التالى، الأمر الذى يعنى أنهم مضطرون للعودة

إلى فنادقهم لجمع متعلقاتهم قبل أن يتوجهوا إلى المطار.

كانت الأمور غير واضحة وكان أى تحرك للوفد الأمريكى فى هذه الظروف غير مأمون العواقب، فاتخذ هذا الضابط قرارين.. الأول هو أن يقضى الوفد السياحى الليلة فى القلعة على ضمانته الشخصية.. فقام بنفسه وبمشاركة المرشد السياحى بتجهيز غرفة مبيت قسم الحراسات وتنظيف عنبر جنود حراسات السياحة بما تتضمنه هذه العملية من تغيير الملاءات وإعداد البطاطين وتهوية العنبر، وعندما أصبح العنبر وغرفة المبيت جاهزين لاستقبال الضيوف تجمعوا بداخله ولم ينس الضابط أن يوفر لهم الماء والطعام وبالمرة جهاز تليفزيون.

بقى من المهمة أن يجمع حاجات السياح من الفندق فى ظل حظر التجول والاضطرابات، فما كان منه إلا أن اصطحب فور شروق الشمس المرشد السياحى وأحد أعضاء الوفد فى سيارتين ملاكى وتوجهوا إلى الفندق وجمعوا حاجات السياح وعادوا بها إلى القلعة، وظل يترقب الوقت المناسب لتحرك الأتوبيس باتجاه المطار، وعندما شعر أن الأمور هدأت نسبيا رافق الوفد إلى أن وصل به إلى صالة السفر، ضرب له السياح الأمريكان تعظيم سلام وانصرف قبل أن يقدموا له الشكر الواجب.

بعدها بشهور يحكى المرشدون السياحيون عن هذا الضابط الذى قطع طريق القلعة عندما اشتعلت أحداث الفتنة فى المقطم وكان البعض يلقون من أعلى الجبل زجاجات المولوتوف والحجارة، وقف هذا الضابط بعرض الطريق وكلما وجد أتوبيسا سياحيا استوقفه بركابه وأمره بالدخول إلى باركنج القلعة، ظل طوال اليوم يطلب من الأتوبيسات السياحية أن تحتمى بالقلعة إلى أن تهدأ الأمور.

أغلب الظن أن هذا الضابط كان ينفذ مهامه من تلقاء نفسه بدون تردد بدون انتظار للتعليمات والتوجيهات، أنا لا أعرفه شخصيا ولم يسبق لى أن التقيت به ولكننى سمعت هذه القصص أكثر من مرة وكنت أعتقد أنها تنطوى على مبالغة، إلى أن أكدها لى شخص أثق فيه المرشد السياحى عادل جلال الذى كان شاهدا على بعض هذه الأحداث، هذا الضابط محل احترام وتقدير العاملين بالسياحة وهو نموذج نتمنى أن يكون هو القاعدة وليس الاستثناء.

بالمناسبة.. اسمه العميد هشام غريب.

أجمل ٥ مشاهد فى ماتش الزمالك ووادى دجلة (٢١-٩-٢٠١١)

بينما الجمهور يعيش لحظات الفوز ومع اقتراب نهاية المباراة فكر بعض الأشخاص أن يخرجوا بالهتاف الشهير «مش ناسيين التحرير» ولمن لا يعرفه هو هتاف ألتراساوى شهير يهاجم الشرطة ويذكرها بجمعة الغضب بطريقة بها بجاحة محببة إلى نفس كثيرين، انطلق الهتاف من قلب المدرجات بقوة متوسطة وقبل أن يكتمل هاجت بقية الجماهير وأطلقت الصفافير المخيفة لتسكت هذا الهتاف ولتمنع انتشاره بين بقية الناس، انتصرت الصفافير وسقط الهتاف قبل أن يبدأ واحترم الجميع قدرة عقلاء الألتراس على إغلاق هذه الصفحة ولو بشكل مؤقت ودعمها لفتح صفحة جديدة مع الشرطة، انتصرت الأغلبية العاقلة بين جمهور الألتراس وأثبتت أنها تمتلك حسا وطنيا فصفق لها كل من كانوا فى الاستاد ثم صفقوا احتراما لجنود الأمن المركزى التى كانت تقف فى أرضية الملعب.

قبلها كان المشهد حماسيا عندما رفع بعض جماهير الألتراس لافتات تطالب بالإفراج عن مشجعى النادى الأهلى الموجودين فى السجن حاليا.

مع بداية الماتش أحسنت جماهير الزمالك استقبال لاعب وادى الدجلة حاليا ولاعب الزمالك سابقا (حسن مصطفى)، كان تشجيعه خاليا من الافتعال فهو كان واحدا من الكتيبة التى شاركت العام الماضى فى واحد من أجمل مواسم تشجيع الزمالك، تلك المحبة كانت متوقعة، وكان متوقعا أيضا بعد أن يحرز حسن مصطفى هدفا فى مرمى فريقه القديم أن ينحنى احتراما لجمهور الزمالك ويكتم فرحته ويضع كفيه فوق رأسه معتذرا عن أن يكون قد (عكنن عليهم)، أما ما لم يكن متوقعا أن يخرج مصطفى من الملعب والزمالك مهزوم بهدف له ومر من المباراة وقت طويل يصعب المهمة ورغم ذلك كله يحسن جمهور الزمالك للمرة الثانية توديع مصطفى أثناء خروجه مصفقا له بقوة وباحترام تصفيقا يضع حدا فاصلا بين فريقهم المهزوم وبين لاعب يحبونه ويتمنون له التوفيق.

كان مشهد استقبال جماهير الزمالك للمعلم حسن شحاتة خاليا من الحلم بالبطولات لكنه كان يمتلئ بالمحبة والتقدير لواحد من أعظم أبناء النادى يعود إليه وهو يمتلئ بحكايات عن النجاح، وكان مشهد استقبال الصقر أحمد حسن أثناء خروجه مليئا بالفرحة لا لأنه أحرز هدفين لكن لأنه استطاع أن يثبت لنفسه أنه لا زال قادرا على الإبهار وأن تجربته فى الملاعب لم تنته رغما عنه كما حدث مع كثيرين لكنه لا زال يمتلك القدرة على أن ينهيها بإرادته.

عودة إلى العشرة التى لا تهون أبدا على جماهير الزمالك بكل ما فيها من عاطفة متقدة جعلها تتحمس مرتين، المرة الأولى فى اللافتات التى رفعوها فى محبة حسام وإبراهيم حسن والهتاف الذى رج المدرجات (شكرا يا عميد.. شكرا يا عميد).. تكرر الهتاف أكثر من مرة وحتى لا يساء فهمه كان فى كل مرة يعقبه هتاف أكثر سخونة (الكأس.. يا معلم.. الكأس يا معلم)، وعلى تيمة محبة جماهير الزمالك للتوأم رفعوا صورتهما ضمن عشرات صور اللاعبين الذين خدموا هذا النادى وصنعوا بطولاته كانت صورتهما ترفرف بين صور (عبد الرحمن فوزى وحازم إمام وحلمى زامورا وجمال عبد الحميد وغيرهم).

أما الانفعال الثانى فقد ظهر بعد أن رفعت جماهير الألتراس لافتة (خليك فى بلجيكتك يا سامى) فى إشارة لماجد سامى رئيس نادى وادى دجلة الذى حرض حسين المحمدى على الهروب واللعب لناديه الذى يمتلكه هناك، لفت نظر بقية الجماهير وجود سامى فى المقصورة فانهالت الهتافات تؤرق جلسته من كل مكان وفريقه مهزوم بالأربعة (اشرب يا سامى.. اشرب يا سامى)، لم تهاجم جماهير الزمالك لاعبها الذى هرب واحترمت أنها طالما أسعدها فى الفترة التى قضاها بينهم، أنا شخصيا كنت أهرب من مهاجمة المحمدى لأننى أحبه لكننى اكتشفت بمرور الوقت أن ياسر المحمدى نموذج لتجربة دولة قطر فى الحياة

عموما.. فهو الذى ينقلب على الفرق التى احتضنته مثلما انقلب أمير قطر الحالى على والده الأمير السابق، وهو الشخص صغير الحجم لكنه قوى التأثير بالضبط مثل قطره الأصغر مساحة من مدينة نصر، وهو الشخص الذى يعانى من عقدة أنه يمتلك مقومات ما لكنه لا يحظى بسطوة أكبر زملائه فى الملعب (راجع نموذج المحمدى - شيكا، وقطر - مصر)، وهو الذى تؤثر فيه عناصر أجنبية من تحت لتحت (راجع نموذج قطر - إسرائيل، المحمدى - سامى).

يغسل أكثر بياضا (٢٣-٩-٢٠١١)

سنحكم على دور المجلس العسكرى فى الثورة بعد أن يعود إلى مواقعه مشكورا ويبتعد عن المشهد السياسى تاركا إياه لمن يختاره الشعب.

قبل هذه اللحظة تعتبر كلمات الشكر والتعظيم ومحاولات تفخيم دور الجيش أعمالا ذات رائحة نفاذة.

عندما يعود المجلس إلى مكانه ستكون تجربته قد اكتملت وسنتناولها نحن ومن سيأتى بعدنا بالنظر والتمحيص وستقال كلمة الحق التى تشرح ما للمجلس وما عليه فى هذه الفترة.. قبل ذلك أنت لا تقول كلمة الحق لكنك إما تجامل أو أنك تقول كلمة حق ناقصة.. فكما قال أحد الشيوخ لا تحكم على طعام قبل أن تهضمه وتتخلص منه تماما.

عندما يقوم الأستاذ مصطفى بكرى وضيوف آخرون فى سهرة طويلة على شاشة قناة التحرير بتجميل صورة المجلس بهذا الشكل وفى هذا الوقت بالذات فمن حقنا أن نعترض على هذا الأداء غير المريح ونرى به شينا يحتمل تأويلات أفضل أن أحتفظ بها لنفسى احتراما لجيل سبقنا فى هذه المهنة بكثير كان حاضرا فى هذه السهرة.

ما الهدف من تجميل صورة المجلس بهذه الطريقة بينما القوى السياسية كلها تقف على الجانب الآخر منه مجتمعة؟. هل تنتصر للمجلس شعبيا على حسابهم؟

ما الهدف من تجميله وفقهاء الدستور يقولون أن تفعيل قانون الطوارئ باطل قانونيا ودستوريا بمن فيهم الفقهاء الذين شاركوا فى توطئة قانونية لوضع المجلس؟

ما الهدف من تجميل صورة المجلس وكل القوى الوطنية تعد الساعات حتى تبدأ الانتخابات ويعود المجلس إلى ثكناته وأن يفى بوعوده القديمة؟ هل تقدم مسوغات القبول الشعبى لتباطؤ المجلس فى هذا الأمر؟

ما الهدف من التجميل وهو يغلق القنوات الفضائية بحجج إدارية تشبه التى كان يستخدمها النظام السابق مع تلويح بتكرار الغلق بحجج مطاطية من عينة إثارة الفوضى والتحريض؟

وإذا كان المجلس كما يقول الأستاذ بكرى يقف بالمرصاد لتوريث الحكم لجمال مبارك لماذا لم يفعلها من قبل؟ ولماذا لم يتخذ إجراءات فى هذا الخصوص قبل أن يقول الشعب كلمته؟

ولماذا لا يمتلك ضيوف البرنامج الجرأة على استكمال مقولة أن الجيش حمى الثورة لتصبح (الجيش حمى الثورة واستفاد منها).

لماذا لم يتحدث الضيوف عن أن رئيسا مخلوعا لا يمتلك سلطة اختيار من يفوضه لإدارة شئون البلاد وأن اختيار المجلس الأعلى تم فرضه على مبارك بمكالمة تليفونية من عمر سليمان فى حضور المشير (حسب رواية ضيوف البرنامج الذين لم يلتفتوا لخطورة هذه الرواية) وأن الجميع خالف الدستور بانتقال أمر إدارة البلاد للمجلس بدلا من انتقاله لرئيس المحكمة الدستورية كما هو منصوص عليه دستوريا؟

ما الفكرة من تعظيم دور المجلس فى هذه الأيام؟

هل هى تخشينة لاستقرار المجلس فى مكانه كما يحب؟

هل هى محاولة للفت أنظار الناس بعيدا عن تكتل القوى السياسية أخيرا فى خندق واحد ضد استمرار حكم العسكر؟

هل هى محاولة لتقوية شوكة العسكر ضد جرأة معظم مرشحى الرئاسة وتلويحهم للمجلس بعدم السكوت على استمرار الوضع الحالى؟

هل يفرح الأستاذ بكرى بحصوله على موقع الأستاذ هيكل سابقا عندما كان أمين أسرار الجيش والسلطة الوحيد والمتحدث باسمهم ونيابة عنهم؟

وهل المجلس بحاجة لوزيري إعلام واحد رسمى والآخر ودى؟

السؤال واضح ولا يحتمل أية تلميحات.. ما الهدف من وصلة مساء الخميس الماضى؟

حكومة اعمل نفسك ميت (٢٧-٩-٢٠١١)

أتمنى على اللجنة التى ستضع دستور مصر القادم أن تضمِّنه مادة واضحة وصريحة تلزم كل مؤسسة أو جهة حكومية أو خاصة أو شركة أو وزارة بالرد على ما ينشر فى حقها من شكاوى أو مستندات فساد خلال أسبوعين على أقصى تقدير من تاريخ نشر الشكوى، وأن تكون عقوبة تجاهل الرد أو التعليق قاسية، تختص بها النيابة الإدارية، بحيث تعاقب المسؤول الأول فى هذه الجهة بلفت النظر أو الإنذار أو التوقيف عن العمل.

انتهى زمن التنفيض وعرف الناس سكة الشارع وباتت الإضرابات حقا مكفولا للجميع، لا يستطيع أحد أن يقف فى طريقه، وأنا شخصيا أشجع كل من سلك الطرق الشرعية لبث مظالمه وشكواه دون أن يحصل على نتيجة أو رد على الإضراب، ولكن واجب علينا أن نصوغ قانونا شعبيا للإضرابات، لا يؤذى أحدا ولا يجلب اللعنة على المضربين، ويكون نافذ التأثير فى صميم قلب الجهة التى تجاهلت شكوى المضربين، قبل أن يكون نافذ التأثير فى بقية الناس، تعجبنى فى قانون شركات النت فكرة، ربما تصلح لأن تكون الأساس الذى تُبنَى عليه الإضرابات فى الفترة القادمة، فشركات النت تحدد لك مقابل اشتراك شهرى معين سرعة تحميل معينة.. عندما تتجاوزها أو عندما تتجاهل دفع الاشتراك لا تقطع عنك الشركة الخدمة مباشرة، لكنها تقلل سرعة التحميل إلى أقل حد ممكن، فتضيّق عليك الشركة الخناق دون أن (تفطسك تماما) تسمح لك بمساحة من خدمة النت تليق بالأساسيات مثل الدخول إلى البريد الإلكترونى، لكن لا مجال للدخول إلى خدمات أخرى حتى تلتزم بما عليك من حقوق، هكذا يجب أن يكون الإضراب.. تضييق الخناق بدلا من الشلل التام، الحفاظ على أساسيات الخدمة دون ضربها فى مقتل، وقف الخدمة تماما يؤدى إلى الانفعال والعند، لكن الذكاء أن

تترك (شعرة) تقود من يتجاهلك إلى معرفة قيمتك.

المهم.. ورث القائمون على البلد من النظام السابق نظرية (إعمل نفسك ميت) ينشر الواحد شكوى ويعتقد أنه لن ينام عقب نشرها من كثرة التليفونات التى ستتبارى فى الرد والتوضيح أو النفى، لكن ولا حاجة!! أكاد أرى كل وزير أو رئيس شركة أو رئيس مجلس إدارة والسكرتارية تعرض عليه الشكوى المنشورة، وهو يشيح بوجهه بعيدا قائلا: (ماتردوش عليه.. سيبوه يهوهو.. لو ردينا هنكبّر الموضوع.. سيبك منه نفَض نفَض).

نشرت عن الطائرة العسكرية التى طاردت السائحات بالمايوهات على شواطئ العين السخنة وتوقعت أن أتلقى ردا يؤكد أن ما شاهده السائحات محض خيال وحديث نفس، لكن ولا الهوى! نشرت عن فضيحة شركة مصر للطيران التى تطالب الشركات السياحية اليابانية بعدم السفر إلى مصر الفترة القادمة، لأنها تتوقع غضبا شعبيا.. توقعت أن يدافع أحد عن شركة حكومية تطفّش السياح أو حتى يشرح لنا الحقيقة أو يرد قائلا: أنت راجل كداب ومافيش حاجة من دى حصلت، لكن لا فائدة. كتبت عن الرجل السعودى الذى يربى أسدا ونمرا فى فيلته بمدينة الرحاب مسببا ذعرا لجميع جيرانه وتطوعت إحدى الجارات بنقل الشكوى للمسؤول الذى يقع مكتبه فى شركة مليئة بكميات من صور فوتوغرافية لهشام طلعت مصطفى معلقة فى كل الجدران ومكتوب تحتها (كلنا هشام طلعت مصطفى).. قال لها المدير إن الصحافة تهوّل الأمور كالعادة وماتخافوش اللى الراجل مربيه ده مجرد شبل صغير.

كتبت عن أشياء كثيرة لكن هاقول إيه.. من يعاشر القوم أربعين يوما يصبح منهم.. ومن يعاشر مبارك ٣٠ سنة من الطبيعى أن يصبح مبدوه فى الحياة (خلّيهم يتسلوا).. وبالفعل أنا وكثيرون سنتسلى على هذه النماذج، مثلما سبق لنا أن تسلينا على مبارك حتى رحل.. الصبر طيب.

وأنا!!!! على الربابة باغنى (٢٩-٩-٢٠١١)

يبدو أنه قد انكتب على الواحد أن يظل كاتبا معارضا يبحث كل صباح عمن يستحق أنه يتغز بمقال فى جنبه غزة توقع النقمة من بقه، عندما هيئ لى أن الثورة نجحت أعتقدت أن هذا الدور قد انتهى وأننى سأتحول من كاتب معارض مرة بالسخرية ومرة بالقفش ومرة بشغل الأراجوزات ومرة بشغل الصعايدة.. أقول اعتقدت أننى سأخرج من هذه المرحلة لأتحول إلى كاتب يقف على مقربة من الشعب يبنى وطنا.. يقف على مقربة منهم يكتب لهم أغنيات حماسية ويقول لهم حكايات تفتح الشهية وتفتح مسام الخيال.. يهون عليهم تعبهم ويدعم وجود الابتسامة على وجوههم طول الوقت إما بفيلم أو مسرحية أو كتاب.. يعلم أطفالهم ويأخذ بأيدى جهلائهم.. يطوف البلاد من أجلهم حتى يحضر إليهم أشباه المجاذيب أمثاله المختبنين فى شوارع ضيقة فى مدن بعيدة، أعتقدت أننى سأتحول إلى فواعلى يسند ظهر الشغالين بما يجيده حتى لو كان الكلام، لكننى بدلا من مهاجمة مبارك أهاجم سيادة المشير وبدلا من أن يحط الواحد على مجلس الشعب لا بد له كل يومين من حطه على المجلس العسكرى، الداخلية التى كنا نهاجم إفراطها فى الحضور ننتقد الآن إفراطها فى الغياب، المعارضة المستأنسة تغيرت اليد التى تمسك بطرف السلسلة المعلقة فى رقبتها، منذ يومين أطل على شاشاة التليفزيون المصرى زميل لى فى العمل وجارى فى العمارة وشريك اللجنة الشعبية.. كانا هما المعلقين على زيارة المشير لشوارع وسط البلد الأول يقول له البدلة بتعنى أنه يصلح للرئاسة والآخر يقول له شوفت إزاى مافيش حد من الحراس بيقول للناس إوعوا، إذن النقد والهجوم الآن اتسعت دائرته لتشمل بعضا من شركاء العيش والملح، الإخوان بعد أن كانوا محل تقدير ودعم من قبل صاروا حملا جديدا على الواحد لا بد أن يقف له على الواحدة بالذات مع النماذج التليفزيونية منهم مثل أحمد أبو بركة وصبحى صالح.. صار الواحد ملزما بمحاصرة

أصوات تبدو ثورية لكنها ثورة تشبه زنة محول الكهربا فاتسعت القائمة لتجعل الواحد منتبها لصحفيين وإعلاميين وبتوع حقوق إنسان وبتوع ائتلافات ثورة... أقضى اليوم كله فى النقد إن لم يكن فى مقال فعلى تويتر أو على القهوة أو حتى فى الحمام حيث يجلس الواحد مشعلا سيجارته سارحا فى تبدل الناس ومستعرضا قائمة الأسماء التى يجب أن ننتبه لها بقوة سواء انتباه لاتقاء سمومها أو انتباه للعزيمة الوطنية التى يمتلكونها.

لا أشكو لحضرتك.. نحن نعيش أجمل أيامنا.. والبناء قادم أنا بس اللى مستعجله وأحلم أن تبدأ فترة تشبه ولو من بعيد مطلع الستينات حين كان الجميع يحملون البلد على أكتافهم وطايحين بيه فى كل مكان، أستعجل قدوم هذه المرحلة لأن أى شىء يعمله الواحد فى ظلها يلمس القلب بقوة وينظف المخ والشرايين ويجعل الحواس كلها صافية وتعمل بأقصى كفاءة.. لكن إلى هذا الحين لا بأس من العمل والكفاح كأننا نعانى من الاحتلال فلهذه المرحلة جمالها أيضا ولقسوة ظروفها طعم نستسيغه على مهل عندما تنتهى، لا بأس من العودة إلى الميدان واقتسام الأسفلت كفراش مع ساندوتشات الحلاوة الطحينية.. لا بأس من اصطياد الوجوه التى قد تثير العكننة فى نفوسنا واحدا تلو الآخر ويا لها من متعة.. قبل أن يبدأ التاريخ ليس هناك ما هو أجمل من أن تمهد له الطريق.. والحجارة التى سنبنى بها البلد من أين لنا بها ما لم نقم سويا بتكسير الجبل؟!

آن الأوان تخلعى يا دولة العواجيز (٣٠-٩-٢٠١١)

ومن قال إن الشيخوخة يتم احتسابها بسنوات العمر؟

شيخوخة الأفكار هى الأصل.

كان الأنبياء وكبار المفكرين وعظماء رجال السياسة وعتاولة الاقتصاد وأكابر علوم الدين شيوخا بمقياس الطبيعة لكنهم كانوا سر احتفاظ كوكب الأرض بشبابه بمقياس الفكر الذى نعيش من خيره.

والبلد الآن تمتلئ بعواجيز الفكر وكان الخال الأبنودى محقا عندما أعلن بدأ العد التنازلى لرحيلهم، كنت مثل كثيرين لا أعتقد أنه يقصد عواجيز النظام السابق الذين نجحوا فى إخفاء علامات تقدم السن وفشلوا فى إخفاء تيبس فصوص أمخاخهم، لكن يوما بعد يوم أكتشف أن العواجيز الذين نحلم برحيلهم دولة بالفعل وليسوا مجرد شلة.

قادة حركات المعارضة المتخبطون ما بين الدستور والانتخابات والمقاطعة والحوار والتكتل والتفتت.. عواجيز

أفكار معظم مرشحى الرئاسة بكل ما فيها من حماس يزلزل أركان أستوديوهات التوك شو ولا يغير شيئا فى حارة.. أفكار عواجيز

طموح كثيرين من الإعلاميين فى البقاء داخل الصورة مرة بالانحياز للثورة لأن صوتها هو الأعلى.. ومرة بالانحياز لصوت التعقل لأنه الموضة.. إعلاميو قطاع كبير من الشعب يتحرك بنظرية معاهم معاهم.. عليهم عليهم.. طموح عواجيز

المجلس العسكرى وحكومة شرف عواجيز

كهنة الكلام عن الاستقرار وعجلة الإنتاج وظروف عامل اليومية الذى أصبحوا يشيلون همه فجأة ويطالبون الناس بالتراجع عن الثورة

حماية له بينما عامل اليومية مضطهد منذ عصور وفيروس فى حفنة ماء ملوث قد تقطع رزقه إلى الأبد.. عواجيز

كل من يردد الكلام الشائع والاتهامات الدارجة دون تفكير أو إعادة تقييم.. كل من يحب حسب الموضة ويكره حسب الموضة.. عواجيز

كل من يرى الحل هو أن يهاجر من البلد ويبحث عن فرصته فى بلد أفضل.. عواجيز

كل من يعتقد أن الثورة هى مجرد تظاهرة وصوت عالى ونضال إليكترونى عواجيز

الإقبال على فيلم شارع الهرم إقبال العواجيز

وكل من سخر من إقبال الناس على هذا الفيلم دون أن يقدم حلا بديلا.. عواجيز

أعضاء حزب الكنبة المتكاسلون عن اتخاذ أى موقف عواجيز.. والساخرون منهم عواجيز لأنهم لم يفعلوا أى شىء يساعد هذه الفئة على النزول من على الكنبة

المطالبون باستمرار المجلس العسكرى لأنهم غير جاهزين للانتخابات ويخشون من مواجهة بقايا الحزب الوطنى أو الإسلاميين.. عواجيز

الاخوان المسلمون ساحوا فى دهاليز النظام السابق ليحصلوا على جزء من التورتة فى الأيام الخوالى.. والنتيجة أنهم أصبحوا نسخة إسلامية من الحزب الوطنى.. وصرت أراهم.. عواجيز

قادة السلفيين الذين خرجوا من السجون وكأنهم لم يخوضوا تجربة مريرة تجعلهم يطورون أفكارهم وأصبحوا يتعاملون مع السياسة بنظرية العقيقة.. عواجيز

الليبراليون الذين يعتقدون أنهم يفهمون أكثر من الشعب ويتعالون على اختياراته بحجة أنهم قد تم تضليلهم.. عواجيز

كل من يستسهل جملة «ولا يوم من أيامك يا مبارك» ويرى أن خلطة الفساد والقهر مع وجود الأمن كانت خلطة مثالية ويرضى بها.. عواجيز

كل من يرى أن المجرمين الذين انهال عليهم ضباط الجيش والشرطة بالصفع والكهربا يستحقون هذا المصير لأنه لم يجرب طعم الصفع على قفاه من قبل أو لأنه جبان بما يكفى للشماتة فيمن يخاف من مواجهته.. عواجيز

كشفت الأيام أن هناك كثيرين يرتاحون لنظام العواجيز.. يرتاحون لحياة تقليدية كل ما فيها متوقع.. ضحايا الأفلام العربى القديمة ذات النهايات المعروفة سلفا.. ضحايا الثوابت.. أعداء ما جهلوا على رأى سيدنا على بن أبى طالب.

حسب قوانين الطبيعة وحسب كتب التاريخ وبثورة جديدة أو بتجديد لأداء الأولى.. هى مسألة وقت حتى يخضع الجميع لإرادة الجيل الجديد بعنفوان أفكاره بجرأته باستعداده لمواجهة كل من سبق ذكرهم فى هذا المقال، يرتاح الكثيرون الآن للعواجيز لأنهم على رأس هرم الدولة وفى الواجهة معظم الوقت.. أولئك المعتمدون على أن الشعب يحبهم سيلبسون الخازوق الأعظم يوم تنقلب الآية ويخرجون من الصورة.. فالشعب سيرضى برحيلهم بالبساطة نفسها التى رضى بها بإضافة رقم جديد لرقم هاتفه المحمول.

إقرار (١٠-٢-٢٠١١)

أقر أنا كاتب هذه السطور أن الأحزاب التى تتحاور وتوقع اتفاقات مع المجلس العسكرى أو أية جهات أخرى لا تمثلنى بأى شكل من الأشكال، وأنه من الثابت تاريخيا أن قادتها كانوا متحفظين على ثورة ٢٥ يناير فى بدايتها وكانت لديهم رغبة كامنة فى التهدئة وإنهاء الثورة حتى يبقى النظام السابق كما هو مقابل عمولة سياسية، وبخلاف أنهم لا يمثلوننى أقر أنهم ليسوا محل ثقة لتوقيع أى اتفاق شرف من أى نوع.. من الذى سيحترم وثيقة كهذه؟. الليبراليون الذين لم يحترموا «نعم» التى قالها الشعب؟ أم الإخوان الذين تركوا شبابهم يواجه الموت فى التحرير مع شباب الثورة وذهبوا للجلوس مع عمر سليمان والتفاوض حول جزء من التورتة؟ أم السلفيين الذين نقضوا الاتفاق ورفعوا علم السعودية فى التحرير؟ (الإخوان والسلفيون الذين يقبلون الآن ما يرفضونه بقوة خلال الأشهر الماضية لوجه المناصب وليس لوجه الوطن)، أم السيد البدوى الذى أغلق جريدة الدستور على نفقته الشخصية لصالح النظام؟ ولا موسى مصطفى الذى استولى بالبلطجية على حزب الغد من أيمن نور أثناء وجوده فى السجن؟ وأننى أرفض أن تمنح جهة ما صكوك الرضا والتأييد المطلق للمجلس، وأقر أننى كمواطن مصرى غير راض عن أداء المجلس العسكرى لعجزه عن إدارة شئون البلاد اقتصاديا وأمنيا وسياسيا وأخيرا مهنيا حيث فرض على مهنتى وجود رقيب عسكرى على الصحف يمنع ويصادر وبوجود وزير إعلام يغلق قنوات ويهدد أخرى باقتراب إغلاقها، ولذلك أعتبر وثيقة الرضا باطلة شكلا وموضوعا، وأننى أرفض اعتماد أية وثيقة تحدد مصير البلد دون أن أستفتى عليها، وأقر أنه من هذه الساعة وحتى لحظة وقوفى أمام صندوق الانتخابات لا يوجد أحد يتحدث باسمى أو نيابة عنى لا مجلس ولا حزب ولا ائتلاف ولا منظر سياسى ولا ضيف فى برنامج، وأحذر كل من يستخدم كلمة الشعب فى التفاوض أو عرض المطالب أو التأييد

أو إصدار البيانات أو التنقيط فى أى فرح من الزج باسمى فى سياق الكلمة دون تصريح كتابى منى وعليه إذا ما استخدم كلمة الشعب أن يقول (الشعب ما عدا عمر طاهر و.......) كل من يضع اسمه فى هذه المساحة الخالية.

(في أعقاب اجتماع المجلس العسكري ببعض القوى السياسية الشهير باجتماع «الشاي بالياسمين».. وقد وقع عليه عبر الإنترنت أكثر من ثلاثين ألف شخصًا).

برما وأولاد أبو إسماعيل (٣-١٠-٢٠١١)

قلت له: «هل سمعت عن تهديدات الشيخ حازم أبو إسماعيل للمجلس العسكرى؟»، فقال: برجاء بلغ الشيخ حازم أن برما بيقول لك «إوعى يغرك جسمك»، قلت له: لن أفعل فأنا أحب هذا الرجل، فقال: وأنا أشهد الله أنى أحبه لكن أحب أن أخبرك أننى افتقدته كعالم دين وداعية ولم أكسبه كرجل سياسة.. ولم أفهم ما معنى أن يقول للمجلس العسكرى ارحل ولك الحصانة؟. كلنا نريد أن يعود الجيش إلى مكانه لكن على أى أساس يعقد صفقات من هذا النوع..؟

لقد وقع فى الخطأ نفسه الذى نحاربه.. فوضى الحديث باسم الناس واحتكار القرارات.. تعقد صفقة على الهواء بأمارة إيه؟. وإذا حدث مين حضرتك عشان تدى حد الحصانة؟. وحصانة من إيه وليه أساسا.. ما الغلطان يتعاقب؟

قلت له: معاك حق يا برما.. بالمناسبة أنا لم أسألك صراحة من قبل عن إجمالى تقييمك للمجلس..، فقال: بص يحاول الواحد أن يضع نفسه مكان الآخرين حتى يفهم هم بيعملوا كده ليه وحتى يكون موضوعيا قدر استطاعته، أفهم أن المجلس قد يشعر بالورطة ويسأل نفسه كل يوم «طب أمشى واسيبها لمين؟»، هو مضطر لتسليم السلطة للمدنيين التزاما بوعد قطعه على نفسه لكنه يتردد لأنه لا يرى سوى السيد البدوى ورفاقه، ألتمس عذرا للمجلس إذ إنه يرى وشوش ماتطمنش.. لكن الخطأ خطأ المجلس الذى يمتلك نظرة محدودة وكلاسيكية وبها بيروقراطية عتيقة.. لو كان المجلس يريد الابتعاد عن مواطن الشبهات والانتقاد والمطبلاتية الذين يسيئون له والمتنطعين على قفا الثورة والبلد لكان عليه أن تكون أفكاره ثورية وحاسمة وقاطعة تخلو من الديكتاتورية وتمتلئ بالحزم (والفرق بينهما كبير بالمناسبة)، لو كان مؤمنا بالثورة لأسند إدارة البلد لحكومة ثورية بسلطات ثورية وصلاحيات ناجزة من

اللحظة الأولى لا أن يسند الأمر لدكومة عساكر مرور.. كان قدم للثورة وزير إعلام يشر روح الثورة فى وجدان الشعب ويفتح شهيته للبناء وللحياة عموما.. مش اللى بالى بالك.. وقتها كان سيضرب كل العصافير بحجر واحد.. سيخدم الثورة التى قامت لتخدم البلد وسيجبر المتطفلين المنتفعين على التزام جحورهم ويسد الطريق على المهاترات بدرى بدرى ولأراح واستراح وكنا ضربنا له ألف تعظيم سلام. المهمة ثقيلة ومخيفة.. لكننى لا أجد مبررا لعدم اتخاذ القرار الصحيح فى الوقت الصحيح ولعدم إسناده أمر أى شىء فى البلد لأهله والتخبط المستمر وإصدار القرارات والرجوع فيها ورى الثورة بالتنقيط واستخدام الثورة أصلا كمبرر لأى تدهور تشهده البلاد فى حين أن أدوات الإدارة كلها فى يده هو.. المجلس يذكرنى بحسام حسن.. ربما هو مخلص لكنه مكابر ويجيد البحث عن أعذار.. وهو لاعب كرة قدم عالمى لكنه مدرب لا زال أمامه وقت طويل حتى يحصد بطولة.. وهو يشبه المجلس فى الصفقات التى يعقدها.. فكما كانت صفقة المجلس مع الوفد والإخوان كانت صفقة حسام مع عاشور الأدهم ووابوكونيه.

قلت له: والحل يا برما؟ فقال: الانتخابات هى الحل.. عندما يصبح هناك دولة ببرلمان ودستور ورئيس جمهورية طبيعى.. سيكون المولود قد خرج إلى النور.. بعدها ممكن نشوف إذا كان المولود ده محتاج نحطه فى حضانة ولا نعمل له عملية ولا نعلق له محاليل.. سيكون سهلا أن نعالج أى مشكلة فى المولود وهو بين أيدينا والأمور واضحة وسيكون التشخيص سهلا.. لكن الحديث عن الجنين قبل وصوله والشجار حول فكرة هنسميه إيه هو محض هرطقة والمفاوضات المستمرة قبل مولده حول هينام مع بابا وماما فى سرير واحد ولا هينام فردى ده محض هرتلة.. ماحدش مهتم إن البلد تولد بسلام ولادة طبيعية وفى الوقت الصح قبل ما الجنين ينفجر جوه.. قد اهتمامه بالبحث عما يضمن له أن الجنين مايطلعش أشول.

قلت له: «يا خوفى يا برما بعد كل ده ييجى المولود مسخ، فقال لى بحسم: أنا متاكد أن البلد لن تلد مسخا لأن العريس كان ابن حلال.

قلت له: ومن كان العريس يا برما؟ فقال: الشهدا طبعا.

صلاة فى الممر

مجدى شاب مسيحى.. يعمل (دهبنجى) كما يحب أن يسمى مهنته التى نسميها جميعا (جواهرجى)، ثلاثينى، أب لطفلتين يعيش فى المنيل، أهلاوى متعصب، مناضل من منازلهم، لكنه شارك فى جمعة الغضب.

خاف مجدى فى هذا اليوم وهو الشخص غير الخبير بأمور المظاهرات من أن يخرج من بيته منفردا حتى لا يصبح هدفا سهلا لرجال الأمن المتحفزين، كان كل ما يعرفه مجدى أن المظاهرات ستنطلق من المساجد عقب صلاة الجمعة.. فلم يكن هناك بديل عن أن يختبئ وسط جموع الخارجين من أى مسجد حتى يكون فى أمان قدر استطاعته.

مجدى له خبرة سيئة فى ارتياد المساجد، منذ عامين توفى والد أحد أصدقائه الذين يعيشون على بعد عمارتين منه، تواجد مجدى فى منزل المتوفى وانتظر حتى لحظة حمل النعش إلى أقرب مسجد للصلاة عليه، كان مجدى يشارك فى حمل مقدمة النعش وما أن دخل المسجد حتى استقبله أحد أبناء المنطقة المتشددين والذى يعرف أن مجدى قبطى.. احتد هذا الرجل على مجدى وطرده من المسجد، ودافع أقارب المتوفى عن مجدى لأن أسلوب المتشدد كان فظا وكادوا أن يتشاجروا معه لكن مجدى آثر السلامة وانسحب سريعا من المشهد وقدم واجب العزاء فى بيت المتوفى.. خاف حتى أن يقدم واجب العزاء فى دار المناسبات الملحقة بأكبر مساجد المنيل.

يوم جمعة الغضب قرر مجدى أن يبحث عن مسجد بعيد عن المنيل، يعرف مجدى أن المنيل هى المنطقة الوحيدة فى مصر التى يعرف أهلها بعضهم البعض جيدا وكأنهم عائلة واحدة، خرج مجدى من المنيل باتجاه مستشفى قصر العينى، اقترب من أحد المساجد هناك فسمع الخطيب يقول كلاما يدعو لعدم الخروج فى المظاهرات وعدم الخروج عن الحاكم

وعدم الاستجابة للدعوات المشبوهة التى لا يعرف أحد من وراءها.

على بعد خطوات وجد مسجدا آخر وكان كلام الخطيب مبشرا إذ كان يتحدث عن الظالمين والفساد وأمور أخرى تلائم الهدف الذى خرج بسببه مجدى من منزلهم فى هذا اليوم.

اقترب مجدى من مدخل المسجد الخلفى حيث يقف كثيرون فى انتظار أن تقترب الخطبة من نهايتها فيخلعون أحذيتهم وينضمون لصفوف المصلين.

فى لحظة قدرية تماما وجد مجدى عامل المسجد وهو رجل فى حدود الخمسين يحمل حصيرة كبيرة مطوية تحت ذراعه ويمد طرفها ناحية مجدى طالبا منه أن يساعده فى فرشها (علشان الناس تصلى)، ارتبك مجدى لثوان لكنه استجاب لرغبة الرجل، وإمعانا فى إخلاصه للمهمة التى كلف بها خلع حذاءه حتى يستطيع أن يضم الحصيرة على الحصيرة التى تسبقها، فى ثانية كان الرجل يدعو دعاء ما قبل إقامة الصلاة وتوافد الواقفون على الحصيرة التى شارك مجدى فى فرشها وأحاطوا به من الأمام ومن الخلف وجلسوا فوجد نفسه الواقف الوحيد فجلس هو أيضا.

شعر مجدى بعد ثوان أن ما يفعله ينطوى على خطأ ما إن لم يكن بحسابات مسيحيته فعلى الأقل بحسابات المسلمين الذين قد تفسد صلاتهم بسببه وهو يقف ملاصقا لهم فى صف واحد.

استجمع مجدى شجاعته ووقف وركز بحيث يخطف حذاءه فى ثانية ويختفى، فعلها لكنه اصطدم بعامل المسجد، لم يقل له العامل شيئا لكن النظرة التى رآها فى عينيه جعلته يقول له: (نسيت أتوضى).. أشار له العامل باتجاه الممر الصغير المؤدى لدورات المياه فتسلل مجدى إلى هناك.

بدأت الصلاة.. يتذكر مجدى أنه قد تلا أثناء وقوفه فى هذا الممر صلواته بسعادة نادرا ما تتكرر، صلى حتى أصابته (حمقة) فكتمها حتى لا تنسال دموعه فى بداية يوم ستنهال فيه الدموع بلا حساب بفعل القنابل المتوقعة، لكنه لم يستطع أن يكتمها عندما انتهت الصلاة وانطلق أول هتاف من قلب المسجد (حسنى مبارك.. باااطل).

كان يوما صعبا على مجدى وهو شخص سمين بعض الشىء وينهج إذا ما كانت سيارته على مطلع كوبرى (على حد تعبيره) لكنه انتهى نهاية لم يكن يتوقعها وهو يرى الجنود تستدير وتغادر المشهد وهى مشتتة بينما ميدان التحرير من بعيد يلوح ويختفى من بين دخان القنابل المسيلة للدموع.

بعد أن انطلق أول هتاف من داخل المسجد هم مجدى بالخروج من الممر المؤدى لدورات المياه فوجد عامل المسجد يدخل وهو يحمل الحصيرة المطوية، لم يقل الرجل له شيئا لكن مجدى شعر بخجل حقيقى كمسلم ضبطه شخص ما (مزوغ من الصلاة).. بحث عن حجة جديدة لكن قبل أن يفتح فمه قال له عامل المسجد (معلش يا بنى نسيت أقول لك إنهم قاطعين الميه من الصبح).

(نُشرت هذه القصة بالصدفة صباح يوم أحداث ماسبيرو).

الاختيار

(فى أعقاب أحداث ماسبيرو)

لا أعرف لماذا تستسهل الحكومة ويبارك المجلس على فكرة أن ما يحدث هو مؤامرة وأصابع خفية وفلول ولا يعترفون ولو لمرة واحدة بخطئهم، لماذا يلقون باللوم دائما على الأشباح بينما المتهمون ماثلون أمامنا طول الوقت بالصوت والصورة.

«محافظ أسوان هيموت موتة شنيعة لو ماقدمش استقالته فى خلال ٤٨ ساعة والمشير لازم يبنى الكنيسة ولو ما عملش كده هو عارف إيه اللى هيحصل، واللى اتهدت دى كنيسة والمحافظ اللى بينفى كداب ويجى لى يواجهنى وأنا أديله باللى فى رجلى، وباقول للمشير حل المشكلة بسرعة أحسن».

http// :www .youtube .com/watch?v=seQeSf5ce74

هذا القس الذى لا أعرف اسمه والذى يظهر فى الرابط المنشور ويقول الكلمات المذكورة أعلاه وسط حشد من المتظاهرين الغاضبين فيؤجج غضبهم ويهيج مشاعرهم ويقويهم على سماحة دينهم وتعاليم نبيهم.. هل هو عنصر خارجى؟ هو هل أيد خفية؟ هل هو من فلول الحزب؟ هل يطمح فى مقعد فى البرلمان فيهدف بهذا التهييج إلى تأجيل الانتخابات؟

أبدا.. إنه رجل متعصب لا يختلف كثيرا عن هذا الشيخ السلفى الذى يقول..

«الأقباط هؤلاء المرتزقة الأنجاس الذين يقتلون إخواننا المسلمين، هؤلاء الأنجاس الكلاب ما كانوا ليتجرأوا إلا بتنظيم كبير يبدأ من الحقير شنودة الذى يحركهم عبر مؤسسات أمريكية تريد تقسيم أرض مصر

وأنا أقسم بالله لن يقسم شبر من أرض مصر إلا على جثث هؤلاء الأقباط ولو أزهقت أرواحنا، وإذا مر هذا الأمر على الحكومة والمؤسسات لن يمر علينا نحن المسلمين الأحرار.. لو كان رجل مثلى صاحب لحية اعتدى على واحد منهم لقامت الدنيا ولم تقعد»

http// :www .youtube .com/watch?v=bgolf0cKS38&feature=youtu .be

إذن يتحدانا هذا الشيخ الذى لا أعرف اسمه أيضا عبر هذا الكليب الذى يخاطب به جمهوره أن يحظى المسلمون بكل هذا الدعم الذى يحظى به الأقباط الذين لا يقدر عليهم أحد..

حسنا..

هذا أيضا رأى القس المسيحى الذى يقول أمام المشاهدين فى برنامج معتز مطر..

«العدو الموجود دلوقتى هم قادة السلفيين وهم أخطر من إسرائيل.. إسرائيل لما بتهاجمنا بنتوحد لكن قادة السلفيين بيفتتونا.. وأنا باتحدى المجلس العسكرى من هنا من البرنامج ده أنه لن يستطيع أن يقبض على واحد من شيوخ السلفيين.. لو انتصر السلفيون فى معركتهم لتقسيم شعب مصر هتتمسح بالأستيكة».

http// :www .youtube .com/watch?v=Yl74vFXh7MU

طبعا تابع فى هذا الكليب أيضا تعليق الشيخ خالد عبد الله على علاء الأسوانى وخالد منتصر وكل من يدافع عن حقوق الأقباط بأن (هواهم مسيحى).

هذه الكليبات المنتشرة والخارجة من قلب مظاهرات ضخمة أو برامج جماهيرية وتنتشر فى كل مكان على المحمول والإنترنت مجانا..

هل هى عناصر خارجية أو أيد خفية؟

كيف تعامل النظام مع هذه النماذج؟ بل كيف تعامل مع الشيخ الشهير الذى قال أيام امبابة «مانبقاش رجالة لو ماولعناش فى كل الكنايس».. ولا حاجة؟

http// :www .youtube .com/watch?v=u3UlghrgERM

الحرب التى ندفع جميعا ثمنها دائرة فى كل مكان وأمام أعيننا دون أن يلتفت إليها أحد من رجال السلطة وحاملى أدوات إدارة البلاد فى أيديهم.. إنه فشل جديد يضاف إلى رصيدهم، المتهمون واضحون ومعروفون لكن النظام الحالى يتعامل بنظرية «ودنك منين يا جحا».

زاد الطين بلة تليفزيوننا الرسمى الذى صور ما يحدث للناس على أنه حرب بين الأقباط والجيش المصرى فانبرى الناس من كل مكان يدافعون عن الطرف الذى يخصهم، تليفزيوننا الرسمى يطلب دعم الشعب لمواجهة هجوم الأقباط.. هناك من لم يتأخر فارتفع عدد الضحايا.. وهناك المتربصون هواة الصيد فى الماء العكر اعتبروها فرصة فارتفع عدد الضحايا أكثر وأكثر، تليفزيوننا الرسمى يذيع لقطة لجندى بملابس الجيش يقول غدروا بنا المسيحين أولاد ال.. تخيل معى كم واحد من أصحاب النفوس الضعيفة والثقافة الضحلة رأى فى هذا المشهد ما يحثه على النضال ضد جحافل الأقباط؟. ألا يستحق وزير الإعلام وتابعوه أن يحاكم بتهمة التحريض على حرب أهلية؟. أم أن التحريض ضد المجلس العسكرى فقط هو ما يستحق محاكمة سريعة؟

كانت الناس مشغولة مساء الأحد بمعرفة كيف ومتى ومن بدأ الضرب؟. أرجوك راجع الكليبات السابقة لتعرف أن الضرب بدأ منذ زمن.. بدأ قبل ليلة الأحد بكثير.

صور الأقباط المدهوسين بمدرعات الجيش وهم لا يحملون شيئا سوى صورة المسيح وصليب خشبى هى وصمة العار الأكبر على الإطلاق فى وجه قادة المرحلة الانتقالية على كافة المستويات.. لكنها ستكون فى الوقت نفسه الباعث الأعظم على تصحيح الأوضاع.

من المخطئ؟. لا يهم.. المهم ان نرفض تماما أن نكون كلنا ضحايا.

صمت المجلس العسكرى وموضوع التعبير الذى قرأه علينا الدكتور شرف بالأمس وتحريض الإعلام الرسمى على حرب أهلية وغياب تام لمن يملئون الدنيا ضجيجا حول الانتخابات بنوعيها وجهاز شرطة متراخ وقيادات محلية غبية ومشايخ متطرفين وقساوسة متعصبين يقودون أبناءهم إلى الموت بالجملة.. ولا ألف عنصر من العناصر السابقة قادرة على إثناء هذا البلد عن حريته وتحقيق أحلامه.. آمن يا صديقى بذلك وانشر إيمانك فى كل مكان.. لم يعد الأمر تمسك بالسلطة أو انتخابات.. بل أكبر من ذلك بكثير.. نكون أو لا نكون.

هناك وهناك (٠٤-١٠-٢٠١١)

لا زال الصراع محتدما حول (مين اللى ابتدى بالضرب؟)، هناك من يرى أن الأقباط زودوها وكله إلا الجيش، وهناك من رأى الجثث على الطبيعة فالتزم الصمت والخجل، هناك من يستعد للذهاب إلى ماتش النهائى ويزايد على من يرى أن لعب المباراة فى هذا الوقت (مايصحش)، هناك فيديوهات متبادلة يرد كل واحد على الآخر.. فيديو لمتظاهر يهشم بالحجارة رأس جندى مختبىء فى صندوق سيارة نصف نقل تابعة للجيش، يرد عليه فيديو لمدرعة تدهس المتظاهرين وتمر فوق أجسادهم بالتصوير البطىء، هناك من ينادى بعزل محافظ أسوان (يا سيادة المحافظ لو افترضنا جدلا أن الكنيسة تم بناؤها بالمخالفة للقواعد والتصريحات اللازمة.. أين كنت حضرتك وهى بتتبنى؟. وإذا كنت متمسكا بتنفيذ القانون بهذه الصرامة ألا يوجد لدى حضرتك قدر من الذكاء السياسى لجعل المخالفين يزيلون المخالفة بأيديهم ورضاهم بدلا من هذا الاستفزاز؟. ألم يكن بمقدورك أن ترجع إلى كل لجان الوحدة الوطنية أو الأزهر أو بيت العائلة أو المفتى أو حتى وزير الدفاع لاستشارته فى هذا الوضع المحرج قبل أن تتحرك بمعداتك وتفاخر بالهدم؟. أقول كل هذا على افتراض أن البناء كان مخالفا بالفعل.. ليست لدى معلومة مؤكدة)، هناك من ينادى بإقالة حكومة شرف، بينما كثيرون وأنا منهم يود لو تمت معاقبته على خطابه الهزيل المليئ باللعثمة والافتعال وكلمات انتهت صلاحيتها، هناك من يرى أن سقوط جنود مصريين قتلى على أيدى مواطنيين مصريين أمر يهدر هيبة البلد.. وهناك من يرى أن الفرم اللى تعرض له مواطنون مصريون تحت عجلات سيارات حربية أمر يهدر البلد نفسها، هناك من يسأل أين وزير الداخلية ولماذا لم تقم الشرطة بتأمين مظاهرة أعلن عنها قبل انطلاقها بأيام؟ وأن الوزير يستحق أن يحاسب مهنيا على أمر مثل هذا، وهناك من يرى أن الداخلية لم تظهر فى هذا اليوم عن عمد، وهناك من يرى

أن (هيه الداخلية كانت هتعمل إيه؟)، هناك من يتساءل عن ضبط النفس الذى اشتهرت به تصريحات القادة عن أداء الجنود فى الشارع، وهناك من يتساءل عن مساحة الخلل التى قد تخرق ضبط النفس هذا لأسباب استفزازية.. ويفكرون فى الاستفزاز الذى خرق ضبط النفس لدرجة فرم الناس بالمدرعات، هناك من يقولون أن المتظاهرين قتلوا الجنود داخل المدرعة التى كانت تطاردهم وأشعلوا النار فيها بينما هم بداخلها، وهناك من يقول أن المدرعات تمت سرقتها وقيادتها من قبل أشخاص مجهولين!، هناك من يقول إن الجيش لم يضرب طلقة نار على مواطن مصرى من أجل رئيس يطالبون برحيله.. وهناك من يسألون إذا كان هناك مبرر قوي لعدم قتل المتظاهرين من قبل.. فما المبرر الأقوى الذى دعاهم إلى قتلهم؟ هناك من يطالب بقانون دور العبادة الموحد، وهناك من يرى أنه قبل إقرار قانون يتعلق بالمبانى لا بد من إقرار قانون يحكم سلوك من يقف بداخل هذه المبانى ليعلم الناس شئون دنياهم ودينهم.. فما فائدة التحكم فى حجارة تستخدم للبناء بينما هناك غفلة كبيرة عن معاول تستخدم للهدم؟

هناك من يسعى للبحث عن حلول سياسية جذرية وأخرى طويلة المدى، لكننا وقبل هذا مطالبون جميعا فى هذه اللحظة بوقفة عاصفة مع النفس أكبر من السياسية.. وقفة من يخاف على هذا البلد أن يضيع بين إدارة لا تجيد الإدارة ومواطنين لا يعرفون أصول المواطنة.

برما فى المدرعة (١٤-١٠-٢٠١١)

قلت لبرما: (شوفت المدرعة اللى اتسرقت) فقال: المشكلة أن هذه المدرعة كانت فاتحة بيوت، قلت له (لقد ساهم هذا الحادث فى انقسام الناس بزيادة)، فقال: شىء متوقع.. أنا شخصيا لم أنزعج إلا ممن تعاطف مع الجيش فقط لأن الضحايا مسيحيين.. هذا النوع من الناس هو الذى دعم بقاء مبارك فى السلطة ٣٠ عاما.

قلت له: (هذا حقيقى)، فقال برما: لقد وقعنا جميعا فى الفخ بمن فينا المجلس العسكرى، إنه يشاركنا الحفرة دون أن يساعد نفسه على الخروج ودون أن يسمح لنا بأن نساعده حتى يخرج.. كنت أشعر بغضب تجاه المجلس خلال الشهور الأخيرة الآن أصبحت أشعر تجاهه بالامتعاض.

قلت له: (مش فاهم)، فقال: كل ما يحدث الآن كان يمكن تفاديه بسهولة مبكرا، لكن المجلس بطبعه مكابر وصوته من دماغه، تعرف.. الجملة الوحيدة التى هضمتها بسهولة فى مؤتمر المجلس الصحفى الأخير تصريحهم بأنهم يقبلون النقد السياسى ولا يقبلون الاتهام بالتباطوء لأنه ينطوى على تخوين ما، هم يعرفون جيدا أنهم بيتعلموا فينا السياسة وبصراحة هذا ليس وقت التعليم أبدا وهى فترة لا نمتلك فيها رفاهية أن نجرب ونشوف، لقد تسلم المجلس البلد ونحن فى منتصف عملية جراحية.. هو أفضل واحد فى العالم يحمى المستشفى لكنه لم يسبق له دخول غرفة العمليات ومع ذلك يكابر.

قلت له (قصدك ومع ذلك بيعك)، فقال: تقديرى أن العك الحاصل حاليا ليس (عك) شخص طامع فى السلطة ولكنه (عك) شخص خائف، ربما خائف على نفسه أو على البلد.. لا أستطيع أن أجزم بشىء، المجلس يتعالى على الجميع لكنه ليس تعالي شخص يسيطر على الأمور إنه تعالي شخص يدارى ارتباكه الشديد، حتى اهتمامه دائما بأن يحافظ

على كبريائه بطريقة مبالغ فيها تعطيك انطباعا أنه ليس كبرياء من يثق فى نفسه لكنه كبرياء واحد يدخل كافيه شهير مزدحم لأول مرة فى حياته ويشعر أن هناك من ينظر له من تحت لتحت.

قلت له: (وماذا أيضا يا برما)، فقال: سنفترض أن الجيش لم يطلق الرصاص.. الجيش مخطئ لأن هناك أكثر من ٢٠ شخصا ماتوا أمام عينيه برصاص طرف ثالث ولم يستطع أن يحميهم. سنفترض أن شخصا ما سرق المدرعة ودهس بها الناس.. الجيش مخطئ لأنه غير قادر على حماية مركباته بشكل يشكل خطرا علينا جميعا فما الذى يضمن ألا تتكرر عملية السرقة. سنفترض أن الجيش لا يعرف شيئا اسمه مسلم ومسيحى.. الجيش مخطئ لأنه أشاد بتغطية التليفزيون المصرى الذى طالب صراحة بتدخل الشعب لإنقاذ الجيش من هجوم الأقباط.. مخطئ لأنه حافظ على كبريائه بأن اعتبر أن التليفزيون هو صوته الرسمى وصوته الرسمى لا يمكن أن يقع فى الخطأ ويستحق الإشادة حتى لو كان ساهم فى الخراب الذى حدث.

سنفترض أن الجيش كان صادقا فى كل ما قدمه فى المؤتمر الصحفى لتبرئة نفسه.. الجيش مخطئ لأنه إذا كان يمتلك صك البراءة مقدما فلماذا أعد لجنة تقصى حقائق وتحقيق فى الأمر وماذا سيكون موقف الجيش وكيف ستكون صورته إذا ما أثبتت هذه اللجنة عدم صحة كل ما قيل فى المؤتمر؟

سنفترض أن مجندى ماسبيرو لا يحملون ذخيرة أو يحمون المبنى برصاص فشنك.. الجيش مخطئ لأنه (ينفع حد يقول كده؟)، هل يصح أن يعلن الجيش أمام من يقول أنهم عناصر مندسة وخارجية أن المبنى الاستراتيجى تتم حمايته برصاصات فشنك؟

سنفترض أن الإخوة الأقباط كانوا ضحايا عناصر خارجية وطرف

ثالث كما يقول الجيش.. الجيش مخطئ لأنه لم يحزن على ضحايا وقعوا فى حضوره وفى عهد قيادته.. لم يحزن عليهم كما ينبغى فلا كان هناك حدادا رسميا كما قال وزير الإعلام وكانت الإذاعات المصرية والفضائيات المصرية تعرض وتذيع الأغانى والأفلام كأن شيئا لم يحدث بل إن الجيش لم يكلف نفسه حتى أن يؤجل مباراة كان محتملا أن يفوز فيها الزمالك فيخرج عشرات الآلاف من الإستاد فى مسيرات احتفالية ستؤذى مشاعر كل من حزن على الراحلين وعلى حالنا عموما.

قلت له (عموما الزمالك خسر)، فقال: هذا من حسن ظن الزملكاوية.. كانوا سيفرحون ليلة ثم سيذكرهم التاريخ للأبد بأنهم الجمهور الذى أضاء ليل القاهرة بالشماريخ ومسيرات الزفة البلدى بينما يقضى أكثر من ٢٥ شابا مصريا ما بين مسلم وقبطى ومجند فى الجيش المصرى ليلتهم الأولى فى قبورهم.

٤-٢-٤ (١٥-١٠-٢٠١١)

أثناء اشتغالى فى كتاب عن السينما المصرية اسمه «ابن عبد الحميد الترزى» وصلت لقناعة بمراجعة أرشيف أفلامنا أنه ثمة علاقة بين الفيلم الموجود فى قاعات العرض وما يحدث خارج هذه القاعات فى اللحظة نفسها.. ساعدنى فى الوصول لهذه القناعة موسوعة الأفلام المصرية التى أعدها الكاتب المحترم محمود قاسم والتى تذكر قصة وفريق عمل وتاريخ أول عرض كل فيلم فى تاريخنا.

عندما تسلم مبارك الحكم كان بدور العرض فيلم اسمه (٤-٢-٤) الذى قيلت فيه الجملة التاريخية التى لا تخلو من دلالة على الحدث (الحلوانى نزل الملعب يا رجالة).. ولنا مع هذا الفيلم عودة.

عندما قامت ثورة يوليو فى ٥٢ كان بدور العرض فيلم اسمه (المساكين) بطولة حسين صدقى يحكى عن رجل سافر للمشاركة فى حرب فلسطين وظلوا ينتظرونه طول الفيلم أن يرجع لكن دون فائدة (وهذا ما حدث مع فلسطين نفسها)، وكان هناك فيلم لفريد الأطرش اسمه (عايزة أتجوز) يحكى قصة صعود مطرب فقير من القاع حتى قمة دولة الغناء (وهذا ما حدث مع عبد الناصر نفسه).

يوم وقعت النكسة كان بدور العرض فيلم اسمه (القبلة الأخيرة بطولة ماجدة وإيهاب نافع) وقد كانت نكسة يونيو القبلة الأخيرة بالفعل لثورة يوليو ٥٢، وبينما كانت الصحف تنشر خبرا عن انتحار المشير عبد الحكيم عامر كان العمال يعلقون فى الشوارع أفيش فيلم اسمه (الخروج من الجنة بطولة فريد الأطرش وهند رستم وعادل إمام عن قصة لتوفيق الحكيم).

على هامش اتفاقية كامب ديفيد عام ٧٨ كان الفيلم حديث الجماهير بالصدفة اسمه (الصعود إلى الهاوية لمديحة كامل ومحمود يس عن

قصة أستاذنا صالح مرسى وإخراج كمال الشيخ).. كانت الاتفاقية صعودا وبمرور الوقت نكتشف حجم الهاوية التى بدأنا الصعود إليها فى هذا اليوم.

يوم اغتيال السادات كان بدور العرض فيلم اسمه (حكمت المحكمة) بطولة فريد شوقى، وكانت محكمة الجماعات الإسلامية قد أصدرت حكمها باغتيال السادات فى هذا اليوم.

يوم قام العراق بغزو الكويت كان بدور العرض فيلم اسمه (حالة مراهقة.. بطولة فؤاد المهندس).. كانت قصة الفيلم تدور حول رجل عجوز يتورط فى سرقة ماسة ثمينة ثم يدفع الثمن غاليا، وهذا بالنص هو ما حدث مع صدام حسين الذى سرق ماسة الكويت ثم دفع ثمنا غاليا لـ(حالة المراهقة) التى انتابته ساعتها.

عودة لفيلم (٤-٢-٤) الذى واكب وصول مبارك للحكم.. وفى قصة هذا الفيلم ما يتقاطع مع قصة الثلاثين عاما التى قضاها فى الحكم.. الفيلم يحكى قصة شخص يرث ناديا مهما وكبيرا عقب وفاة رئيسه، كان يونس شلبى بطل الفيلم لا علاقة له بكرة القدم على الإطلاق ولم يكن فى طموحه يوما ما أن يتولى هذه المسئولية (ألا تذكرك هذه البدايات بشىء؟!)، بعد أن يتولى الرئيس الجديد مهمة النادى يلتف حوله مجموعة من المنتفعين بقيادة سمير غانم ويضم للفريق أشخاصا لا علاقة لهم باللعبة ولا يعرفون معنى الإخلاص وبمرور الوقت يتحول النادى بالنسبة لهم إلى (سبوبة)، يكاد النادى أن يضيع ولا ينقذه فى اللحظات الأخيرة سوى جيل جديد من أشبال النادى.. وبعد فوزهم وقفوا قائلين (إحنا لينا مطالب).

هل أعجبك الربط؟

هل بدأت تقتنع بأنه صحيح؟

إذن.. أرجوك أن تدعو من قلبك أن أكون مخطئا وأن يكون هذا الربط مجرد هلوسة.. تسألنى لماذا؟. لأنه فى فبراير الماضى وفى اليوم الذى أعلن فيه مبارك تخليه عن السلطة كان بدور العرض فيلم لكريم عبد العزيز اسمه (فاصل ونعود).

بوسطجى لديه أسلوب (١٦-١٠-٢٠١١)

هل إذا صمت تماما عن نقد المجلس العسكرى وملحقاته ستتحسن الأمور؟

أسأل نفسى.

طيب.. الكتابة تتحول بمرور الوقت فى نظر البعض إلى سبب رئيسى فى إشاعة الفوضى والوقيعة بين الجيش والشعب كما أنها لا تغير شيئا.

طيب.. يرى كثيرون أن الكتابة عن المجلس لا معنى لها لأنه سيغادر السلطة وأن نقد من هو فى وضع انتقالى أمر خسائره أكبر من مكاسبه.

أقول لنفسى أحيانا اليوم سأتخذ قرارا بالتوقف عن نقد المجلس لأنه يبدو عملا غير مفيد على الإطلاق وأنه ما الذى يمنع أن يجرب الواحد دعم المجلس؟. ولكن نفسى ترد على بكلام يصعب تجاهله..

تقول لى نفسى وهل المجلس بحاجة لمن يدعمه ويضرب له تعظيم سلام مجانى طول الوقت؟

أبدا.. لديه من هذه النوعية كثيرون.. فماذا فعلوا؟ وبماذا أفادوا المجلس أو البلد؟

هل بالفعل لا معنى لنقد من هو فى وضع انتقالى؟. أبدا.. إن الكتابة ونقد من سينقلنا إلى المرحلة القادمة وتنبيهه إلى خطورة ما يفعله أهم كثيرا من انتقاد من سيقود المرحلة القادمة، نقد من سيجرى عملية الانتقال سيوفر علينا جهدا وألما كثيرا، ليت من سبقونا كتبوا ينتقدوا الرئيس الراحل السادات وهو ينقل البلد فى يد مبارك، وليت أحدا التفت إلى أن مبارك أوقعنا فى مشكلة جديدة تضاف إلى رصيده عندما نقل السلطة لمن لم يجرب أن يتولاها من قبل.

طيب هل الكتابة والنقد سيقودان إلى وقيعة بين الجيش والشعب؟ أبدا.. أولا هناك قطاع كبير من الشعب لا يقرأ المقالات أصلا.. وهناك من يقرأ ويتأثر ولكن بينه وبين نفسه.. وهناك من يقرأ ويمصمص الشفاه على هؤلاء الكتاب اللى عايزين جنازة ويشبعوا فيها لطم.. وهناك من يقرأ ليطاردك عبر موقع الجريدة والإيميل والتويتر والفيسبوك ليقول لك أنت وأمثالك اللى خربتوها.. إذن هذه المقالات لا تغير شيئا فى الأغلبية على أرض الواقع (هذا بالنسبة للشعب)، أما بالنسبة للجيش فمعظم المقالات التى تنتقده تطالبه بأن يحافظ على تاريخه وهيبته والتفاف الناس حوله وتعزيز مكانته فى كتب التاريخ.. كلها مقالات تحاول أن تلفت نظره للشعب.. تعرض عليه شكاوى وتقدم مقترحات وتتبنى مبادرات وتخاطب الجيش مرة بلهجة الطبطبة ومرة بلهجة اليأس ومرة بلهجة الحزم وأحيانا بأسلوب ساخر.. مقالات جربت مع المجلس كل أشكال الكتابة التى ورثناها والتى اخترعناها.. الحق يا جيش الشرطة غايبة.. الحق مصابى الثورة.. خد بالك من الفلول.. ماينفعش نرجع للطوارئ.. لا يصح أن تعتدى على مواطن.. سيب الناس اللى ليها حقوق بقالها سنين مهضومة تتظاهر وتطالب بيها.. عندك مدنيين مسجونين فى السجون الحربية.. خد بالك كشف العذرية ده فضيحة هتشيلها لوحدك... من المستفيد قل لى من الزن على الجيش بهذه المطالب؟. أولا هذه ليست مطالب شخصية، وثانيا هى ليست اختراع شخص واحد فيحصد نجومية من انفراده بعرضها.. لكنها مقالات جماعية بهدف واحد وطرق عرض مختلفة تقول الكلام نفسه.. لن يستفيد كاتب منها فهو ينقل الرسالة، إذا أخذها الجيش بعين الاعتبار فالجيش مستفيد مثله مثل الناس صاحبة الشكاوى وعندما يتجاهلها الجيش سيكون هو من يصنع الوقيعة بينه وبين الناس بنفسه... إنها لحظة يبدو فيها الكاتب مجرد بوسطجى لديه أسلوب.

هل لا أدعم المجلس العسكرى كما ينبغى بصفته قيادة البلد فى هذه

المرحلة الحساسة؟. أبدا.. أنا أدعمه بأن ألفت نظره لبعض الأخطاء من وجهة نظرى المتواضعة وأضع له فى هذه المساحة يوميا مرآة ضخمة ليرى فيها نفسه بوضوح، أعتقد أن هذا أمر يدعم أى شخص فى العالم يحلم بالنجاح.

أفكر أحيانا فى تغيير الطريقة ودعم المجلس بالتصفيق الرنان أو بالصمت على أدنى تقدير.. فى كل مرة أكتشف أنها فكرة سريعة الذوبان بالضبط مثل الأقراص المنومة.

شهداء الشرطة (٢١-١٠-٢٠١١)

ترك أمر عودة الشرطة للوقت سيجعل العودة ممسوخة وسنحتاج ساعتها أيضا إلى وقفة لتصحيح الأمور فما مبرر تأجيل هذه الوقفة وتجاهلها الآن، ما المبرر خاصة وأننا نمتلك مناسبة لتصحيح الأوضاع وإعادة صياغة العلاقة بين الشعب والشرطة؟

قل لى لماذا تمر أخبار استشهاد رجال الشرطة اليومية مرور الكرام فى المواقع والصحف والبرامج؟ ولماذا يعتبرها البعض مجرد أخبار عادية وأن ما يحدث هو واجب الشرطة وهذه هى طبيعة مهنتهم، لماذا نكتفى بإلقاء الضوء على المتقاعسين والمفسدين وبقايا رجال فكر الداخلية القديم؟ أين من حواراتنا اليومية وحماسنا الكلام عن الضابط أحمد سمير رضوان الذى طارد مهرب مخدرات حتى قتله فقام ثلاثة من أقارب المهرب بذبح هذا الضابط وتعليق رأسه على باب مركز شرطة أطفيح (حسب التقرير المنشور فى بوابة الأهرام منذ عدة أشهر)، أين الكلام عن النقيب الشاب عمرو مسعد الذى اغتاله بعض الهاربين من السجون فى سوهاج منذ أيام عقب تعقبه لهم؟ أين الكلام عن جرأة عائلتين فى روض الفرج على اقتحام قسم الشرطة بالأسلحة الآلية وإسقاط ضحايا لأن أحد الضباط سحب طبنجة غير مرخصة من أحد أبنائهم، أين الكلام عن المجند هاشم أبو شعيشع الذى تلقى ٣ طلقات فى الرأس والفخذين وهو يطارد هاربا من سجن النطرون خطف طفلة ليتخذها كدرع بشرى ضد هجوم الشرطة عليه فى الإسكندرية؟

القصص من هذه النوعية كثيرة.

تسألنى ما الهدف من نشرها؟

أقول لحضرتك أنه من الإنصاف ومن سبل عودة الشرطة بشكل طبيعى أن يتوازن تسليط الضوء على الأقل بين من يتهربون من القيام

بواجباتهم وبين من يقوم بأدائها على أكمل وجه حتى لو كلفه ذلك حياته، لا تتوقع من الشرطة أن تعمل بكامل حماسها وهى ترى البعض يساوى بين نوعين من الضباط، هؤلاء الذين استشهدوا لم يتوقعوا أى تقدير لكنك ستجعل كثيرين زملاء لهم يتراجعون خطوة إلى الخلف وهم يرون (أنها مش فارقة وأنه ماحدش بيقدر وأن الناس معاهم معاهم عليهم عليهم وأن المخلصين مجرد استثناء ومحض صدفة).. أين الباعث على الإخلاص فى مثل هذه الأجواء، وما الذى يدفعنى لأن أقدم حياتى ثمنا لأمنك مادمت لا تقدر ذلك.

لا أقول إعملوا لضباط الشرطة تماثيل، ولكن مجرد تقدير أشخاص يطاردون بلطجية ومساجين هاربين.. مجرد التقدير والفخر بما يفعلونه أمر يؤدى إلى استمرار نجاحهم فى هذه المهمة.

ولكى أكون أكثر وضوحا علينا ألا نقع فى فخ التعميم وأن ندعم المخلص بالقوة نفسها التى (نجرس) بها المتواطئ.

كخطوة أولى علينا أن ننظر لقتلى الشرطة فى أحداث يناير من وجهة نظر مختلفة.. علينا أن نفهم الأحداث كما جاءت بالترتيب..

دعوات للخروج فى مظاهرات يوم الغضب كانت تحت شعار سلمية.

تكررت الدعوة ورافقتها خريطة عمل ولائحة استرشادية لم يكن بها أبدا أية دعوة لاقتحام أقسام الشرطة أو السجون.

لم يكن على لائحة دعوة الخروج فى هذا اليوم فكرة تحرير المحبوسين فى أقسام الشرطة بل كانت دعوة أكبر لتحرير وطن بالكامل محبوس.

كانت مظاهراتنا تصب بشكل تلقائى فى ميدان التحرير أيا كانت نقطة انطلاقاتها.. لم يحدث أن توقفت هذه المسيرات فى نقطة ما بعيدا عن الميدان وأعلنت غضبها.. كان الزحف واضحا باتجاه نقطة محددة.

إذن ما قول حضرتك عمن أخل بالخط الرئيسى للدعوة واقتحم أقسام الشرطة فى هذا اليوم؟

أقول لك أنا اللى كنت حضرتك هتقوله.. ناس تشعر بالغضب.. ناس لها أقارب محتجزون ظلما فى أقسام الشرطة.. ناس لديها ثأر قديم مع ضباط هذه الأقسام..

تمام؟

حضرتك تلتمس العذر لهؤلاء فيما قاموا به.. ولكن عليك أيضا أن تتفهم حالة من وقف يدافع عن قسم شرطة أو سجن (إذا كنا إحنا نفسنا عملنا لجان شعبية وطاردنا الناس اللى ماكناش عارفين هما مين وجايين هنا ليه).

هذا المجند أو الضابط الذى سقط قتيلا أثناء الدفاع عن مكان عمله شهيد..

إذا كنت حضرتك لا تعتبر جندى (قادم من الأرياف أو الصعيد ليلقى حتفه هنا وهو يدافع عن مكانه ضد أناس لا يعرف من هم وماذا يريدون) شهيدا، فعلى الأقل يجب اعتباره ضحية.. ضحية نظام مبارك الذى وضعه فى صدارة هذا المشهد الردىء بالأمر القسرى المباشر بينما النظام كله يختبأ خلفه فى قصور مكيفة.

هذه الأجساد كانت ضحية مرتين.. مرة عندما اختبأ خلفها النظام ومرة عندما اضطرت الجموع للعبور فوقها حتى تحرر البلد من النظام.

مرة أخرى.. وكبادرة لتقويم العلاقات علينا أن نتفادى جميعا التعميم تحديدا فيما يتعلق بالموت.. فبين قتلى الشرطة فى الثورة يوجد شهداء إن لم يكونوا شهداء الواجب فعلى الأقل هم شهداء سوء الحظ.

ميزو (٣١-١٠-٢٠١١)

دموع والد معتز شهيد الشيخ زايد كانت على حلم ظل يكبر أمامه يوم بيوم على مدى ٢٣ سنة وفى لحظة تحول إلى سراب.

دموعه كانت تشق القلب نصفين، رحل معتز بقطعة من عمر والده ربما هى القطعة الأجمل فى العمر التى لن يعوضها دستة أطفال يرزقه بها الله بدون مقدمات مثلما استرد معتز بدون توطئة تحمى القلب من ارتطام الوقوع من ارتفاع شاهق على أرض خشنة.

جرح والده لم يكن بحجم لحظة الفراق.. لكنه بحجم ٢٣ سنة من الذكريات.. فى كل التفاتة إلى الخلف جرح جديد.. فى صوته الذى سيغيب للأبد وهو منفعل مع ماتش كرة.. فى موسم امتحانات يشغل كل البيوت إلا هذا البيت.. فى خطوة معتز الأولى على الأرض.. فى التليفزيون المطرب الذى كان يحبه معتز.. هذا فيلم كان يجعل ضحكة معتز تجلجل.. فى هذا الشباك كانت وقفته المفضلة بقليل من النسكافية.. هذه أكلته المفضلة خلاص اتحرمت على البيت.. هذه صورته على البحر مع أصدقائه.. وهذه صورته فى عيد ميلاده الأخير.. فى هذا الركن حصل معتز على علقة محترمة طفلا مشاغبا لا يسمع الكلام ويصر أن يمشى حافيا فى عز السقعة.. هذه رنة موبايله ترن واحدة مشابهة بالصدفة فى مكان ما.. هذه فتاة كان قد لوح للأهل بإعجابه بها.. هذا صف بوكسراته وصف أسطواناته وصف كتبه القليلة إلى جوار الفراش وصف أحذيته المتراصة أسفل الدولاب وقد انطفأت ألوانها إلى الأبد.. أول يوم يصومه فى رمضان.. ذعره يوم ذبح الخروف فوق السطوح فى أحد الأعياد.. هنا رقد يوم عاد من المدرسة وحاجبه مفتوح فى خناقة.. هذه المستشفى التى تخلص فيها من اللوز التى كثيرا ما أمرضته.. هنا المسجد الذى كان يصلى فيه الجمعة دائما.. هذا طريق المقهى المفضل بالنسبة له هو وأصدقائه.. هذه ساعة يده التى حصل عليها هدية عقب تخرجه من

الجامعة.. هذا خاله الذى اختبأ عنده بعد شد وجذب مع والديه.. هذه رائحته تملأ غرفته بعد آخر مرة استخدم فيها إسبراى العرق النفاذ طيب الرائحة.. بتحب مين أكتر يا ميزو بابا ولا ماما؟. نفسك تطلع إيه لما تكبر؟. كلمنا لما توصل.. مبسوط فى شغلك الجديد؟. شد حيلك عايزين نفرح بيك.. أول يوم مدرسة وأول يوم جامعة وأول يوم عمل وأول مرتب وأول شكوى من العمل.. هذا بلد كان يقول دائما أنه يحلم بزيارته.. وهذا مذيع كان يكره طلته وهذا صحفى كان يجاهر باحترامه له وهذا جار كان يقول عنه إنه رجل طيب وهذه قريبة كان يتحاشاها لأن عينها وحشة.. هنا كانت جلسة استذكاره المفضلة.. هذه فرشة أسنانه تطل حزينة من بين بقية جيرانها.. هذا شامبو استحمام برائحة الفاكهة كان يفضله.. هذه رصة مشطه فرشاته وعلبة الجيل كما تركها آخر مرة.. أول كلمة نطقها طفلا.. سمع الفاتحة يا معتز لعمو.. هذا صوت مقرنه المفضل يهل من بعيد قادما من شقة أحد الجيران.. أول سؤال مر بخياله طفلا هو أنا جيت إزاى؟. هنا فى عمارة تحت الإنشاء شقة كان الأب يضع نظره عليها ليشتريها لمعتز ليتزوج بها.. هذا اللاعب الذى كان يعشقه معتز يمر بالصدفة بالقرب من والده (مش هتصدق أنا شوفت مين النهاردة).. هذا ترننج معتز منشورا فى البلكونة من يجرؤ على التقاطه من فوق الحبل قبل أن تأخذه رياح الشتاء بعيدا كصاحبه.

اعتذار إيه اللى الداخلية بتتكلم فيه؟

اعتذار لمن فاتهم تكريم الزمالك (٩-١١-٢٠١١)

(نشرت فى اليوم التالى على حفل المئوية)

اسمع شكوى كثيرين من كبار قدامى لاعبى الفريق وقدامى كباتن النادى فى مختلف اللعبات لم يتم توجيه الدعوة لهم لتكريمهم ولحضور احتفال المئوية.. الأسماء كثيرة ولن أقدم لهم اعتذارا بالمعنى المألوف بل سأروى لهم قصة ربما تخفف عنهم ألم التجاهل وكمان علشان يعرفوا الحكاية ماشية إزاى.

أصدرت كتاب اسمه «زملكاوى.. ألبوم مئوية الجماهير»، قبل أن يصدر الكتاب قررت أن أكون احترافيا فأرسلت نسخة من المسودة للدكتور شيرين فوزى بصفته رئيس لجنة المئوية ليراجع ما ورد به من معلومات وتواريخ وأسماء قدامى اللاعبين الموجودة أسفل كل صورة، كنت أرى أنها خطوة قد تضيف إلى محتوى الكتاب وربما تثقله بمعلومات أو أفكار جديدة، أرسل الناشر نسخة للدكتور شيرين فهاتفنى بعد يومين يمدح الكتاب ويطلب منى أن أمده بنسخة من بعض الصور النادرة الموجودة فى كتابى ليضيفها إلى موسوعة يقوم هو بإعدادها ففعلت بكل الحب، بعدها طلب منى أن أزوره فى مكتبه.

على باب النادى هاتفته ومعى الناشر فشرح لى كيف يمكن الوصول إلى مكتبه فى مبنى الإدارة، وصلنا ودخلنا بعد أن طرقنا الباب وكان الدكتور شيرين يجلس على مائدة الاجتماعات مع بعض الشخصيات، وقف مرحبا وقال لى «ده اجتماع لجنة المئوية تحب تشرفنا فيه ولا تستنانى؟»، خجلت من العرض فمن أكون أنا حتى أجلس على مائدة إعداد احتفال المئوية وفضلت أن أنتظر فى الغرفة نفسها على أحد المقاعد.

كان الحوار الدائر على مائدة الاجتماع محبطا بكل ما تعنيه الكلمة، واحتراما للرجل الذى فتح لى مكتبه لن أنقل ما جاء به.

المهم.. دخل سكرتير الدكتور شيرين المكتب فقال له بصوت عال: «باقولك إيه.. كان فيه واحد صحفى اسمه عمر طاهر كلمنى من على باب النادى وقال لى إنه جى لى المكتب.. بص عليه ليكون تاه فى النادى ولا حاجة».

كانت دهشتى كبيرة فوقفت قائلا « يا دكتور.. أومال على أساس إيه كنت بتوجهلى الدعوة علشان أحضر اجتماع لجنة المئوية؟. هو أى حد من الشارع معدى بتقعدوه معاكو فى الاجتماع ده؟ «، سرت كهرباء ما فى الجو واندهش الدكتور شيرين دون أن ينطق كلمة فقلت له: «أنا عمر طاهر اللى حضرتك باعت تدور عليه».

علت كلمات الترحيب والمجاملة للغلوشة على الموقف، ثم عاد الاجتماع للانعقاد كأن شينا لم يكن وظللت أنا والناشر ننتظر ونسمع ما يشنف آذاننا.

فى النهاية جمعتنا مع الدكتور جلسة جانبية تم الاتفاق فيها على إقامة حفل توقيع للكتاب فى النادى، للأمانة كان الدكتور متحمسا للفكرة ووعد بأن يوفر لنجاحها كل الإمكانيات المتاحة.

كانت القاعة الممنوحة للحفل رديئة للغاية، فتكفل الناشر بإعدادها وتهيئتها للحدث وأنفق مبلغا محترما، وفى الوقت المحدد دخل المستشار جلال إبراهيم ورفاقه، كانت مصافحتهم لى كأنهم يصافحون واحدا من المعجبين، جلسنا إلى المنصة ورأيت نظرات الاندهاش فى عيون المستشار جلال وكأنه يسأل (مين ده)، أمسك الدكتور شيرين بالمايك وقال نبدأ احتفالنا اليوم بمناسبة حصول الدكتور مصطفى المنيرى طبيب الفريق الأول على جائزة التفوق فى الطب الرياضى.

المهم..

احتفلوا به بالفعل على مدى ساعة ففكرت أن أنسحب من على المنصة لولا أن الإذاعى الزملكاوى الكبير كامل البيطار والذى كان مدعوا لحفل التوقيع وقف قائلا: «مش هنحتفل بكتاب المنوية؟»، فقال الدكتور كلمات مدح فى حق الكتاب والمؤلف لكن كان باديا على جيرانى فى المنصة أنهم تورطوا فى أمر لا يعرفونه فشكرونى على الكتاب وانسحبوا بعد قليل.

فى نهاية الندوة وجدت الناشر يقف مودعا الضيوف ثم التفت ناحيتى وسألنى: «هو مين هيحاسبنا على الفراشة والساوند والكراسى اللى كرموا بيها الدكتور المنيرى؟» فضحكنا واعتبرنا الموضوع انتهى.. لكننى قلت له: «ربنا يعدى المنوية دى على خير».

بعدها بأيام سمعت عن أن النادى تعاقد مع «دار المعارف» على تسويق المنوية، قلت لنفسى دار المعارف دار نشر كبيرة لكن إذا كانت قد فشلت فى تسويق إنتاجها الثقافى لكبار الكتاب اللى مش محتاجين تسويق أصلا مثل طه حسين ويحيى حقى وحسين مونس هتنجح إزاى فى تسويق منوية نادى كبير؟

بعدها سمعت عما جرى من مصانب فى حفل تكريم الرموز فى الأوبرا، ثم مهاترات الاتفاق مع نادى ليلعب ماتش المنوية وما صاحب التصريحات من ارتباك وبلبلة وقلة قيمة.

قبلها كان بالدكتور شيرين قد هدد على الهواء فى أحد البرامج الرياضية بأن الكاتب سوف تتم ملاحقته من قبل الشئون القانونية بالنادى لأنه استغل اسم نادى الزمالك فى ترويج الكتاب (كنت قد طلبت من الإدارة إرشادى إلى الطريقة المناسبة لتخصيص جزء من السعر لدعم النادى دون أن يهتم أحد)، وأضاف أن الكتاب (الذى راجعه بنفسه وأشاد به على الملأ) يحتوى على أخطاء تاريخية.. قلت للناشر سأرد

عليه فقال لى: «ما هو برده معذور يعنى كتابك انت بيوزع والكتالوج اللى هو عامله عن الزمالك ماحدش اشترى منه نسختين لدلوقتى»..
فالتزمت الصمت.

لكل هذا أدعو من تجاهله تكريم النادى فى المئوية أن يعرف أن الجمهور (صاحب المئوية الأصلى) يحفظ اسمه ويقدره ويحترمه، وأن الزمالك الحقيقى الذى سيكرمه موجود فى كل مكان فى الاستاد ما عدا المقصورة الرئيسية، فمنذ سنوات والزمالك حظه سيء فى شيئين.. مجالس الإدارة وصفقات الأفارقة.. فما بالك والزمالك يحتفل بالمئوية فى ظل مجلس إدارة إفريقى؟!

دولة القانون.. ودولة التت (١٢-١١-٢٠١١)

مستلقية ابنتى فوق ذراعى ما بين الصحيان والنوم (وهى الفترة المسماة بنوم الثعالب حيث يكون ملاك النوم قد فقد أكثر من ثلثى طاقته فى حربه ضد ابنتى فتظل متيقظة مع شعور عام بالتنميل قد ينسحب فى لحظة مباغتة فيصبح الاستيقاظ فى أفظع حالاته)، كنا نتابع سويا برنامجا عن نجاح دولة القانون فى عزل المنتمين للحزب الوطنى بقوة منصة القضاء بعد أن عجز المجلس العسكرى عن تطبيقه بقوة منصات الثورة، هذا هو الانتصار الأهم لدولة القانون من بعد الثورة إذ جاء الحكم ثوريا يغلق الباب أمام محاولات الالتفاف على العزل وأمام كل الثغرات القانونية المحتملة إذا ما نجح مرشحو الحزب المنحل فى الانتخابات القادمة (بقدر ما شهدت الأيام السابقة حكايات عن نواب الحزب السابقين الذين احترموا أنفسهم واحترموا إرادة الشعب والثورة فابتعدوا عن الترشيح بالرغم من عدم وجود قانون صريح يمنعهم من ذلك.. بالقدر نفس كانت البجاحة مستحكمة فى دوائر كثيرة من بينها فى مدينتى سوهاج حيث ترشح ثلاثة نواب سابقين وعلقوا لافتاتهم فى كل مكان.. بالمناسبة هناك اثنان منهم فى السجن حاليا وكان ترشحهم إمعانا فى البجاحة)، وكعادة كل البرامج الحوارية انزلق الحوار إلى مناطق مملة لا يميزها سوى أن كل واحد من الضيوف تحول إلى ميكروفون يزايد على قوة الميكروفونات التى تشاركه الحوار فلم يعد واضحا «مين بيقول إيه»، فى الوقت نفسه بدأت ابنتى تنزعج من هذا الضجيج وكان لا بد من الهروب إلى محطة تساعد ملاك النوم فى أداء مهمته، عادة ما يلجأ الواحد إلى محطات الأطفال التى تبث أغنيات هادئة أو موسيقى ناعمة على خلفية من الرسوم المتحركة مثل بيبى تى فى، حولت المحطة فتوقفت بالصدفة أمام أغنية شعبية فاحشة وصاخبة.. كان صوت المحطة نفسه أعلى من حفلة الميكروفونات السابقة.. فانتفضت ابنتى على صوت الأغنية التى تقول «اللى تهز شمال ويمين.. بالعباية والناس ماشيين..

دى عباية تخلينا نحتار وعباية تدخلنا النار».. صدمتى جعلتنى أتوقف لثوان أمام المحطة لأعرف من المطرب ومحطة إيه دى (خالد رجب إذن يغنى على محطة جديدة اسمها المولد)، خلال هذه الثوانى كان ملاك النوم قد انسحب من شارع قصر العينى كله فوقفت ابنتى فوق ذراعى بعفوية وعنف وهات يا رقص ولا الموديل الذى يشارك الأستاذ خالد رجب فى غنائه لقصيدة (العباية)، رقص ابنتى الهيستيرى الخالى من أى توافق عصبى عضلى والمليء بالتلطيش على الوجه والعين كان مفاجئا بحيث أفقدنى السيطرة على الموقف، فى مثل هذه اللحظات أخاف عليها من هذا التلوث السمعى البصرى فأمسكت الريموت وهربت من المحطة لأخرى فوجدت الأستاذ عماد بعرور بكل ما وهبه الله من طرانشات فى حنجرته يغنى «البعد عنها شحططه والقرب منها مرمطة « الحقيقة الكليب كان آخر «مرمطة» بالفعل والمحطة اسمها شعبيات، على بعد ضغطة أخرى كان الأمر قد أصبحت أسوأ على محطة اسمها «التت»، ثم أسوأ على محطة اسمها «دربوكة»، كانت ابنتى فى قمة الانفعال والمرح مع كل ضغطة على الريموت تلقى بنا فى واحدة من هذه المحطات الجديدة التى تخصصت فى نوع غريب من الفن وأرجوك لا تسميه فن شعبى فهناك فرق بين الغناء الشعبى والغناء الواطى، هناك فرق بين الطعم البلدى وطعم عربات الكبدة الملوثة، تماما مثل الفارق بين محمد رشدى وأحمد عدوية وعبده الإسكندرانى وحفنى أحمد حسن وبين البعد عنها مرمطة.

أندهش كثيرا من قدرة وزير الإعلام على غلق قناة الجزيرة مباشر مصر لأنها تهدد الاستقرار (سيبك من مبرر أن ورق ترخيصها مش جاهز.. الكلام ده تقوله فى جرنان المساء) والتلويح بإغلاق أون تى فى والتحرير لأنهما لا يعملان حسب الترخيص الصادر لهما، وفى الوقت نفسه يشهد عهده انطلاق هذه القنوات الكارثية.. ما هو الترخيص الذى حصلت عليه وتعمل بموجبه، وهل يرى سيادة اللواء وزير الإعلام أن

التت والمولد وشعبيات يدعمون الاستقرار؟ يعنى هيه ناقصة يا سيادة الوزير؟ فى عهد حضرتك أصبح الفضاء محملا بقنوات إسلامية تحارب المسيحيين وقنوات مسيحية تحارب السلفيين وقنوات مسفة تحارب أن يتطور وعى الناس ويأخذه خطوة للأمام؟

يا سيادة الوزير حرام عليك، ابنتى ذات التسعة أشهر لم تعد مقتنعة بقنوات نيكولدوين أو بيبى تى فى ولا حتى كراميش، وأصبحت كلما ضاق خلقها وعكننت علينا فى البيت بوصلة من البكاء والزن والصراخ، أصبحت لا تستجيب لأى محاولات للتهدئة لا بالهدهدة ولا الرضاعة ولا بالصلاة على النبى والتكبير فى أذنيها، أصبحت لا تروق إلا إذا وضعتها فوق كتفى أمام محطة المولد بصوت عالى فتضحك وترقص وتتقافز بفرحة عارمة إلى أن يهدها التعب فتنام، هى ترقص فوق كتفى وأنا أتحسبن فيمن جعل مزاج ابنتى الرضيعة مزاج خدامات.

٢٠٠ إسبرطى (١٤-١١-٢٠١١)

أعلنها المجلس العسكرى صريحة لو تجاوز عدد القتلى على هامش الانتخابات البرلمانية القادمة ال٢٠٠ نفر فسيضطر إلى إيقاف المباراة واعتبار نفسه فائزا ٢ ـصفر حسب قوانين الفيفا.

أكثر من ٢٠٠ قتيل سيكون العيب قد عدى المجلس العسكرى ونطر، وسيكون الشعب هو المخطئ إذ لم يمنع الناخبين من الدخول إلى اللجان بالشماريخ وبناء عليه لا هو يستحق الديمقراطية ولا هو يستحق ديكتاتورية ما قبل الثورة وسيضطر المجلس لإعلان هبوط الشعب المصرى إلى دورى المظاليم واتفضل حضرتك قابلنى إذا استطاع الشعب أن يصعد مرة أخرى.

الـ٢٠٠ قتيل عدد يمكن تحمله هكذا يرى المجلس العسكرى الذى اختار العدد بعد أن قام بدراسة سرية لميزانيته واكتشف أنه يستطيع بتكفل نفقات جنازة ٢٠٠ مواطن فقط على أن تكون الجنازة كومبو (صوان فاخر من قماش الخيامية مزود بصور للكعبة و١٥٠ مقعد تنجيد أفرنجى ومقرئ من الشئون المعنوية ومواد تموينية تكفى لأن يحصل كل معزى على عدد ٢ فنجان قهوة مضبوط و٢ شاى فتلة سكر برة وزجاجة مياه معدنية متبرشمة)، هكذا ضبط المجلس أموره وكان واضحا مع الشعب أكتر من ٢٠٠ قتيل ماليش دعوة.. المشكلة أنه لم يحدد هل الـ٢٠٠ قتيل دول جملة ولا قطاعى؟. يعنى ٢٠٠ فى الدائرة الواحدة على القوائم والفردى أم ٢٠٠ على الفردى فقط؟ و٢٠٠ فى الدائرة الواحدة ولا فى إجمالى الدوائر؟ وهل التارجت ٢٠٠ فى كل ليفيل من الانتخابات أم أن الـ٢٠٠ مطلوب جمعهم على مدى المراحل الثلاثة؟ وهل لو قتلنا ١٥٠ المجلس هيتكفل بقتل الـ٥٠ الفاضلين لضمان نزاهة الانتخابات؟ لم نعرف أيضا هل الـ٢٠٠ مشكلين رجالة وستات؟ ولا الـ٢٠٠ دول ٢٠٠ عفريت يركبونا فى أيامكوا السودا اللى مالهاش ملامح؟

المجلس ينظر للشعب باعتباره أرقام، كان النظام السابق يفعل ذلك أيضا وكانت الثورة تحلم أن نتحول من أرقام إلى بنى آدميين لكل واحد اعتباره وقوة حضوره التى تتجاوز فكرة الرقم القومى، ولو كنا فى بلد آخر وقال الحاكم أنه يضع تارجت لضحايا الانتخابات ٢٠٠ مواطن لكان هذا هو التصريح الأخير فى حياته، فهو بهذا التصريح يتوقع العنف ويصرح به ضمنيا ويهدد فى متن التصريح بأن يكون رده عنيفا إذا قتل ٢٠٠ شخص، يعنى إذا مات خلال الانتخابات ١٩٩ شخصا ستكون الانتخابات ناجحة ونموذجية وتاريخية أيضا، وإيه يعنى ١٩٩شخصا يضحى بهم الوطن حتى يستقر؟!

القوى السياسية (لا سامحها الله) تتوقف معترضة أمام ما يتعارض مع مصالحها، هكذا ببساطة وبمنتهى البجاحة، إذا كنا نلوم على المجلس إنه أجهض الثورة فلا بد أن تتسع مساحة اللوم أمام من يشربون بمزاجهم مبادئ الثورة أمام حصة مقاعد فى البرلمان ثم يجترون مبادئ الثورة كالجمال وتزبد بها أفواههم إذا كان فى الأمر إعاقة سياسية.

تهدد بمليونية اعتراضا على الوثيقة بحجة الثورة ولم تفكر فى التلويح بمليونية اعتراضا على شباب الثورة الملقى به فى السجون العسكرية، تعترض بحجة الثورة على تقسيم الدوائر بطريقة ستقوى الفلول ولم تعترض على تصريح فاضح للمجلس يحدد عدد قتلى الانتخابات ويهدد فى حالة تجاوز هذا العدد بإلغائها.

القوى السياسية بتاكل عيش ولا أرها تفعل أمرا غير ذلك.. هذه وجهة نظرى التى تقريبا لا أستثنى منها أحد، ومعظم الأسماء التى نراها على الساحة تتقافز من شاشة إلى شاشة أصبحت مجرد نسخة معدلة من رجال النظام القديم، لقد أصبحت بياناتهم وتصريحاتهم تصيبنى بالامتعاض وتجعلنى أتراجع عن مبدأ نبذ فكرة القوائم السوداء.. فالقائمة الآن أصبحت جديرة بالتفعيل بعد أن انكشفت وجوه كثيرة بمرور الوقت والأحداث.

هذه ثورة الشباب والشعب وهم الذين يدفعون ثمنها وحدهم أما المجلس والقوى السياسية فهم آخر من يجب أن يتصدر المشهد بعد أن أثبتوا فشلا ذريعا، الأول فشل فى إدارة البلاد وفى ألعابه السياسية الساذجة وتوريطه لنفسه بنفسه فى مهاترات، والثانى بأنه يستخدم الثورة كورقة الجوكر كلما اقترب من الهزيمة أثناء اللعب وكلما شعر بأن المكاسب المتوقعة فى طريقها للضياع سحب الجوكر ونزل به على المنضدة.

تلويح المجلس بأن القتلى يجب ألا يزيدوا على الـ٢٠٠ خلال الانتخابات هو تصريح يلخص تجربة المجلس العسكرى فى حكم مصر، أما صمت القوى السياسية أمام هذا التصريح فهو تطبيق فاضح لقاعدة: «السكوت علامة الرضا».

برما ومليونية الجمعة القادمة (١٥-١١-٢٠١١)

قلت له: (ما رأيك يا برما فى دعوة الإسلاميين للنزول الجمعة القادمة؟)، فقال: فكرة المبادئ فوق الدستورية كانت فكرة مرفوضة من الإسلاميين بحجة نتيجة الاستفتاء، حاربوها بشدة وفجأة صمتوا تماما نتيجة صفقة ما تحولوا بعدها إلى دعم المجلس العسكرى بكل قوة حتى لو كان على حساب الهجوم على الثورة وشباب الثورة، كان دعمهم للمجلس رشوة سياسية رخيصة ومفضوحة فتجاهلوا كل ما جرى فى الشهور السابقة وابتلعوه من أجل أن يشد المجلس الرحال بالبلد فى اتجاه الانتخابات التى يراها الإسلاميون مضمونة، أصبح الإسلاميون والجيش إيد واحدة، ثم شرب الإسلاميون المقلب عندما خرجت فكرة الوثيقة إلى النور واعتبروها تهدد طموحاتهم واعتبروا المجلس العسكرى حليف الأمس عدوا لهم فانقلبوا عليه وقرروا أن يحاربوا وجوده الذى دعموه بفجاجة على مدى الأشهر الماضية.

طلبت منه أن يوضح أكثر فقال: الإسلاميون شعروا بالخطر على مصيرهم السياسى ويعترضون على الوثيقة لا لأنها تمنح العسكر صلاحيات مبالغ فيها.. ولكن لأنهم يتصورون أن هذه الصلاحيات ستعوقهم عن أن يكتبوا الدستور على طريقتهم وتشكيل الحكومة بمزاجهم، يحاولون أن يهربوا من صياغة أساس مبكر لكتابة الدستور ويحاولون تأجيل معركة الصياغة لما بعد الانتخابات حتى تكون لهم الغلبة فى البرلمان فيديروها وهم أصحاب الأغلبية فينفذوا ما يحلمون به.

قلت له: (ألا ترى نفسك متجنيا عليهم.. أليس ممكنا أن تكون نواياهم صادقة ويكونوا يفعلون ما يفعلونه من واقع محبتهم للبلد؟).. فقال برما: الإسلاميون لا يحبون هذا البلد ويتعالون عليه طول الوقت.. يتعالون على مفكريه ومناضليه وشبابه وفنونه وآثاره وحياته الاجتماعية وبهجته وطريقته فى التدين ومحبته لآل البيت وتسامحه ووسطيته والتراحم

الذى يعشش فى قلوبهم، الإسلاميون يريدونه وطنا آخر على مزاجهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، يعتقدون أنهم يسيطرون على شعب متدين بطبعه وينسون أن هذا الشعب الذى كان أول الموحدين فى تاريخ البشرية متدين لكنه يكره من يفرض عليه وصاية دينية ويحب من علماء الدين من يلهمه الأنوار ويكره أولئك الذين يكفرونه، ينسون أن الشعب قد ينخدع فى المظاهر لفترة ويحترمون بحكم تدينهم الفطرى أصحاب اللحى والملتزمون لكنهم أشد تربصا بهذا النوع من غيرهم فإذا ثبت أنهم بيتحاموا فى اللحية مثلما يتحامى الضابط فى بدلته فلا لحية ولا بدلة، أعرف أن بينهم رجالا يطيبون الجروح ويمسون القلب وهم فى حد ذاتهم أدلة على وجود الله.. بينهم من يكاد أن يضىء من فرط صفاء روحه.. بينهم من نتونس بهم فى هذه الأيام الصعبة، لكننى أتحدث عن أولئك الذين يرون أن تطبيق شريعة الله لا يتناقض مع ألعاب شيحه وحركات لاعبى السيرك والشقلبة ما بين الإفتاء بتحريم المظاهرات والخروج على الحاكم ثم الدعوة لمليونيات تسليم السلطة هكذا دون خجل وكأنهم يؤمنون أن الناس مش واخده بالها والحقيقة أن الناس (بتعمل إنها مش واخدة بالها) لكنهم على درجة عالية من اليقظة تحديدا فى هذه الأيام.

قلت له: (طيب هتنزل الميدان يوم الجمعة؟)، فقال: أنزل الميدان كل يوم وسأظل أفعل حتى أرى الثورة تسير على قدمين وتخطو باتجاه ما نحلم به، لكننى فقدت ثقتى فى كثيرين من السياسيين المتأسلمين يتصدرون المشهد ولن ألبى يوما دعوة هم أصحابها بخلاف أنهم معترضون على الوثيقة كمبدأ بينما أنا متمسك بوجود واحدة تحمى البلد من أن يكتب دستورها أولئك الذين يحرمون ويحللون على مزاجهم.. متمسك بالوثيقة وإن كانت لى تحفظات عليها.

قلت له: (مش فاهم)، فقال: فيما يتعلق بميزانية الجيش فلا أجد غضاضة فى أن تكون ميزانية الجيش غير معلنة وأثق فى أن مؤسسة

القوات المسلحة بها من الشرفاء القادرين على محاربة أى فساد بهذا الخصوص.. كما أن ميزانية الجيش ليست هى قضيتى فى هذه الأيام أو فى الأيام المقبلة حتى أجعلها عثرة فى طريق خطوة للأمام السؤال هل المهم هو علنية الميزانية ولا وجود مراقبين لها؟ أما طريقة تشكيل لجنة الدستور فهو أمر يسهل مناقشته وتعديله والمناقشة والمواجهة أشرف كثيرا من الهروب وأكثر وطنية من الانسحاب، أما أن تمنح الجيش سلطة الحل البديل فى حال عدم استطاعة اللجنة التأسيسية كتابة الدستور فهو أمر مرفوض تماما ولدينا`خبرة سيئة مع بتوع القانون فى المجلس القادرين على تحويل استفتاء على الدستور إلى استفتاء على شرعية المجلس فى مكالمة تليفون والاستهزاء بمن قالوا نعم ولا، ومهمة من يناقش الوثيقة أن يجد بدائل بعيدا عن العسكر وألا يضع فى اعتباره رضا تيار أو غضب تيار آخر، عليه أن يضع معيار احترام إرادة الشعب فى المقام الأول، وكلى ثقة فى أن القائمين على الأمر قادرون على معالجته بحكمة وبعيدا عن الشبهات.

قلت له: (طيب ماذا إذا تضخمت الشبهات وضاعت الحكمة وفشلوا فى الأمر؟) فقال: إذا فشلوا فى ذلك فالنزول سيكون حتميا ضد السلمى والعسكر والإسلاميين والليبراليين وكل من حصل على فرصته كاملة فى الشهور الماضية فتلاعب بنا.

حددها ماتعرضهاش

قال اللواء الفنجري: «إن الشعب المصري يرى ما يحدث في مصر أهدافا تسعى إليها جهات كثيرة كلنا يعلمها دون أن نحددها»، وأنا أترجاه أن يحددها حتى يرحمنا ولا المجلس قادر فقط على تحديد أن ٦ إبريل تتلقى دعما خارجيا (الأمر الذى نفته التحقيقات الرسمية) أو تحديد أن الاستفتاء كان على شرعية المجلس لا على مواد دستورية وتحديد مواعيد لتسليم السلطة ثم التأخر فى تنفيذها علشان صلاح سالم واقف؟!

أقول لحضرتك كيف يرى الشعب المصرى ما يحدث؟ فصيل يرى أن وراءه الفلول الذين تراخيتم فى إبعادهم، ورجال النظام السابق الذين تساهلتم فى التعامل معهم وعملتوا لهم خاطر وتركتوهم يصطادوا فى الماء العكر انتقاما مما جرى وسيجرى لهم، وفصيل يرى أن وراءه البلطجية الذين عجزتم عن التصدى لهم وتصديتم ببراعة للشباب الأعزل فى كل مكان وتركتوهم يهتكون عرض الوطن فى كل موضع بينما اكتفى البعض بهتك عرض الثائرات بالكشف على عذريتهن، وفصيل يرى أن ما يحدث هو توطئة لإطالة عمر الفترة الانتقالية وإرغام الشعب على التمسك ببقاء المجلس العسكرى فى الحكم أهو أرحم من المجهول الذى يواجهونه، وفصيل يرى أن الثورة لم تكتمل ويبحثون عن منفذ ينقذون منه ثورتهم.. أما لماذا لم تكتمل فلأن المجلس لم يرد لها ذلك.

لا الانتخابات ولا تغيير الحكومة ولا مكالمات ما بعد منتصف الليل التى يواجه فيها اللواء الفنجرى تغطية القنوات للأحداث بمفرده خارجا من فكرة أن اللى فى الميدان دول مش شباب ٢٨ يناير الشريف إلى فكرة أن اللى فى الميدان دول أصلا مش مصريين، ولا مسكن من السابق ذكرهم سيحل المشكلة، وأصبحنا جميعا الآن فى حالة لا بديل فيها عن ثورة صحيحة تتعلم من أخطاء الماضى، ثورة بقيادة واضحة من أسماء بعيدة تماما عن الأسماء التى أخذت فرصتها كاملة فى

الشهور الماضية فأضاعتها وأضاعتنا، ثورة بقيادة بعيدة عن أصحاب الاحتياجات الذهنية الخاصة المشغولين بالبرلمان وتخوين الآخرين وبرامج شفاهية مضحكة للوصول لكرسى الرئاسة، يخطئ من يظن أن إخماد الأصوات التى انفجرت من جديد سيقود البلد للاستقرار، فالعكس هو الصحيح لأن ما نحن فيه سيقودنا إلى كارثة.. صحيح أن هناك تغيير حدث بعد ٢٥ يناير لكنه بكل المقاييس تغيير للأسوء، لقد من الله علينا بفرصة ثانية لتصحيح الأوضاع.. ومع كل احترامى لمن يحمل الجنسية المصرية فإن كل الأفكار والعقول التى قادت البلد فى السنوات الماضية لا بد أن تبتعد عن الصورة، وسياسة الترقيع المتبعة حاليا لا بد أن تنتهى، وتعالى القيادات الرسمية علينا وعلى ما يحدث وترفعها عن التعليق أو التوجيه يجب أن ينتهى، لا مجال لإنقاذ البلد مما هى فيه إلا بثورة جديدة بقيادة واضحة بميثاق ثورى له قوة القانون بإجراءات استثنائية بدعم حقيقى للتغيير بإعلام جديد، وأيا كان المتسبب فى أحداث التحرير بالأمس علينا أن نشكره فقد أحيا الثورة من جديد سواء كان يقصد أو لا يقصد.

(نشر هذا المقال مع بداية أحداث محمد محمود)

خليك قاعد (٢١-١١-٢٠١١)

هل رأيت جثة الشهيد التى تم سحلها من ياقة القميص إلى مقلب الزبالة؟ يوما ما سيكون لديك حق مسلوب وستنزل للمطالبة به أمام مقر عملك أو أمام مكتب عميد كليتك وستتعرض للموقف نفسه، سيتم سحلك إلى أقرب مقلب قمامة حيث يؤمن رجال الأمن فى مصر سواء كانوا شرطة عادية أو عسكرية أن هذا هو المكان الذى يليق بمواطن مصرى يطالب بحقه.

خليك قاعد وسيتم سحلك يوما وإلقاؤك على جنب مثلما نفعل مع أى كلب دهسته سيارة على الطريق السريع، أو سيقف ضابط شرطة ملازم أول يصوب فى وجهك بندقيته بجسارة ليصيبك بسهولة كونك أعزل ومن حوله الجنود يصفقون له (جدع يا باشا جت فى عين الواد)

خليك قاعد والبلد تضيع بقوة التواطؤ والمصالح والإدارة السياسية الغبية للأمور، خليك قاعد فى ظل حكومة ومجلس عسكرى يشيد بجهازه الإعلامى وبماسبيرو الذى حرض الشعب ضد المتظاهرين الأقباط.. يمدحون أداءه ويفخرون به بالرغم من كل ما شاهدناه وبالرغم من إدانة لجنة تقصى الحقائق الواضحة لماسبيرو ووزيره ومذيعيه.. ومع ذلك لم يفكروا فى محاسبة من تمت إدانته بلجنة رسمية ويحكمون بالحبس على نشطاء بسبب شهادة من كاتبة فى جريدة تابعة لحزب معارضة ينتمى للجنس الثالث.. يطرمخون على تقرير اللجنة المحترمة ويحبسون بناء على كلمات واحدة شغلانتها الرئيسية منسقة أفراح وحفلات.

خليك عايش وقاعد فى ظل حكومة لا تشيد بإعلامها فقط ولكنها تشيد أيضا بجهازها الأمنى وتمدح التزامها بضبط النفس وكأنها لا ترى الدماء التى تغطى هذه النفس وتطرطش عليها من عشرات الجثث ومئات المصابين لكنه دم بلا قيمة دم من يسحبونهم ليلقوا بهم فى مقلب الزبالة.

خليك قاعد مخلص للحزب والجماعة والشيخ والطموح السياسى أكثر من إخلاصك لهذا البلد.. حرم الله الدم وقتل النفس والظلم لكنك تضع إلى جوار تعليمات الله تعليمات القوى السياسية والحزب والمجموعة التابع لها.. من فضلك ضع تعريفا لهذا الأداء، خليك قاعد خايف على البورصة.. فلتكسب أموالا كثيرة ضعها فى جيبك واقفل عليك باب بيتك ولتشتعل الدنيا بس حاول تتأكد قبل ما ترمى زبالتك أن المقلب يخلو من جثث شركاء لك فى الوطن، خليك قاعد خايف على السياحة حتى تصبح السياحة الوحيدة المتاحة فى البلد هى زيارة مقابر شهداء الثورة، خليك خايف على الانتخابات حتى تصل إلى مقعدك فتجد نفسك نائبا عن دائرة كلها أرامل ويتامى ومساجين وشباب بعين واحدة.

خليك قاعد تهاجم من نزل الميدان وتتورط فى ترويج اتهامه بالبلطجة والعمالة وأنت مستنى باب الشقة يخبط معلنا وصول أوردر البيتزا الذى طلبته، خليك قاعد أمام شاشات التليفزيون تحب وتكره وتتعاطف ولا تطيق وتحترم وتهاجم حتى تمل من الموضوع فتنتقل إلى محطة تعرض فيلما كوميديا تافها.

خليك قاعد براحتك لن يطلب منك أحد شيئا.. لكن إذا لم ينجح من نزلوا التحرير فى مهمة تغيير الواقع المشوه الذى نعيشه فلا تلمهم على ذلك وأرجوك لا تلومن إلا نفسك.

المؤامرة (٢٣-١١-٢٠١١)

فى الرابعة من صباح أمس كنت متمسكا برأيى بأن الشباب الموجود فى شارع محمد محمود أبطال لأسباب كثيرة لكننى تساءلت عن جدوى استمرار تشجيعهم ودعم حماسهم حتى يستشهدوا من أجل بلد خلدت إلى النوم منذ أكثر من ثلاث ساعات.

لم أصدق أن هناك أحد (جاله نوم) فى هذه الليلة، لكننى اكتشفت أن كل من بيده أن ينقذ هؤلاء الشباب من الداخلية ومن غضبهم ذهبوا إلى النوم بعد أن قام كل واحد (بلم العدة بتاعته) الجيش والنخبة والإعلاميين والأحزاب والقوى السياسية والبرامج التى أسهبت فى التحليل والتنظير على هامش الدماء المهدرة، ظللت حتى الصباح أتصل بمن أعرفهم وكلما وجدت أحدهم نائما كنت أقسو عليه وأفسد منامه.

الداخلية غدارة وتستنزف هؤلاء الشباب وتضخم رغبتهم فى الثأر فى معركة غير متكافئة، والضحايا لا تتوقف عن السقوط ولا نملك شيئا حيالهم سوى الدعاء، نجحت الداخلية فى إثارة غضب الشباب منذ اللحظة الأولى واشتعل الموقف ثم انشغل الناس كالعادة بتوافه على هامش الحدث (مين اللى ضرب الأول الجيش ولا الأقباط.. هما رايحين ناحية الداخلية ليه؟) دون أن يهتم أحد بإنقاذ الشباب بالرغم من سهولة الأمر، فالجيش الذى وضع حواجز تحمى السفارة الإسرائيلية كان يستطيع أن يضع ما يشبهها ليغلق الشوارع المؤدية للوزارة، أو من الأول خالص.. الـ ٢٠٠ مصاب بتوع الثورة كان فض اعتصامهم بزيارة من قيادة تابعة للقوات المسلحة أفضل وأهون من فض اعتصامهم ب ٥٠٠٠ جندى أمن مركزى، أيقظ غشم الداخلية وتعالى الجيش المارد النائم فى نفوس كثيرين فتجمعوا دفاعا عن هؤلاء الضحايا وثأرا لهم فورطوهم فى مذبحة من طرف واحد كان ممكنا أن تنتهى بأقل عدد من الضحايا لولا مشاهد سحل المتظاهرات من شعورهن على الرصيف

وإلقاء جثث الشهداء فى الزبالة أو فوق بعضها فى ركن غارق بماء المجارى على أقل تقدير، اشتعلت نيران الثأر مجددا وتوسط الحكماء (وهذه شهادتى التى حضرتها بنفسى) لعقد هدنة ووقف للعنف بين الداخلية وجموع الغاضبين وعاد الجميع إلى مواقعهم فى الميدان إلا أن الداخلية نقضت العهد وبادرت بالضرب من جديد مع فجر اليوم التالى فخرجت الأمور عن السيطرة.

اليوم أصبح حتميا أن نرى القيادات الحالية موجودة مع مبارك فى القفص نفسه بتهمة قتل المتظاهرين والتمثيل بجثثهم والتنكيل بمصابيهم وتعريضهم هم وكل من يعيش فى محيط ميدان التحرير للموت بغازات سامة محرمة دوليا وبقنابل وقعت كل دول العالم على معاهدة لعدم استخدامها ما عدا مصر وأنجولا وكوريا الشمالية وسوريا والصومال.. قائمة مخزية انضمت لها مصر.

الموضوع أكبر من صدام بين الداخلية والمتظاهرين، هناك مؤامرة كبيرة لا أفهم من خلفها ولا ما الذى يهدف إليه، الجيش كان قادرا على حماية الميدان لكنه لم يفعل.. لماذا؟ والشرطة العسكرية والأمن المركزى قاموا أول أمس بإخلاء الميدان كله فى ١٠ دقائق ثم تراجعوا وتركوه مجددا للمتظاهرين.. لماذا؟ تصريحات متناقلة لمنصور العيسوى يقول أنه لم يعد يدير الداخلية منذ أربع وعشرين ساعة وأنها مسئولية لواء جيش الآن.. ما هى حقيقة هذا التصريح وإذا كان صحيحا فماذا يعنى؟ النظام كله يوحى للجالسين فى بيوتهم أن المتظاهرين يريدون اقتحام الداخلية.. هناك خمس شوارع تؤدى للداخلية لماذا اختار المتظاهرون أبعد واحد؟. وإذا اختاروه وفشلوا فى اقتحامه على مدى يومين فلماذا لم يبحثوا عن شارع أو مدخل آخر؟ كل ساعتين يصدر بيان أو تصريح يقول إنه تم توجيه أوامر للداخلية بعدم إطلاق النار.. فمن هذا الجبار الذى يرفض هذه الأوامر العليا ويعاندها ويستمر فى القتل؟. من هو ولماذا يكسر

الأوامر ولمصلحة من؟ البلد التى كلما ظهر مسئول حكومى قال إنها على شفا الإفلاس كم مليونا صرفتها لشراء هذه القنابل.. ومن الجاحد الذى كان مشرفا على اختيار هذه النوعية بالذات؟. ولماذا استنزفت الداخلية الجزأ الأكبر من ميزانية الدولة فى الفترة الماضية فزودت رجالها بكل ما يحلمون به من زيادة فى الأموال وقنابل مميتة وسامة؟

كل من فى السلطة الآن متهم فإن لم يكن متواطئا فهو على الأقل ثغرة تنفذ منها كراهية مجهولة للبلد.

خلاط السوائل يا ضنايا أنت (٢٧-١١-٢٠١١)

عندما كتبت منذ عدة أيام على تويتر «صوتك مع مين.. الوغد.. الوغد.. قلبك مع مين.. الوغد.. الوغد» قلت هناك كثيرون سيقاطعوننى بعدها مثلما قاطعت أنا موقع جريدة اليوم السابع الذى يجبرنى على الاستماع إلى هذه الأغنية كلما دخلت عليه، موقع الزميلة اليوم السابع كان هيجننى يعنى حضرتك تبقى قاعد بتقرا على الموقع خبرا عن كمية الفلول الموجودة فى قائمة الوفد وفى الخلفية الأغنية الإعلانية شغالة فتشعر على رأى اللمبى أنك أمام صينية كنافة محشية طرشى، كتبت الأغنية بعد تعديلها على تويتر فانتشرت سريعا وأسعدنى أن تكون هذه التويته فرصة لأخبرك يا صديقى من خلالها أن الفنان محمد نوح يبدى استياءه الشديد وغضبه من استخدام هذه الأغنية دون مشاورته أو موافقته أو استئذانه خاصة أنه كان قد أهدى بها حزب الوفد أيام فؤاد باشا سراج الدين (والكلام نقلا عن ابنته الفنانة سحر نوح التى طالبتنى بأن أنقل هذا الاستياء للناس).

الفكرة فى تلك المقدمة الطويلة هى أننى كنت مترددا فى السخرية من الرموز الانتخابية المطروحة على الساحة خوفا من أن يكون أحدها يمثل مرشحا تحبه فتعتقد أننى (بالقح عليه)، لكن بما أن الناس تستوعب جيدا من المقصود بالنقد فلا مانع من ذلك خاصة وأن الرموز الانتخابية الفاضحة المختارة دليل فاضح على أننا نعيش فى عالم ثالث بالفعل، ستقول لى فى الانتخابات الأمريكية كان (الحمار) رمزا لأحد الأحزاب.. سأقول لك هذا يؤكد صحة كلامى فهم ينظرون للحمار على أنه حيوان خلقة ربنا عادى مثل الدولفين.. نحن فقط الذين حولنا هذا الحيوان إلى (شتيمة).. وصنفته ثقافتنا على أنه رمز للغباء.. هناك من يعتقد أن ذلك مشتق من قوله تعالى (كالحمار يحمل أسفارا) ولا أريد أن أفتى لكن الواضح أنه لا يوجد فى الآية ما يسىء للحمير فقد أراد الله تعالى أن

يقول عن اليهود أن الكتاب الذى حملوه أوتوه حفظا لفظا ولم يتفهموه ولم يعملوا بمقتضاه مثل الحمار الحيوان المستخدم فى نقل الحوائج ولا يعرف طبيعة الحوائج التى يحملها لأن الله خلقه مثل جميع الحيوانات بلا عقل.. كثيرون بعد ذلك نسوا أن الأمر يخص اليهود فعقدوا معهم الصفقات واعتبرونا احنا الحمير.

المهم أحترم الرموز الطبيعية التى تخاطب الناخب الذى لا يعرف القراءة والكتابة وتربط فى مخيلته بين مرشحه وبين مفردات من بينته وحياته اليومية بس مش لدرجة رمز (مضرب التنس).. الأوقع أنك تضع له رمز (مضرب الدبان)، وما معنى رمز (دش الحمام) لدى هذا الناخب بالذات وهو غالبا ابن بيئة لم تصلها المياة بعد ولا زال يستحم بصفيحة ماء يشتريها بعشرين جنيها من بلطجية المنطقة الذين يكسرون ماسورة الماء الرئيسية ويحتكرون توزيع الماء على طريقتهم من خلالها، وبعدين ألم تفكر اللجنة فى الكناية المستترة عن المرشح الذى يحمل رمز دش الحمام؟. عموما الحمد لله أن اللجنة التى توغلت بمخها فى حمامات المواطنين لتختار منها رمزا انتخابيا توقفت عند الدش ولم تضع فى قائمة الرموز (الشطافة) مثلا.

ثم هل ضاقت الدنيا على اللجنة التى تقرر الرموز فاختارت كل ما يثير الارتباك؟ يعنى ما مبرر أن تضع فى الرموز (شبكة كرة القدم) و(شبكة كرة السلة)؟ يعنى الرموز تم وضعها لناخب أمى لا يقرأ أو يكتب.. هل هذه مواصفات شخص رياضى ورايح جى على النادى كل يوم ويتابع البوندزليجا والإن بى إيه؟ أو مثلا (المظروف المغلق) و(المظروف المفتوح).. كم ناخب يا ترى سيدخل اللجنة ليقف أمام الصندوق فيهتك عرض ذاكرته فى محاولة يائسة لأن يعرف يا ترى مظروف مرشحه كان مقفول ولا مفتوح.. وكم مرة خلال هذه الوقفة سيسب لهيئة البريد كلها؟ وكم مرة سيقف ليقول لنفسه أنا عارف أن المرشح بتاعى راجل مروحة

بس يا ترى (مروحة سقف) ولا (مروحة حائط)؟ وكم شخص سيخترع طريقة حتى لا ينسى رمز مرشحه فيخلط بين (خلاط السوائل) وخلاط الأسمنت) فيظل طوال وقوفه فى الطابور حتى يصل إلى الصندوق يغنى بينه بين نفسه (خلاط السوائل يا ضنايا أنت).

اللجنة التى تختار الرموز بعيدة عن الشارع والوعى الشعبى ولا تعرف ما طرأ من تحديثات على مصطلحات الناس، ف (المكواة) هذا الرمز الانتخابى هو فى الوقت نفسه يشير فى مصطلحات العامة لـ(المؤخرة)، و(المشط) يشير للرجل (الكنكة) اللى هو الرجل(الميدالية).. وكلها رموز انتخابية.. لكنها فى عرف الشارع تصب فى تعريف رجل واحد اللى هو الرجل (العجلة) اللى هو (مش راجل أصلا)، وهو أمر قريب من أن يكون رمز المرشح الـ(المعلقة).. أما بخصوص رمز (الحمامة) فحدث ولا حرج.

الأصدقاء العنكوبتيون (٢٨-١١-٢٠١١)

كما قالها منير صريحة: «أنا لسه قادر فى الحزن أفرح» يتسلل الضحك ويهاجم فى عز شعور ما يعترى الواحد وهو بين أصدقائه بالإحباط أو الحزن، فى لحظة قررت أن أكسر اكتئاب الأصدقاء فكتبت أعلن أن الداخلية ألقت القبض على والدة بعض شباب محمد محمود وأن وزير الداخلية استجوبها بنفسه وسألها: بتشربيهم إيه يا ميرفت؟ بعدها توالت تعليقات الأصدقاء وكان أهمها بالنسبة لى يتحدث عن زخم المشاعر الإنسانية فى اللحظة التى يختلط فيها الضحك بالدموع.

عندى أصدقاء مجانين يتمردون على الإحباط بعبقرية مصرية بالغة، انفتح باب الكلام عن تولى الجنزورى رئاسة الحكومة فقال حسن أبو سعدة: «ترشيح الجنزورى للحكومة بيفكرنى بواحد قريبى جاب مجد القاسم فى فرحه من شهرين»، فرد هشام: «وبيفكرنى برضه باللى جابوا سامح يسرى فى المنوية بتاعتهم»، وعندما سألتهم كيف أرد على فئة من أشباه البشر يعايرون المصابين والشهداء قائلين: «وهما إيه اللى يوديهم هناك.. ومين قالهم يتعوروا علشانا؟».. وهم طائفة يعجز لسانى عن الرد عليهم.. أقترح أصدقائى سلسلة من الردود أخفها يستحق عقوبة ٦ شهور سب وقذف عادى وقذف إسكندرانى»، لكن أحمد الشيخ فاجئنى برد عبقرى «قول لهم لو كانوا عارفين إنهم هيتصابوا أو يموتوا علشان واحد زيك ماكنوش نزلوا».

حتى عندما سهرنا الليل بطوله نتحدث عن مشوار الانتخابات فى صباح اليوم التالى وبعد أن أصابنى الإعياء من كثرة دراسة ملفات المرشحين قلت لهم «سأنتخب تحالف عالم سمسم وفى الفردى بوجى وطمطم» كنت أعتقد أننى أغلقت باب المناقشة إلا أنهم تفوقوا على أنفسهم، فقال رامى محسن: «عندنا في إمبابة أنا مستني المرحلة التانية. هدي صوتي للفنان سامح الصريطي لو نزل بشخصية الهدهد»،

وقال آخرون إنهم كانوا يفكرون فى انتخاب قائمة الباور رينجرز أو سلاحف النينجا لكنهم ترددوا بسبب أسلوبهم العنيف.

فى كل الأحوال أحمد الله على أصدقائى العنكوبتيين الكثيرين (نسبة إلى الشبكة العنكبوتية) وعلى نعمة الونس المتبادل ولو عبر الكيبورد، وأستغل المناسبة لأشكرهم على نصائحهم الطبية بخصوص كمية الغاز التى استنشقها الواحد فى التحرير، وأعتذر إذ أثقلت عليهم بالسؤال فى هذا الموضوع تحديدا عن وصفة استخدام حبوب الفحم لإزالة آثار الغاز (المسيب للدموع على رأى عم محمود البواب)، سألت كثيرا لأننى أمتلك خبرة سيئة فى استخدام الاختراعات الشعبية لمقاومة غشم السلطة، فى ٢٨ يناير شربت أكثر من ٣ زجاجات بيبسى من الحجم الكبير قبل أن أعرف أن الواحد (المفروض يغسل بيه وشه) كانت النتيجة أن الناس كلها كانت تمشى يومها فى المظاهرة بتدمع وأنا ماشى اتكرع (عفوا)، لذلك اهتممت بالسؤال عن موضوع الفحم حتى لا أجد نفسى (باخد من اللى تحت الحوض).

أشكرهم وأرجو من البعض أن يتحمل آرائى فى أمور وشخصيات عامة كما أتحمل آراءهم المباشرة فى شخصى، فبين الأصدقاء من يتقبل الآراء بسهولة وهناك من ينزعج فعندما سمعت الدكتور العوا مع (لويس الحديدى) يقول: « قلت للناس -وهم فقراء محتاجون- خدوا ما يعرضه عليكم المرشحون من هدايا سواء لحوم أو نقود لكن اتقوا الله أمام الصندوق وصوتوا لمن ترضونه.. وما حصلتم عليه حلال» اندهشت لأن تصريحه كان نسخة من تصريح الكابتن مدحت شلبى فى برنامجه لذلك كتبت أن الدكتور العوا بقى بيتكلم زى شلبوكة.. غضب البعض وقال لى أحد الأصدقاء وانت بقيت بتنقد زى ممتاز القط، وكتب آخر يذكرنى بمواقف الدكتور العوا الإيجابية من وجهة نظره وهى وجهة نظر دفعتنى لأن أقول: «كتبت منذ فترة أن الدكتور العوا داخل علينا

دخلة شكرى سرحان على تحية كاريوكا فى شباب امرأة والآن وبعد مراجعة مواقفى اكتشفت أن العكس هو الصحيح».. غضب منى البعض واكتشفت أن هناك من يقوم بتعيينى كاتب ساخر إذا كانت السخرية تتماس مع وجهة نظره ثم يسحب قرار التعيين واستمارة صداقتنا بالمرة إذا كانت مضادة لما يراه مودعا ملاعبنا المشتركة بزفة بلدى.. وهذا بالمناسبة ليس من أصول الصداقة إذا افترضنا أنها موجودة من طرفين وليس من طرف واحد كما أكتشف أحيانا.

شوربة عدس

*أصدق تماما أن سيادة المشير طنطاوى شخصيا لا يريد الاستيلاء على الحكم وأنه سيسلمه فى النهاية للمدنيين.. لكن أريد أن أسمع الكلام نفسه من باقى أعضاء المجلس العسكرى.. مع تحياتى للزعيم الراحل اللواء محمد نجيب.

*هرب الضابط (قناص العيون) الذى أسقط عشرات الجرحى فى محمد محمود.. الباشا هرب بس للأمانة وللموضوعية الحمد لله الداخلية قبضت على المصابين.

*ظهر سيادة اللواء فى اتصال تليفونى وقال إن الانتخابات انتصار لشرعية المجلس.. وأنا أحب أقول له ومين اللى جاب باندا البيت مش بابا برضه؟

*لم تذهب الناس للانتخابات خوفا من الغرامة، ولكنهم ذهبوا للتخلص من صداع ثلاثى، صداع الثورة التى يؤمنون بها لكنهم يرونها غير قادرة على فرض إرادتها، وصداع المجلس الذى يملك فرض إرادته لكنهم لا يرتاحون لإدارته، وصداع الفلول الذى يؤمنون أنه لا بيبيض ولا بيخلا من الكياسة.

*إصرار الفريق أحمد شفيق على أن يبدأ جولاته الدعائية لانتخابات الرئاسة الأسبوع الماضى من (سوق العبور)، وقيام الإخوان بتوزيع دعاية انتخابية عبارة عن كميات من (الطماطم والخيار)، أمر يؤدي أنهما خريجان في المدرسة السياسية التى تنظر لهذا الشعب باعتباره (أقفاص).

*الظروف التى نعيشها تجعل الواحد يعيد النظر فى التاريخ المكتوب وصدق الروايات عن الشخصيات اللى اشتهرت عبر كتبه مقارنة بالمبالغة الملينة بالبجاحة والتضخيم الكاذب الذى نراه الآن يوميا لقيمة

وإنجاز أشخاص يعيشون معنا وترويج الناس له باعتباره حقيقة.

*يوم الإثنين الماضى، وبعد أربع ساعات من البحث الفاشل بدأ يتسلل إلى قلبى شعور بأن المجلس العسكرى سيقوم بتسليم السلطة قبل أن أصل إلى مقر لجنتى الإنتخابية.

*الدكتور كمال الجنزورى قال معلقا على من يعترض على كبر سنه (أنا مش جى أشيل حديد)، ياريتك يا دكتور كنت هتشيل حديد.. حضرتك هتشيل (كاكا) عبارة عن مخلفات ٣٠ سنة تحت قيادة بسنت و ١٠ شهور تحت قيادة دياسطى.

*كلمة الاستقرار أصبحت أكثر الكلمات ابتذالا فى قاموسنا اليومى، مصدر الابتذال ليس كثرة تداولها ولكن فى نوعية من يتداولها دون أن يعرف معناها الحقيقى.

*لا يوجد شىء اسمه (الثورة شكرا كده خلاص).. الثورة لؤلؤة متى خرجت من القوقعة يستحيل أن تعود إليها ويلزمها بعض الوقت والمجهود حتى تتحول إلى تحفة وفى كل الأحوال يرتفع سعرها بمرور الوقت ولا يصونها إلا الناس اللى بتفهم وأقل من يستفيد منها هو الذى اكتشفها أول مرة.

*الفلول والفتايين علموا الواحد فعلا إن السياسة (ألهيك وأجيب اللى فيا فيك).

*المشكلة فى محاورة الأهبل إنك دايما بتلعب على أرضه.

الرهان على شباب السلفيين (٢-١٢-٢٠١١)

من السذاجة أن يحكم الواحد على التيار السلفى من خلال المهندس عبد المنعم الشحات، حتى لو شاءت الظروف أن يكون هو المتحدث الرسمى باسمهم فلا أحد يعلم بالضبط كيف وصل إلى هذا المنصب هل بالإجماع العام أم بسياسة الأمر الواقع أم بتفويض من أصدقائه، فى كل الأحوال سيكون أمرا فى منتهى الظلم أو القسوة أن تعتبر حالة الباشمهندس الشحات هى ملخص لحالة سلفيى مصر.

على الرغم من أن محاولة النظر بموضوعية لما قاله الباشمهندس عن العالمى نجيب محفوظ أشبه بمحاولات الانتحار، فإن الواحد حاول وكانت المفاجأة أنه اكتشف أننا مقبلون على «مرار طافح»، فالباشمهندس إما أنه لم يقرأ نجيب محفوظ (وهذا فى أغلب الظن) وأصدر حكمه عليه بالشبه وبالسمع ودون أن يتحقق مما يقوله وهذه كارثة، أو أنه استنتج رأيه عن محفوظ من الأفلام التى أضاف إليها المنتجون الخلطة التجارية وهو أمر لا يخص محفوظ كما أنه يدفعنى للسؤال وانت إيه اللى يخليك تتفرج على الأفلام دى يا مولانا؟ كان أولى بك أن تهاجم مشاهد سينمائية فاضحة ليس لها أهمية وكنا وقتها سنتفق معك خصوصا وأن فلسفة العرى فى السينما عندنا شيء ساذج سواء فى أفلام عن قصص نجيب محفوظ أو حتى فى أفلام دينية مثل فجر الإسلام الذى يحفل بمشاهد للجوارى والسبايا والراقصات، الاحتمال الثالث أن الباشمهندس قرأ محفوظ ولم يلفت نظره سوى بيوت الدعارة وأبطال القصص الذين يشربون الخمور وهنا تقع المسئولية على القارئ لا الكاتب، فالحديث عن البشر فى مختلف تجارب الحياة أمر يحسن خبرة البشر عموما وتجنب الحديث عن تجارب بشر ضائعة هو جهل إنسانى محض وإلا ــمع الفارق الكبير فى التشبيه طبعاــ كنا سنقاطع القصص الدينية عن قوم لوط أو عن الغواية التى تعرض لها سيدنا يوسف على

يد امرأة العزيز، أو كنا سنقاطع كتب التاريخ التى تحكى عن قصص حقيقية حول كل ما وقع البشر فيه من أخطاء من هذا النوع، القصص فى حد ذاتها لا تؤذى ولكن السؤال يا باشمهندس الواحد بيقرا إزاى.

لا دفاع عن الإسفاف أو البذاءة أو الانتصار للرذيلة وأتحداك أن تجد فى روايات محفوظ ما يشبه ذلك ولكن عندما أحكى لك عن نماذج للحيرة والضعف البشرى فأنا لا أدعوك إليه وإذا اعتبرتها دعوة فأنت شخص متربص أو سطحى ومالكش قرايه أصلا.

ما أؤمن به الآن أن مكافحة مثل هذه الفتاوى والآراء التى سنستمع لما يشبهها كثيرا خلال الأيام القادمة محملة بابتسامة مثل ابتسامة الباشمهندس الشحات.. أؤمن أن مكافحتها ليست بالكامل من اختصاص الصفوة والنخبة والمثقفين، ولكن الجزء الأساسى منها مسئولية شباب السلفيين والشيوخ المستنيرين، مكافحة الباشمهندس ومن يشبهه من قبل النخبة والمثقفين ستحول الأمر إلى صراع ضد الدين.. ولكن مكافحة شباب السلفيين والشيوخ لمثل هذه الطرق فى التفكير هى صراع لمصلحة الدين، تصدى النخبة والمثقفين لها سيضيع جوهر المسألة وسيحوله إلى مجرد حرب توك شو وكليبات ساخنة وتصريحات عنترية من الطرفين، وحدهم شباب السلفيين وشيوخنا الكبار قادرون باسم الدين أن يقاوموا من يسىء للدين حتى لو كان من داخله، الرهان عليهم حتى لا يصبح الأمر فتنة وحتى لا يخرج من بين صفوفهم اللى يضحك الناس عليهم.

لذلك قلت إن الحكم على السلفيين من خلال تصريح شارد لواحد منهم فيه ظلم لهم جميعا وأنا أحسن الظن بشبابهم الذين ألتقيهم فى الميدان والندوات وبعض البرامج ويراسلوننى ويصنعون أفلاما ويكتبون مقالات مستنيرة مثل سلفيو كوستا وكثيرين غيرهم وأرجوهم أن يعلو صوتهم فى مثل هذه المعارك، أما إذا كنت على نياتى فى حسن الظن

المبالغ فيه هذا فيجب أن نحمد الله أن نجيب محفوظ رحل عن عالمنا قبل أن يصبح برنامجه اليومى يحتوى على فقرة ثابتة يتعرض خلالها فى كل صباح للغز فى رقبته.

إحنا زارنا النبى (٤-١٢-٢٠١١)

ما بين «الليبرالية أن أمك تقلع الحجاب أيوه أمك أنت» وبين «أن كل كباريهات شارع الهرم ستتحول إلى أفرع من سلسلة محلات التوحيد والنور».. ما بين نظرة كل طرف للآخر يعيش الواحد أجمل أيامه فى هذا البلد داعيا الله أن يتم عليه نعمة التعصب بسرعة عودة ماتشات الدورى... آه.. إنها الأيام التى يتمنى فيها الواحد لو أنه كان صحفيا رياضيا.. الأيام التى يفتقد فيها انشغال الناس بأهداف أحمد جعفر الأوفسايد والكور التى تسقط من حضن شريف إكرامى، بدلا من الفتى فى اللحم الحى الذى نعيشه عمال على بطال هذه الأيام.

ما بين «أن الليبرالين عايزين يلغوا المادة التانية علشان يحكمنا مسيحى» وبين «أن السلفيين هيعملوا لجان تفتيش على المحجبات فى الشارع» يعيش الواحد أزهى عصور (الأفوره) على يد شعب مبالغ فيه.. شعب خياله السينمائى يفوق عبقرية خيال مؤلفى سلسلة توم وجيرى، شعب لا بد أن يكون هو رائد خيال الكارتون ويجعل والت ديزنى نفسه يستحق الجنسية المصرية وربما إذا فتشنا فى تاريخه سنكتشف أن أصول عائلته تنحدر من عزبة النخل مصنع الرجالة.

هل لديك شك أننا شعب كرتونى النزعة؟

الشعب الذى يمتلك اختراعا يحول البحر لطحينة، ويمتلك الجرأة على أن يصف زيارة شخص له على أنها زيارة من النبى شخصيا (إحنا زارنا النبى) دون أن يرى فى هذا أية إساءة أو سوء أدب مع النبى ولكنه يرى فيها كرم ضيافة، الذى يرى أن حلاوة الطعام لا دليل عليها سوى التهام الأصابع خلفها حتى لا يفرط فى نقطة من هذا الطعام دون أن يستمتع بها حتى لو كلفه ذلك عاهة مستديمة، الذى تطالبه بأن يتوصى بربع اللانشون الذى يزنه فلا يفعل لكنه فى المقابل يمنحك

ما هو أغلى (عنيا ليك)، الشعب الذى يذخر بكمية هائلة من نبطشية الأفراح بتاعت المحل محلك والبيت بيتك واشيلك فوق راسى وافرش لك الأرض رمل.. لأ أفرشها لك ورد.. ده لو مافيش غدا أدبح لك عيل من العيال نتغدى بيه.. تحب أعمل لك الواد على شوية بطاطس ولا تضربه كفته؟

شعب –وأنا لا أستثنى نفسى من هذه المبالغات أبدا فأنا ابن لها– تجرى المبالغة فى دمه فمن الطبيعى أن تنسحب على كل شىء بداية من الكلام عن مصروف البيت نهاية بالكلام عن مصر فى ظل الليبراليين والإسلاميين.

أنصار كل فريق ينسج الأساطير حول نوايا وخطط الفريق الآخر بمنتهى السهولة، يضاف إلى هذا النسيج خلطة الفلفل والشطة والنكهة الشعبية التى تجعل الأساطير أكثر واقعية من أم الواقع نفسه، الإسلاميون يقولون إن الحرية فجور والديمقراطية كفر وأن الناس ستعيش أزهى عصور الفسق إذا ما سيطر الليبراليون على الحكم وأن الأعياد القومية ستتحول إلى حفلات جنس جماعى وأن الأقباط سيضربون المسلمين بالكرابيج عندما يصلوا للحكم بفضل الليبرالية وأن السيدات سيذهبن للتسوق من محلات خير زمان وهن يرتدين المايوهات وأن خالد يوسف سيقدم أول فيلم سكس فى تاريخ السينما العربية وأن بلاج سيدى بشر سيصبح اسمه بلاج بشر فقط وسيصبح شاطئا للعراة وأنهم سيلغون خانة الديانة من البطاقة وسيبيحون الزواج المدنى.. عارف زواج مدنى يعنى إيه؟ يعنى أمك المسلمة تتجوز واحد مسيحى.. أمى أنا؟ فيرد الليبراليون أن الإسلاميين سيقتحمون البيوت ليفتشوا على ألبومات تامر حسنى وأنهم سيهدمون الكنائس ويتقاضون الجزية من المسيحين وسيجعلون الحجاب إجباريا وسيجلدون من لا تلتزم به وأنهم سيحرقون كل روايات نجيب محفوظ ويوسف إدريس وسيبقون فقط على الأعمال الكاملة للمنفلوطى وأنهم سيحرمون الكرة والسياحة وسيهدمون الآثار

الفرعونية وسيطبقون الحدود فيقطعون الأيدى ويجلدون ويرجمون وأنهم سشكلون دوريات راكبة تشبه جماعة الأمر بالمعروف الموجودة فى السعودية التى تخطف الناس من الشارع بدون إذن من أية جهة ويسحلونه إلى حيث يقيمون عليه الحد، وأنهم وأنهم، ودول هياكلوا دول لو حكموا ودول هيضربوا دول بالجزمة لو وصلوا وهكذا تسير الأمور منذ فترة فى البلد.

الشعب الذى تربى فى طفولته على الأساطير من نوعية «هادبحك دبح لو اتأخرت» و»هاعلقك من رموشك لو كدبت» و» الشمامة هتيجيلك وانات نايم تتف فى بوقك» و»أبو رجل مسلوخة هيخيطك لو مشيت حافى»، هذا الشعب كبر الآن وأصبح ينسج أساطيره ومبالغاته على طريقته، منهم من يسىء للدين ومنهم من يسىء للبلد والشعب ومنهم من يبث الرعب والارتباك فى نفوس من هم حوله.. ومنهم اللى عاجباه اللعبة ويؤمن أنها تخدم مصالحه ويستغلها أقذر استغلال لتقسيمنا وتشتيت الأنظار بعيدا عن أصل الحلم الذى يحاولون أن يغتالوه.. الحلم الذى استشهد من أجله كثيرون هم بحق الأساطير الوحيدة التى يصدقها الواحد فى هذا البلد لأنه (شافها بعينه).

٢٠ سببا لعدم هروب مبارك (١)

ينسى الواحد فى زخم الأحداث المتجددة أن يسأل أين وصل الرئيس المخلوع على مستوى صحته ونظرته للحياة وعلاقته بمن ظل إلى جواره من أفراد عائلته، كيف يقضى يومه؟ هل يشاهد التليفزيون؟ هل يتابع ما يقال عنه؟ أتمنى أن أعرف وجهة نظره فى النقطة التى نقف عندها الآن، أتمنى أن أعرف تقييمه لإدارة المجلس العسكرى للبلاد، أريد أن أسأله إذا عاد بك الزمن إلى الخلف هل كنت ستتخلى أم كنت ستدير الأمور بطريقة أخرى؟ أتمنى أن أعرف هل يرى ما فعله المجلس العسكرى معه خيانه أم أنها طبيعة الأمور؟ هل يشاهد بدين والروينى والعصار والفنجرى وهم يطلون علينا من الشاشات آخذين مكانه أمام مايك الرئاسة؟ طب من يطربه الآن أكثر لميس الحديدى أم عمرو أديب أم مصطفى بكرى؟ طب من خاب أمله فيه من الإعلاميين بعد أن تعب فى رعايته؟ هل يتابع توفيق عكاشة؟ أريد أن أسمعه يتحدث عن ابنه الذى ساهم فى قيادته لهذا المصير، وأن أعرف أيهما يؤلمه أكثر الشهداء الذين ماتوا ليزيحوه عن عرشه أم رحيله عن العرش؟ كيف ينظر لشركائه فى التجربة ومن هى الأسماء التى ندم على السماح لها بالاقتراب من منظومة الحكم؟ أتمنى أن أعرف هل هو قادر على الاعتراف بالأخطاء التى وقع فيها أم أنه سيظل ينكرها كاملة؟ هل يعى أن رحيله عن رأس النظام كان أشبه بانتزاع غطاء البالوعة الذى يخبئ أسفله أسرابا من البلاوى؟ هل عنده فكرة بما جرى للقذافى؟ وكيف يقيم ما حدث له؟ هل هو خائف على البلد أم أنه يشمت فينا أم أنه غير واعى بما نعيشه أصلا؟ ما تقييمه لمرشحي الرئاسة الذي يملئون الدنيا ضجيجا؟ وما الذى يعرفه عن كل واحد منهم ولا نعرفه نحن؟ هل يصلى هذه الأيام؟. هل كان يواظب على الصلاة من قبل أصلا؟ هل يؤمن أن ما يحدث فى العالم العربى هو مخطط أمريكى كما يردد البعض أم أنه

فوران شعبى متوقع..؟ طيب لو عاد به الزمن إلى الوراء هل كان سيقبل منصب رئيس الجمهورية بعد مقتل السادات؟

أسئلة كثيرة جدا يود الواحد أن يعرف لها إجابة منه.

لكن السؤال الأهم.. لماذا لم يهرب؟

أفكر كثيرا فى مبرراته للتمسك بالبقاء فى البلد حتى فى اللحظات التى تأكد فيها من أن مصيره السجن وربما الإعدام.

أفكر فى المبررات من كل الجهات.. أفكر بطريقة تفترض حسن النية وأخرى تفترض المؤامرة وأخرى تتحدث عن القدر وربما واحدة لها علاقة بالسذاجة السياسية وواحدة تتحدث عن الغرور.

والحقيقة لا يمتلك الواحد ما يرجح واحدة على الأخرى، ويظل تغليب واحدة بعينها متوقفا على نظرتك أنت يا صديقى للأمور؟

لماذا استغرق قرار التنحى ١٨ يوما لم يفكر خلالها فى الهروب؟

ولنبدأ من جمل قالها مبارك فى حواره مع عماد الدين أديب منذ عدة أعوام، ربما تكشف لك الجمل جزءا من شخصية هذا الرجل وطريقة تفكيره..

قال مبارك لعماد الدين أديب...

«الجيش علمنى ما انسحبش وأفضل لى أنى أموت على الجبهة»

«اللى يقولك انسحب لازم تفكره باللى حصل لما انسحبنا فى ٦٧ والخراب اللى شفناه ساعتها»

«أنت طيار وطيار يعنى لازم تاخد قرارك لوحدك ماحدش يضغط عليك»

«عندى طبع فيا من زمان أن لو فيه حد استفزنى ماتنرفزش»

تطل علينا هنا بوضوح مأساة أن يكون رئيس البلد ذو خلفية عسكرية، فهو ليس من أنصار الاستجابة لرغبة الشعب مهما ضغط أو قاتل حتى تتم الاستجابة لرغباته، سيموت على جبهته -مقعد الرئاسة- ولن ينسحب، فبخلاف إن الانسحاب من وجهة نظرة هزيمة وليس استجابة للشعب فالانسحاب فى ثقافته أيضا مرتبط بما ترتب على الانسحاب فى ٦٧ من خراب، لذلك قالها وهو يعيها ولم يكن يهددنا بها.. لعله كان صادقا للمرة الأولى خلال سنوات طويلة عندما قال «أنا أو الفوضى»، لكنه فى جزء من هذا التصريح كان أشبه بمطاريد الجبل الذين لا يثقون إلا فى أنفسهم.. تحققت الفوضى بشكل نسبى لكنها مسألة وقت حتى تستقر الأمور من جديد لنرى أن ما نعيشه من خسائر الآن مقارنة برحيل مبارك هو مكاسب فى الحقيقة.

كانت جبهة مبارك هى قصر الرئاسة وطالما تنازل عنها فقد ذاق مرارة الهزيمة، بعدها تستوى كل الأماكن على وجه الأرض، فقد أصبحت الهزيمة تسكنه، أو كما قال (كازنتزاكس) ما دمت قد خربت حياتك فى هذه البقعة من الأرض فحياتك خراب أينما حللت.

دافع مبارك عن جبهته التى لم يعرف غيرها خلال السنوات الأخيرة، وبما أن هزيمته أصبحت واقعا وبما أنه خسر كل ما كان يدافع عنه لظروف كثيرة أصبح يوقن نتيجة اكتئاب ما بعد الهزيمة أنه (طب أنا هاخسر إيه تانى؟) أو (هيعملوا فيا إيه أكتر من كده؟)، فلم الهرب؟

كانت هذه النقطة الأولى التى تتعلق بطبيعة وخبرة مبارك العسكرية.

طيب.. هل لم يهرب مبارك لأنه فى جزء من لاوعيه كان معجبا بالثورة؟

بكرة بقى أن شاء الله..

٢٠ سببا لعدم هروب مبارك (٢)

(١)

تحدثنا بالأمس عن سببين منها ربما يبرران لماذا لم يهرب مبارك أثناء الثورة أو بعد أن اقترب من السقوط، الأول له علاقة بخلفيته العسكرية التى اعتبرت الشعب خصما فى حرب لايمكن الانسحاب منها لأن الانسحاب عار (هى حرب فى وجهة نظره ليست ثورة ولا مطالب شرعية).. مضافا لهذا السبب ما رسخ فى ذهنه عن الخسائر الناجمة عن الانسحاب نتيجة ما عايشه من خراب على هامش ٦٧.

السبب الثانى له علاقة باكتئاب ما بعد الهزيمة الذى يجعل الأشياء كلها تستوى فى عين المهزوم فلا فارق بعد الهزيمة بين الهروب أو البقاء.

(٢)

فى الطب النفسى هناك نظرية تتحدث عن «إعجاب القتيل بقاتله»، ناتجة عن فضول القتيل لمعرفة كيف استطاع القاتل أن يفعل ذلك وكيف سيتصرف بعدها.

ربما كان لدى مبارك فضول طول الوقت ليعرف إلى أى مدى سينجح الثوار فى مهمتهم، يود لو يعرف سر جرأتهم فى الإقدام على كتابة النهاية له فى وقت لم يكن ير فيه نهاية للوضع الذى يعيشه منذ سنوات ويعد باستمراره حتى آخر نفس فيه مع التلويح بأن جده مات وهو فى سن ال(١١٥)، وإلى مدى سينجحون فى تلك المهمة بعد أن ارتضى البلد كله من قبل أن تكون النهاية قدرية ربانية وليست بإرادة البشر.

عدم هروب مبارك كان صيغة أخرى من سؤال «من أنتم»؟!

(٣)

كان لوفاة حفيده أثرا مربكا على الرئيس السابق فقد كانت لحظة جعلته ربما يتمسك بالاستمرار فى الحكم لمقاومة الموت، لا إراديا عندما يفقد أحد ما شخصا عزيزا عليه يصبح حساسا تجاه فكرة الموت ويتوقعها فى أى وقت ويظل يقاومها بالتوغل فى الحياة قدر استطاعته.

(٤)

ربما لم يهرب لأنه رضخ لصفقة ما تحميه وتؤمن استمراره فى الحياة على أرض مصر معززا مكرما، صفقة ما لم تكلل بالنجاح تحت وطأة إرادة الشعب، مبارك الذى نادرا ما يثق فيمن حوله.. عندما فعلها لأول مرة ووضع ثقته كاملة فيهم كان الوقت قد تأخر.

(٥)

يحتاج الهروب فى مثل هذه المواقف إلى لياقة بدنية وذهنية نادرا ما تتوافر عند ديكتاتور، قد تتوافر عند رجل (بتاع ٣ ورقات) مثل بن على، كانت الصدمة كبيرة لدرجة أنه حتى لو كان الهروب حلا مطروحا فإن وطأة الحدث تفقد رجلا مثل مبارك القدرة على الإمساك بتقنياته المثلى.

(٦)

كان لدى مبارك إيمان تام أن البلد لن تستطيع أن تستغنى عنه مهما بدا لهم ذلك سهلا ووارداً، كان لديه قناعة أنه الوحيد الذى يحتفظ ب (الباس وورد بتاعت البلد) وأنه الوحيد الذى يمتلك كتالوج التشغيل ومهما علت الأصوات المطالبة بالرحيل سيكتشفون بعد قليل أنه أمر مستحيل فمبارك لا يمكن الاستغناء عنه.

(٧)

تورط مبارك فى التعليق على ظهور البرادعى فى الصورة وتجمع المطالبين بالتغيير حوله كنقطة نظام، اضطر لعدم تجاهل الرد على تحركاته، وكان هذا الاضطرار ينغص عليه تفكيره طول الوقت، خاصة إذا ما فكر للحظة أن البرادعى سيحل محله، كان البرادعى أكثر ما ينغص على مبارك نظرته للصورة كلها، وكان يقاوم أن يحل هذا الشخص تحديدا محله وأزعم أنه كان نادما طول الوقت على أنه ساهم فى لفت الأنظار له بزيادة بأن ذكره فى معرض الكلام أو بأنه حرض عليه إعلامه ورجاله.

(٨)

الفلاح الكامن داخل مبارك لا يمكن تجاهله، دعك مما يتردد دائما عن الجزء الخبيث فى تركيبة الفلاحين، واهتم بالجزء الصادق فى الفلاح المصرى مهما كان طيبا أو شريرا الجزء الخاص (سأموت فى بلدى).

(٩)

من المؤكد أن المحيطين بمبارك كانوا سيقاومون فكرة الهروب -إذا افترضنا طرحها- لن يقاوموها خوفا على مبارك أو محبة له، لكنهم سيقاوموها لأن «يا ريس لو هربت كده يبقى أنت بتسلمنا كلنا».

(١٠)

إيمانه التام أن ما يحدث خلفه قوى خارجية وأجندات أجنبية، رأى البعض أن فى ذلك تشويها متعمدا لثوار التحرير، وهذا وارد فى جزء لكن فى جزء آخر كانت هذه هى قناعة النظام التامة والحقيقية، فما حدث لا يشبه الشعب المصرى الذى يعاشرونه منذ ٣٠ عاما، كانت هناك محاولات فردية محدودة سقفها سلم نقابة الصحفيين والجامعات

وإضرابات المحلة، لكن هذا الزخم كان مفاجئا أكثر من مفاجأة قدرة المصريين على العبور واقتحام خط بارليف، لذا كان النظام يؤمن أنها أيد خارجية، بناء عليه رأى فى التمسك بالحكم ومقاومتها وعدم الهروب عملا وطنيا بحتا.

(١١)

فى حديثه مع عماد الدين أديب كان مبارك يتحدث عن رحلة الهروب بالطائرات الناجية من القصف الإسرائيلى فى ٦٧، كان مبارك يتحدث باستفاضة عن فكرة أن الطائرة عهدة لا يمكن التفريط فيها.. مبارك فى هذه اللحظة وبما أنه موظف بيروقراطى كبير كان يرى البلد عهدة لا يمكن التفريط فيها بالضبط مثل عهدة الطائرات التى تعود على التعامل معها، كان مبارك يرى أن العهدة لا يمكن تسليمها إلا بمحضر رسمى يوقع عليه موظفون معتمدون ولم يكن أهل التحرير فى نظره رسميين بما يكفى لأن يتخذ هذه الخطوة.

(١٣)

لا يمكن التفكير فى عدم هروب مبارك أثناء أحداث ثورة يناير بمنأى عن جنون العظمة الملازم لشخص ظل يحكم البلد ثلاثين عاما متتالية والذى لا بد أن يتولد بداخله مهما قاوم الفكرة ومهما كانت طبيعته تميل إلى التواضع، العظمة التى تقود فى النهاية إلى حالة من اللامبالاة تؤدى للسخرية من غرقى العبارة أو الاستهزاء بالمعارضين السياسين (خليهم يتسلوا) أو المجاهرة بأنه سيحكم البلد حتى آخر نفس بالعند فى الجميع أو أن يقبل على نفسه أن يرتدى بدلة كتب عليها اسمه بطولها وعرضها، العظمة التى تجعله يتفادى مصير من يراهم أقل شأنا منه مثل زين العابدين بن على فيرفض أن يكون نسخة منه، ربما لو لم يكن بن على قد هرب لفكر مبارك فى أن يكون الهروب حلا مطروحا ولكن فى سيناريو لا يوحى لأحد بأنه قد فر من البلد (رحلة للعلاج مثلا).

(١٤)

لا يمكن التفكير فى عدم الهرب أيضا بمنأى عن ثقة مبارك المطلقة فى أنه الأقوى فقد قهر الشعب ومعارضيه فى معارك كثيرة بفضل الحاشية والأمن والإعلام، كان يثق فى أدوات قوته لكن سبحان الله كانت هذه الأدوات هى أول من سقط فى المعركة وتركته وحيدا يواجه قدره.

(١٥)

لا يمكن تجاهل تصريحه بأنه «دكتوراة فى العند»، لم يلفت أحد نظره لكون العند يورث الكفر وأن الناس كفرت بالفعل ولم يعد لديها بديل سوى اختيار رحيله عن الصورة تماما، أيضا كان هناك جزء من العند موجه ضد أمريكا التى بدأت بمساندة مبارك ثم بدأت توجه

له رسائل ضمنية وصريحة بضرورة التخلى عن السلطة والاستجابة لإرادة الشعب.

(١٦)

لا يمكن تجاهل أن مبارك كان من الطبيعى أن يرفض نهاية غير منطقية لمسيرة حياته التى صدق بمرور الوقت أنها عظيمة، فانتصار أكتور الإنجاز الوحيد الواضح فى تاريخ هذا البلد فى السنوات الماضية تم اختزاله فى شخصه وصدق هو هذا الكلام وكان يقوم بالتأمين عليه كلما حلت ذكرى النصر سواء فى خطاباته الرسمية أو فى دعم الجوقة الإعلامية له، وهو عميد الحكمة فى الشرق الأوسط ونصير الفقراء وبرنس الكبارى والأنفاق، تلك المسيرة العظيمة لا بد أن يخمن صاحبها فى نهاية عظيمة تليق بها تبدأ من تنصيبه ملكا على البلاد بشكل غير رسمى وتنتهى بترتيبات عالمية لجنازته العسكرية الرسمية، لكن أن يتم إقصاؤه من المشهد بهذه السهولة فهى نهاية لن يرضاها أبدا ولا بد أن يقاتل حتى يضمن النهاية التى ترضيه وتليق بقصة حياته يا ست حلاويات.

(١٧)

لا يمكن تجاهل أن مبارك كان شخص (قلبه تقيل)، أولا باعترافه لعماد أديب هو لا يستجيب للاستفزاز، وباعترافه أمام الكاميرات تلقى الطلقات فى إثيوبيا بثبات ثم قال للسائق (لف وارجع تانى)، وباعتراف التاريخ هو كان متهما فى قضية رفض الإنفاق على والدته وتم إلزامه بنفقة شهرية لها بحكم القضاء (القصة حدثت فى بداية الستينيات وهى متداولة فى الصحف والمواقع منذ فترة لكن للأمانة أنا شخصيا لا أمتلك دليلا أو وثيقة واضحة عليها)، لن يهرب مبارك من أجل حفنة قتلى فى مصادمات مع الشرطة أو بسبب لافتات تسخر منه فى الميدان، فى المقابل يتم استفزازه عندما يتعلق الأمر بالأموال التى يمتلكها هنا فقط

يرى أن الرد والانفعال والحززان فى النفس واجبا لأن الاتهامات فى الذمة المالية لا تليق بكل هذه العظمة الكامنة بداخله.

(١٨)

لا يمكن تجاهل أن مبارك كان يراهن حتى اللحظة الأخيرة على عاطفة الشعب وكسب فى ذلك جولة لكنه خسر التالية، كان يراهن على أن الملايين لن يهون عليها العيش والملح وعشرة السنين، إذا كانت مصر كلها قد بكت على (ماما نونه) عندما ماتت فى نهاية مسلسل يحيى الفخرانى، فما بالك بعشرة ٣٠ عاما مش ٣٠ حلقة؟

(١٩)

لا يمكن تجاهل فكرة ما الذى يضمن سلامته إذا فكر فى الهروب إلى الخارج؟ هل كان سيجد أمانا وحماية أكثر من التى يعيشها فى مصر الآن؟

(٢٠)

لا يمكن تجاهل أن مبارك لم يهرب لأنه لا يمتلك خطة واضحة لحياته يوما ما، هو غارق فى قرارة نفسه بشعور قلة الحيلة وأن ما يجرى فى حياته غير مرتب له أبدا فأصبح الشعور أصيلا لديه، بداية من التحاقه بالكلية الجوية بالصدفة حسب اعترافه لعماد أديب، مرورا بأنه أصبح نائب رئيس جمهورية فى وقت كان يخطط فيه للعمل كسفير لمصر فى لندن، مرورا بأنه أصبح رئيس جمهورية فى لحظة قدرية بحتة، نهاية باعترافه أنه لا أحد يعرف من الذى سيحكم مصر فى الانتخابات القادمة سوى الله... (وقد كان محقا فى هذه النقطة بالذات).

أنا معايا مناديل يا مجدى (٩-١٢-٢٠١١)

هناك أفلام ومسلسلات تعرض باستمرار على قنوات مختلفة طول الوقت لكن الواحد لم يشاهدها، الغريب أنه أثناء التنقل بين القنوات يتوقف الواحد دائما بالصدفة عند مقطع بعينه من هذا الفيلم أو المسلسل، مقطع واحد بالذات لا يتغير ونادرا ما يتصادف أن يقف عند مقطع آخر من العمل نفسه، الأغرب أن الواحد تعود أن يشاهد هذا المقطع حتى النقطة التى تعود دائما أن يغير بعدها المحطة.. لم يحدث يوما أن حاولت استكشاف ما بعد هذا المقطع بثانية.

الأمر نفسه يتكرر بالنسبة لمعظم برامج التوك شو التى تستضيف نجوما بعينهم قليلا ما يتغيرون، وأخص بالذكر الحلقات التى يكون ضيوفها من مرشحى الرئاسة، فالمقاطع متكررة إلا فى الحلقات التى تستضيف الدكتور البرادعى فأنا شخصيا أكتشفه من جديد مع كل إطلالة من لحم ودم على العكس من إطلالته عبر تويتر التى لا تسمن ولا تغنى من جوع، علاقتى بالبرادعى تنمو يوما بعد يوم ببطء لكن بثقة، تحفظاتى عليه ليست من النوع السائد لكنها لها علاقة بإمكانياته كرئيس للجمهورية، أراه دائما فى صيغة أفضل من صيغة الموظف الرسمى ربما تليق به كل التوصيفات من نوع الأب الروحى والمرشد الثورى، فهو يمتلك من الرقى والأفكار الإنسانية ما يزيد عن حاجة رئيس جمهورية وما يتعارض مع دولة تنهش البيروقراطية والجهل وضيق الأفق فى لحمها.

لذلك اندهشت من الاعتذار الذى قدمه الزميل العزيز الأستاذ مجدى الجلاد فى نهاية حواره مع البرادعى عن الحوار نفسه ومحاولته تبرير الجلسة بأنها اجتهاد منه وأنه لو أخطأ فكل ابن آدم خطاء، ذلك لأن الحوار كان أكثر من جيد وسمح للبرادعى أن يكشف عن أوجه من حياته ووجهات نظره كنت بحاجة لمعرفتها، بداية من بعد إنسانى يتمثل

فى إطلالة السيدة والدته مرورا برد فعله تجاه الأسئلة والاتهامات الساذجة التى تحيط به طول الوقت.. كنت سعيدا أن سأله الجلاد عن تزغيط البط وحزمة الجرجير وإسلامه وصديقته اليهودية ونظارته الغريبة وعلاقته بتويتر التى تكاد أن تجعلهما فى أعيننا توأما ملتصقا، كان لا بد للبرادعى أن (يقفل هذا الليفيل) بلغة الألعاب الإليكترونية قبل أن ينتقل إلى مستوى آخر، وكان البرادعى موفقا إذا لم يتورط فى ردود تافهة وأرجع كثيرا من المسائل إلى التعليم والأخلاقيات والرقى وحسن الإسلام، وكان موفقا لأنه لم يخجل من علاقته بتويتر وباغت الجلاد قائلا أن ما يكتبه على تويتر ينشره هو على صفحات جريدته فى اليوم التالى واعتبر تويتر أداة للتعبير عن نفسه لا تتقاطع مع النزول للشارع، البرادعى لم يجامل أو يرواغ ولم يسمعنا الإجابات التى نتوقعها من مرشح لرئيس الجمهورية يغازل الملايين فدافع عن حق الشيعة فى الاحتفال بمناسباتهم بالرغم من حساسية الموضوع وقدر للإصلاح فترة لا تشبه التى يقدرها بقية المرشحين جزافا لم يقل عامين وأربعة بل قال عشر سنوات، وقال إن هيبة الدولة من هيبة مواطن واحد وأنها سقطت يوم تم الكشف عن عذرية سميرة إبراهيم، واحترمته عندما اعترف برفضه تشكيل حكومة من ميدان التحرير لأنه اعتبرها خطوة انقلابية البلد ليس بحاجة لها وكانت وجهة نظره بمثابة مسكن لألم ما اعترى كل من فى الميدان يومها لأن البرادعى خذلهم فى هذا التوقيت وبعد كل ما بذلوه من جهد.

قال البرادعى كلاما كثيرا يوضح أن الرجل قد نجا من التجريف والتسطيح الذى طال معظم القيادات المطروحة على الساحة التى تأثرت بأذى العيش فى كنف نظام سابق فاسد وتجاهد بضراوة لتستعيد عافيتها الذهنية بعد سنوات سوداء.

شعرت فى وسط جرأة وتفتح البرادعى أنه يتحدث مثل غاندى

ومارتن لوثر كنج وكينيدى وكل هذه الشخصيات العظيمة الصادقة التى ماتت مقتولة.

قلت رأيى هذا ففوجئت بردود كثيرة من الأصدقاء كلها تدور فى نقطة واحدة «ماتفولش على نقطة النور الوحيدة الواضحة»، لم (أقول) ولكن هذه الفجوة الكبيرة بين أفكار البرادعى وأفكار ٩٠٪ من المطروحين على الساحة تجعله طول الوقت معرض للاغتيال المعنوى وتجعله معرضا للإصابة لأنه يجيد الاحتفاظ بالكرة متى وصلت له.. وما أكثر الخشونة التى يتعرض لها فى ملاعبنا لاعب من هذه النوعية.

بيان ٩٠ من المجلس: الكرة لو جت هنا تانى هاقطعها

(اليوم الأول فى أحداث مجلس الوزراء)

انهالت علينا الشتائم من شبابيك عمارات جاردن سيتى عندما اضطر البعض أن يهربوا إلى الشوارع الجانبية هربا من هجوم الجنود العشوائى على الجميع بمن فيهم المصابون الذين يرقدون فى المستشفى الميدانى لا يقوون على الحركة أو السيدات أو البنات مستخدمين كل ما يمتلكون من قسوة الصفع والركل والضرب بالهراوات والعصى الكهربائية.

كان موقف بعض من أطلوا من شبابيك جاردن سيتى نسخة من موقف أهل العباسية إلا أنهم لطبيعتهم الخاصة لم يلقوا حجرا واحدا واكتفوا بتوجيه الشتائم والاتهامات أقلها: «إنتوا مين يا بهايم» وهو سؤال رد عليه أحد المتظاهرين بكل ثقة وثبات «إحنا الفضائيين»، للأمانة رجل وحيد أطل من أحد الشبابيك عندما شاهدنى أسرع الخطا وعرض عليا أن «أنزل لك ليو؟».. ليو هو كلب مخيف، لذلك عندما كرر العرض قلت له: «خليه للتقيلة».

كان «بودى» يلعب الكرة مع أصدقائه المعتصمين أمام المجلس، واحد منهم (عمل فيها عبد الله السعيد) كانت تصويبته أقوى من اللازم فاستقرت الكرة داخل حديقة المجلس، بعد مناوشات (هات الكرة) و(اجرى يالا من هنا) تم سحب بودى للداخل ليخرج بعدها وقد أصبحت كل ملامح وجهة عبارة عن عجينة بالدم فاشتعلت الأحداث.

عندما توجهت إلى هناك فى الثامنة صباحا كان السؤال (أين الإعلام) لينقل للناس ما يحدث (أعتذر لكل من اتصلت به من الأصدقاء الإعلاميين فى هذا الموعد المبكر فأنا أعرف أن الجميع سقط صريع النوم متأخرا بعد ليلة متابعة للانتخابات والفرز)، أوصانى البعض بنقل وجهة نظرهم فى الحزب الذى يكرهونه أكثر من حزب الكنبة.. وهو

(حزب التليفزيونات)، أعتقد أن الجميع يعرف اللى فيها ويعرف من الذى يظهر ليسرق الأضواء ومن الذى ينقل صوت الثورة بالفعل ومن يبالغ ومن ينافق، لكن الناس هناك كانوا يشعرون بجولة جديدة من الخذلان تبدأ.

فى الدور الحادى عشر كان منظر الجنود المصريين يدعو للأسف والسخرية فى وقت واحد، كانوا يحدفون الناس بالقيشانى والسيراميك وقواعد الحمامات.. واضح أنهم خلعوها من مبنى المجلس وقريبا لن يجد النواب مكانا لقضاء حاجاتهم إلا تحت القبة، كان الجنود ينهالون على الجميع بالحجارة مدعومة بوابل من كل الإشارات الخارجة التى يمكنك أن تتخيلها بالأصابع والأذرع والأقدام، اشتعلت النار فجأة فى أحد الحجرات الموجودة فى الطابق الأرضى، هرع المتظاهرون لإطفائها، بالقرب منهم كان موظف مهم فى المحافظة يتصل بالمحافظ يستغيث به طالبا المطافئ مؤكدا على أن المتظاهرين يقومون بإطفاء النار بجهود بدائية تحتاج للدعم.. لم أسمع رد المحافظ لكن كان باديا من سيل الشتائم التى انطلقت من المهندس يشرح كل شىء.

اقترب منى محمد طالب الدراسات العليا بمعهد السينما وقد تحول غضبه إلى موجة من الضحك وهو ينظر كل دقيقة للفقرة التى يقدمها الجنود فوق السطوح قائلا: « شوف.. هااهها.. شايف؟»، ابتعد محمد عنى فجأة وبعد دقائق رأيته يعود مصابا بحجر أسال الدماء من رأسه.. تلقى علاجا أوليا وخرج ملفوف الرأس.. كان يضرب كفا بكف وقد ارتفعت لياقة الضحك عنده إثر هذه الإصابة.

أثبت الجنود أنهم يمتلكون مهارات عظيمة كأفراد لسلاح الحجارة، وكان المتظاهرون بالأسفل لا يمتلكون سوى التصفيق لهم والهتاف ما بين: «الشعب يريد إسقاط المشير « و»العبيط أهوه»، إلى جانب محاولات لا تنتهى للإمساك بكل من يريد إشعال الأمور أكثر فانتشر

المتظاهرون يمنعون هذا من سرقة البنزين من سيارة تقف لاستخدامه فى إشعال الحرائق ويمنعون هذا من الوصول إلى مكان الاعتصام حاملا زجاجة مولوتوف، ويمنعون واحدا من الجرى خلف العساكر التى تقف أمام السفارات لتأمينها فى محاولة لإقناعه أنهم (مالهمش دعوة)، ويبعدون برفق مارة فى مهب الخطر لأنهم لا يفقهون شيئا لكنهم يتوقفون ليقولوا كلمات من نوعية (شكلهم ما قبضوش وعايزين الدفعة) أو (ارحمونا من اللى جايين يشحتوا على الناس اللى ماتت)، قيلت الجملة الأخيرة فسمعت صيحة ألم قوية صادرة من خلفى.. كانت شقيقة مايكل دانيال أصابتها الجملة بصدمة جعلتها تكرر جملة واحدة (يارب تشوف اللى شوفناه)، هذه واحدة دفنت شقيقها بيدها تواجه اتهاما بأنها تتاجر بدمه.. دعوتها لخصت ما شعرنا به جميعا فردد الجميع لا إراديا (آمين).

على أحد أرصفة جاردن سيتى كان مصابا بكسور عظيمة يجلس بعد أن أرهقه الجرى هربا من الجنود الذين انهالوا بالضرب على كل من فى المستشفى، كان يبكى بحرارة (هما ماوراهمش حد غيرنا؟) أخذ يكررها وهو منهار لم أملك إلا أن أقف إلى جواره أطبطب عليه إلى أن بدأ الناس الجرى من جديد فحمله أصدقاؤه مبتعدين به عن المكان.

سألت نفسى لو كان هناك ماتش كرة إسرائيلى على الحدود المصرية ووصلت الكرة عند بعض الجنود المصريين بالخطأ هل كنا سنسمع عن رد فعل لما حدث مع مراهق مصرى يطالب بالكرة التى عبرت حدود مبنى مجلس الشعب؟ هل الحصانة تمتد إلى حديقة المجلس؟ هل لدى المجلس العسكرى مشكلة مع الكرة؟ هل نتوقع أن يكون بيان المجلس القادم (بسم الله: لو الكرة جت هنا تانى هاقطعها)؟

فى عز الأحداث ومن شارع جانبى هلت سيارة نظافة نصف نقل كبيرة، إلى جوار السائق كان يجلس أربعة عمال، وقد علقوا على

الزجاج الأمامى علما كبيرا لمصر، كانوا يحتمون فى العلم، استوقفناهم على مدخل الشارع «رايحين فين فى الضرب ده»، قال أحد العمال «المفروض إننا جايين ننضف الشارع بتاع مجلس الوزراء»، «مين اللى قال لك تعمل كده؟» سألناه فأطل العامل برأسه ورأى الجنود يقذفون الناس بالحجارة فجاء رده واضحا «المدير ابن المتنـ..».

فتش عن المدير دائما.

الطرطشة عكس اتجاه الريح (١٧-١٢-٢٠١١)

(١)

هناك حكمة عالمية شهيرة خاصة بالتبول تقول «لا تطرطش عكس الريح وإلا طرطشت الريح عليك»، كنت أتمنى أن يكون الجندى المصرى الذى خلع ملابسه فوق مبنى مجلس الوزراء وطرطش على المتظاهرين على علم بهذه الحكمة ليقى نفسه ورؤساءه شر الطرطشة العكسية، لو كان هذا الجندى يجيد القراءة والكتابة ونظر إلى أسفل مسافة ثلاثة أمتار للاحظ اللافتة التى قال لى صديقى الواقف إلى جوارى هناك أن وجودها فى هذا المشهد يدعو للسخرية.. كان الجندى يطرطش وأسفل منه بالبنط العريض على جدران المجلس لافتة تقول «الديمقراطية هى توكيد سيادة الشعب».. كان هذا الجندى يؤكدها على طريقته.

اتجاه الريح هو على الدوام اتجاه الشعب ولا تقل لى أنهم أقلية لا يعبرون عن بقية الشعب.. أعرف هذا لكننى أؤمن أيضا أن الصواب (عمره ما كان بالكترة)، وأن الأغلبية لا تعنى بالضرورة أن كل سكانها على حق.. عندك مثلا قوم لوط كانوا أغلبية.. وكل الرسالات السماوية بدأت بشخص واحد فقط.

(٢)

يقول سيدنا على بن أبى طالب أن العامة متى اجتمعوا أضروا (لأنهم قد يصدرون شوشرة على الأحلام وقد يضعفون جرأة الحق) ومتى تفرقوا نفعوا (لأنهم بتفرقهم يعود كل واحد إلى مهنته التى يفيد بها المجتمع)، لا أقصد إساءة إلى أحد لكن الكثيرين لهم ما يرونه على السطح فقط من عنف أو حرائق أو اقتصاد ينهار يدعم رؤيتهم هذا إعلام رسمى يؤكد لهم صحة ما يرونه.

فى عز الضرب أسفل مبنى مجلس الوزراء تسللت بيننا سيدة ريفية بسيطة خمنت أنها ربما زوجة أحد حراس عقارات المنطقة، نظرنا جميعا إليها وتفاءلنا بوجودها بيننا، قال لها أحد الشباب «إدعى لنا يا حاجة»، فقالت له « عايزنى أدعيلكم يا معرصين.. يا شعب معرص.. بتحرقوا الدولة يا كلاب بالفلوس اللى بيقبضهوالكم على النت؟ «، أصيب الجميع بصدمة من وابل الشتائم والاتهامات العكاشية التى انهالت على شباب معظمهم قد ربط رأسه بشاش أو علق ذراعه فى عنقه برباط ضاغط، تحمس أحدهم فقال لها: «ماشى يا ستى كتر خيرك «وعندما احتد أحدهم التف الجميع حوله وأسكتوه بالعافية وطلبوا من السيدة أن «خلاص ماتزعليش نفسك» فقالت « مش عايزنى أزعل؟ ليه؟ هتراضينى بباكوين من فلوس النت؟ هه؟» فأخرج لها الشاب جيوبه ودلدلها فارغة من بنطلونه وأمسك بيده ورقة بعشرة جنيهات قائلا: «والله ما معايا غيرها وخايف أفكها من الصبح».

كنت مهتما بالفعل بالمساعدة فى إخراج السيدة من مرمى الحجارة وبعيدا عن حدود المذبحة الحجرية لم أندهش عندما وجدت الأغلبية تناقش الأمر من وجهة نظر السيدة البسيطة بالضبط.

(٣)

الناس التى تقف خارج حدود المعركة ضربها مؤلم أكثر من هؤلاء الذين يقفون فوق سطوح المجلس.. الواقفون خارج الميدان يقتلون بدون نقطة دم واحدة، يرون النار المشتعلة فى المبنى ولا يرون التواطؤ فى تغافل المسئولين عن الاستعانة بسيارات المطافئ التى تبعد ١٠٠ متر عن موقع الحدث.. يرون أن نارا اشتعلت من فرط الغضب هى العمالة ولا يرون فى إصرار الكبار على تركها مشتعلة هى الخيانة بعينها.. المبنى اللى حضرتك خايف عليه الدولة على استعداد تام للتفريط فيه مجانا لتشويه وجه الثورة.

حضرتك وبسبب زن الإعلام ترى الملايين التى خسرتها البورصة فى أسبوع بسبب الاعتصام ولم تسمع أن البورصة خسرت منذ أسبوع ٢ مليار جنيه فى يوم واحد بسبب التسرع فى جنى الأرباح على حد تعبير تقرير البورصة.. لم تسمع الخبر لأن الإعلام يهتم بأخبار البورصة عندما يمكن الربط بين خسائرها وبين الثورة وتتجاهل الحديث عنها وعن الجشع الغبى لروادها.

حضرتك تستمع من الجنزورى لتبسيط مخل لما حدث منذ يومين، تستمع إلى خطاب قديم تفوح منه رائحة العطن، وتفسيرات ساذجة على طريقة الغسيل بتاع الجيران كان بينقط على غسيل الجيران اللى تحتهم، فتصدقه وتؤمن أن الأمر بسيط وأن المتظاهرين بلطجية ومأجورين ومراسيل مخطط التقسيم.

لا تلتفت غالبا لقائمة الشهداء والمصابين وصورهم ما بين شيخ وعالم دين كبير مثل الشيخ عماد عفت وطالب طب برىء نزل ليساعد فى المستشفى الميدانى مثل علاء عبد الهادى، ولكنك تلتفت بلا شك لأمور من نوعية البنت التى تتواجد خارج منزلها فى هذا الوقت المتأخر لدعم الثورة والمعتصمين حضرتك نسخة من زوجة رياض باشا البنطلونى التى قالت له اسمها مامى مش أمك.

حضرتك ترتاح لمن يكلمك بالهجايص فيلقى بالاتهامات جزافا سواء كان قيادة عسكرية أو مذيع نصف جاهل ولا ترتاح لمن يتحدث بلهجة ثورية لأنه يكسر كل ما تشكل بداخلك عبر السنوات الماضية عن أهمية الانصياع وتصديق من يحملون كارنيهات رسمية حكومية.

(٤)

حضرتك تسأل لماذا يعتصم الشباب أمام مجلس الوزراء ولماذا يعترضون على الجنزورى.. إليك هذه القصة الصغيرة..

بدأت كتابة هذا المقال والجنزورى إلى جوارى فى الراديو يؤكد ويقسم أنه لا مجال لاستخدام العنف وأنه يعد بذلك على الأقل لأنه إنسان قبل أن يكون مسئولا وأسهب كثيرا فى تأكيد هذا الوعد، والآن أمامى على شاشة تليفزيون سى بى سى -بعد ربع ساعة من انتهاء الخطاب- جنود الجيش يطاردون الناس فى التحرير على الهواء مباشرة وينهالون ضربا بالعصى على اثنين يفترشان الأرض ما بين فاقد للوعى وقتيل وعشرات يتساقطون على وجوههم أمام هذا الهجوم الكاسح..

نحن أمام اختيار من أربعة..

الدكتور الجنزورى يكذب.. الدكتور الجنزورى مع نفسه.. الدكتور الجنزورى مالوش فيها.. الدكتور الجنزورى بيثبتنا.

الفرق أن حضرتك تجد صعوبة فى تصديق أى اختيار من السابقين رغم ما تراه بعينيك، بينما شباب الثورة قبل أن يشهدوا ذلك بكثير كانوا يؤمنون أن الجنزورى لن يخرج كثيرا عن تلك الاختيارات.

هل لدى حضرتك أسئلة أخرى؟

يقول الجنزورى: «هو فيه ثائر عمره ١٢ سنة؟» وأقول له «هو فيه واحد عنده ٨٠ سنة منهم ١٢ سنة فى الثلاجة يقدر يقود حكومة مطلوب منها تنقذ الوطن فى هذه الظروف التى نعيشها؟»

يقول الجنزورى أن الطفل صاحب الـ١٢ عاما لم يختبر فقرا أو ظلما وأقول له بما أن حضرتك كنت فى الثلاجة فقد فاتك أن معظم من أججوا نار الثورة وحركوها لم يختبروا على المستوى الشخصى ظلما أو فقرا ومعظمهم قادمون من حيوات مستقرة جدا، بل إن بعضهم لم يختبر الحياة الحقيقية بعد إذ إنه لا زال طالبا فى كليته التى قد تكون مصروفاتها بالمناسبة بآلاف الدولارات، لم يخرج أحد من أجل ذاته فى هذه الأيام وكانت القلة المندسة هى الجهة الوحيدة فى مصر المشغولة بالأغلبية الشريفة.

لأن حضرتك يا دكتور جنزورى بعيدا عن حقيقة الأمور لم يقولوا لك أن الاعتصامات والإضرابات تبدأ على خلفية سياسية سلمية بحتة، وفى ظروف غامضة تتحول إلى خناقة بلدى، الناس تعتصم فى أماكنها بالأسابيع دون أن تثير مشكلة واحدة أو احتكاك واحد لكن مراسيل الجيش يستطيعون استدراجهم بالكر والفر والاستفزاز إلى معركة سرعان ما يتسلل إليها كثيرون رفضهم للظلم والقهر أكبر من حبهم للثورة، شباب وأطفال ومراهقون رأوا أنفسهم والدماء تسيل من أصدقائهم ويشيعون رفاقهم فى سيارات الإسعاف وهم لا يعرفون إن كانوا سيرونهم مرة أخرى أم لا، شباب ومراهقون فى عروقهم نخوة وشهامة مصرية يفتقدها كثيرون.. ينسون الثورة ويشتبكون حزنا على أو دفاعا عن مسن تهشمت عظامه وبنت مسحولة نصف عارية على الأسفلت ومصحف يلقيه جندى غشيم فى نار الخيمة التى تحترق وامرأة ينزع عنها نقابها وشاب مات وهو يقف بينهم وعسكر يتبولون

عليهم ويتحدونهم بإشارات خارجة.. فى لحظة ينحى هؤلاء الشباب والمراهقون ثورتهم جانبا لتصبح معركتهم ضد من يهدرون قيما إنسانية يعرفها الواحد بالفطرة أيا كان مستواه الاجتماعى أو الثقافى أو العمرى.

كلما فكر الواحد فى الاقتراب من الصفوف الأولى للمواجهة لحماية هؤلاء الشباب من غشم العسكر ومن أنفسهم أيضا يعود إلى مكانه مشاركا فى حمل مصاب جديد، يلقيه أصدقاؤه على بطاطين المستشفى الميدانى ثم يعودون للثأر له.. هؤلاء يا دكتور جنزورى الذين يسهرون الليل مشتبكين مع الجنود تقول إنهم أطفال.. طيب كيف تعامل معهم الكبار الراشدون البالغون العاقلون؟ هؤلاء يا دكتور جنزورى ليسوا شباب ٢٥ يناير الجميل لكنهم حفنة من الجهلة والعشوائيين.. طيب كيف تعامل معهم الرسميون المثقفون النخبة الصفوة أصحاب القرار وأدوات تنفيذه؟

يا دكتور جنزورى حضرتك تتعامل مع الأمور بسطحية لا تختلف عن سطحية «أبناء نابليون» الذين هرونا تبكيتا على حريق المجمع العلمى الذى لم يزوروه يوما ويمرون إلى جواره منذ عشرات السنين دون أن يعرفوا ماهية هذا المبنى، الحزن على المجمع العلمى واحتراق الوثائق هو أمر لا يمكن لأحد أن ينكره، ولكن أن تختزل حضرتك هذا المشهد العريض بالدم المنسال على جوانبه فى خسارة أوراق نادرة فهو بعينه الحق الذى يُراد به باطل.

وحزن حضرتك الرسمى كرئيس حكومة وبيانك الذى أصدرته بعد الحريق بساعة بينما رفضت التعليق على السحل والموت والإصابات حتى مر على الأمر أكثر من ٢٤ ساعة، موقفك هذا يجعلك فى عينى مجرد أمين مكتبة مجتهد.

حضرتك تنظر للأمور بسطحية مثل كثيرين لا يدركون أنهم يقدمون أكبر إهانة لتاريخ العسكرية فى مصر عندما ينكرون أن الجيش المصرى شىء والمجلس العسكرى شىء، إصرار حضرتك على أن من يقوم بهذه الأفعال المشينة المنقولة على الهواء مباشرة لكل دول العالم هم حقيقة الجيش المصرى هو جريمة يجب أن تتم معاقبتك عليها (سامعنى يا أستاذ بكرى).. كان أولى بك وأنت تتحدث عن عظمة الجيش المصرى أن تقول أن من يطاردنا فى الشوارع ويهتك عرض بناتنا هم ميليشيات المجلس العسكرى وليسوا جيشنا العظيم.

يخطئ الثوار أحيانا لكن المجلس العسكرى يعالج الخطأ دائما بكارثة، ويذكر المجلس أنه أقسم على حماية المؤسسات الحكومية فيقتل العشرات دفاعا عن مبنى الداخلية أو مجلس الوزراء.. خلى المبنى ينفعكم.. سيذكركم التاريخ بأنكم كنتم حفنة من خفراء الدرك الذين لا يترددون فى التنكيل بمن لا يرتدى الميرى المموه دون التفرقة بين قاض أو عامل بين أم أو ابنة محجبة أو غير محجبة بين شيخ عالم دين كبير وقور أو طفل عنده ١٢ سنة.

يارب (١٩-١٢-٢٠١١)

(١)

فى الأزمنة الغابرة عندما كانت تفكر فتاة ما فى استخراج رخصة لممارسة الدعارة كانت تتوجه لنقطة البوليس وتقول للموظف المختص: «أنا عايزه أعمل رخصة علشان أشتغل فى الوعد»، كانت فتيات الليل يطلقن على الدعارة لقبا يتضمن فى حد ذاته مبررا لما يقوموا به (الوعد).

(٢)

«فيه حد غريب فى البلد».. هذا ما أشعر به كلما تجولت فى الفضاء أو على أرض الواقع، هناك دخلاء بين الثوار هكذا يؤكد الرسميون، وهناك أيضا دخلاء بين رجال الجيش فمن المستحيل أن يكون هناك مجند قادم من الأرياف والصعيد بكل ما فيها من نخوة ورجولة وأدب أضف لذلك تدريب على قيم العسكرية المحترمة فى وحدته ثم يقوم بعد ذلك بتعرية فتاة وسحلها وضربها بالشلاليت فى صدرها العارى، مستحيل أن يقوم مصرى ريفى ابن البيوت الطيبة بسحب شخص فاقد الوعى أو ميت ليلقى به فى الزبالة، هذه ليست أخلاق أهل مصر القادمين من مختلف ربوعها وكمان مستحيل يكون ده جيش مصر الجميل اللى شوفناه فى ٢٥ يناير.

(٣)

أسئلة سيادة اللواء البديهية فى المؤتمر الصحفى لا تحترم عقل أحد، يعنى عندما يوجه سؤالا للصحفيين «حد يرضى أن مؤسسات الدولة تتحرق؟ هو نسخة من سؤال «تحب حد يعمل مع أختك كده؟ «، أما سؤاله «ينفع المعتصمين يمنعوا رئيس الحكومة من الدخول لمقر عمله؟».. أومال هم معتصمين ليه حضرتك؟

حضرتك يا أفندم من المؤكد أنك ماهر جدا كرجل عسكرى ولكن كشخص مهتم بتبرئة المجلس العسكرى لم تجد لعب دورك، حضرتك أتحفتنا بلقطات للصبية الذين يقذفون المبانى الحكومية بالحجارة ولم تعلق على صوت طلقات البندقية الآلى فى خلفية المشهد، حضرتك عرضت علينا لقطات لواحدة من المقبوض عليهن تروى لنا من الحبس قصة حياتها الجنسية ولم تعلق على صوت صراخ الشباب فى الخلفية الذى طغى على صوتها.. شباب من المؤكد أنهم فى حفلة تعذيب جعلتهم يصرخون كالنساء، حضرتك ستحقق فى مشهد الفتاة المسحولة نصف عارية -كما حققت من قبل فى المدرعة التى هرست الناس والمجند الذى ألقى المصابين فى الزبالة وقناصو العيون وغيرهم- لكنك أصدرت حكمك على دار نشر ميريت (التى نشرت لمعظم كتاب مصر ومن بينهم جميع وزراء الثقافة بعد الثورة) بإذاعة كلمات الصبى عن دار النشر الأوضة والصالة التى يعمل بها ١٢٠ شخصا (كل واحد شايل اتنين على كتفه وماشى بيهم جوه دار النشر)، حضرتك تهدد الصحفيين بالطرد من القاعة وتغلق باب الأسئلة فى وجوههم وتتهمهم بأنهم يقولون كلاما عند حضرتك وكلاما آخر فى صحفهم وتليفزيوناتهم.. حضرتك جايب الناس تهزأها ليه؟. (طبعا كل التقدير للزملاء الذين لم يروا إهانة واحدة فى المؤتمر وانهالوا بالتصفيق بعد انتهائه).

(٤)

المجلس مدان مدان.. مهما عرض من كليبات ومشاهد ومهما تواطأ كثيرون معه فى سبيل ذلك، وأستعير من الزميل عمرو أديب كلماته (يا تجيبلنا اللى قتلهم.. يا إما أنت اللى قتلتهم)، هؤلاء الصبية المقبوض عليهم هم الزاوية التى نظر منها المجلس العسكرى إلى الصورة، لم ينظر إليه من زاوية علماء الدين والأطباء والطلبة الجامعيين والمحامين وغيرهم من صفوة هذا البلد الذين قتلوا على يد جنوده بخلاف من

سحلوا وأصيبوا، حضرتك تنفى أنه هناك أوامر لفض الاعتصام وتراها شهادة براءة.. هل أفهم أن الجنود والضباط يتحركون من تلقاء أنفسهم فى مخالفة للتعليمات العسكرية؟ يبقى رجعنا للنقطة نفسها.. مش ده الجيش الجميل بتاع ٢٥ يناير.

أرجوكم ارحمونا وارحموا الجيش المصرى، ويكفى اجتهادا فى زيادة هذه الفجوة بين أهالى مئات الشهداء وآلاف المسجونين وعشرات آلاف المصابين ومئات آلاف الصامتين الذى بدأوا يشعرون بالخوف والقلق، ارحموا محبتنا القديمة الراسخة فى القلوب لهذا الكيان العظيم.

محبة الجيش فى القلب بها الآن «حتة بتشوك»، لا تحولوها إلى ما هو أسوأ من ذلك، أنتم تغرقون فى بحر التعالى والتخبط وقول شىء وعمل شىء آخر، عار قتل المصريين على يد جيشه لن يلاحقكم وحدكم بل سيلاحقنا جميعا إلى الأبد، وانشغالكم بالبحث عن مبررات بدلا من البحث عن حلول يهلك أعصابنا، والاتهامات الغامضة التى توجهونها لناس مجهولة تخاطبونهم فى تصريحاتكم بالوعيد وبالتأكيد على أن مصر لن تسقط.. هذا أمر أصبح عبثيا للغاية.. إما أنكم لا تعرفونهم فى ظل قدراتكم الأمنية والمخابراتية الهائلة وكده يبقى كفاية وألف شكر، إما أنكم تعرفونهم وتخافون منهم وأنتم أعلى سلطة فى البلاد وكده يبقى كفاية من غير شكرا.

(٥)

ما يحدث فى التحرير والقصر العينى وما سبقه فى محمد محمود هو ثورة من نوع آخر، هذا ما لا يفهمه المجلس العسكرى، هذه ليست ثورة بطموحات سياسية ولا أجندات، هذه ثورة على العنف والقتل والاستفزاز وفقد الأعين، هى رد فعل وليست ممنهجة أو منظمة، والخوذات التى اعتبرها سيادة اللواء دليلا على المنهجية تباع فى الميدان مثلما كانت

تباع الكمامات وزجاجات الخل واسبراى الخميرة، الناس لا تتبع منهجا للحفاظ على أنفسها من شر الغشم والعنف.

حضرتك لم تحتو الثورة.. ماشى مش مشكلة، الثورة فكرة والأفكار عمرها أطول من الأشخاص.

لكن حضرتك لم تحتو الغضب والحزن وكنت تضيف إلى أعدائك كل يوم رقما جديدا بنفس السيناريو، مبررات لما حدث ووعد بالتحقيق والمحاكمة وعلاج للمصابين على نفقة الدولة ولا يحدث شىء من هذا.. حضرتك المصابين بيخافوا يركبوا سيارات الإسعاف من فرط ما سلمت ناس للحكومة، وتقرير لجنة تقصى الحقائق أدان التليفزيون وحضرتك لم تقم بشىء، ولخصت أيام القتل والتشويه فى محمد محمود فى ضابط واحد فقط لأن الكاميرات كشفته، وهناك عشرات الضباط المتهمون بالقتل يتلقون ترقياتهم بكل بجاحة.

يا افندم ده حضرتك زعلت على المجمع العلمى زعل الأرامل ولم تفكر لثانية فى الحزن على شباب البلد حتى وإن كنت تراهم ماتوا بالخطأ.

لا تراهن حضرتك على الإعلام والنخبة والمثقفين فى هذه النار المشتعلة الآن لأن من يقف بداخلها لا أحد فينا له كلمة عليه وحاول بعضنا كثيرا لتهدئتهم وفشلوا وخاض بعضنا مغامرات لوقف الدم فتعرض للإهانة وبعض الخشونة، كلما اقتربنا من شخص كان يصرخ فى الجميع «طب والناس اللى ماتت».. وبما إن حضرتك لم تساعدنا فى الإجابة عن هذا السؤال بخصوص كل من ماتوا من قبل فهى الآن مسئوليتك بالأساس وسندعم كل ما يؤدى لأن تقوم بها على أكمل وجه حماية لدمائهم.

لكن فى كل الأحوال لا بد أن تعرف يا سيادة المجلس العسكرى أنه ليس من الحصافة أن تبرر الجرائم بالظروف، فحضرتك تعرف جيدا أن البعض يتلقون منكم هذه الكلمات ويعتمدونها فى حياتهم اليومية بدون تفكير مثل اتهامات العمالة وعجلة الإنتاج وغيرها، ومن غير اللائق أن تزرع فى وجدان البعض الاعتماد على مبرر (الظروف) لأنه من الثابت علميا أن الظروف هى أول الطريق للاشتغال ب (الوعد).

(٦)

أدعو وأرجوك أن تدعو معى يا صديقى فنحن بحاجة فقط لنور الله ليخرجنا من كل هذا الألم والارتباك..

«اللهم فوضت إليك أمري فأرشدني إلى أحب الأمور إليك وأرضاها عندك وأحمدها عاقبة لديك إنك تفعل ما تشاء وإنك على كل شيء قدير. اللهم خِرْ لي واختر لي ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك يا حي يا قيوم برحمتك نستعين. اللهم لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا ولا نستطيع أن نأخذ إلا ما أعطيتنا ولا نتقي إلا ما وقيتنا اللهم وفقنا إلى ما تحب وترضى.

اللهم ثبتنا بأمرك وأيدنا بنصرك وصل وسلم على سيدنا محمد..

لو اتكلمت تانى (٢٠-١٢-٢٠١١)

منذ شهور كان هناك كليب شائع على الإنترنت (فوتوشوب ومتركب طبعا زى كل اخواته حسبما يرى فنيو الجرافيك الذين امتلأت بهم البلد فى الفترة الأخيرة خريجو مدرسة عمرو مصطفى والمذيع بواس الأيادى ونجله المهجن والمذيع الدينى «أو بالأحرى اللادينى» الشهير بمونولجست الدعاة)، كان ضابط الجيش فى ميدان التحرير يزج بأحد المتظاهرين داخل المدرعة فى أول يوم رمضان قائلا له بصوت عال: «لو سمعت حسك تانى هاطهرك فى ميدان التحرير».. لم أكن أعرف أن الجيش به سلاح للمزينين وقلت أكيد ما فعله الضابط استثناء، إلى أن عرفت أنه القاعدة واللواء عمارة يشخط فى إحدى الصحفيات المحترمات التى كانت تحضر مؤتمره الصحفى وحاولت أن تصحح له معلومة فصرخ فيها بكل ما يتنافى مع أى قواعد أو أصول «لو اتكلمتى تانى هاطلعك برة» ثم كررها «هاطلعك برة» مع أداء غسانى مطرى مبهر وعالمى، لم يراع أنه يتحدث إلى سيدة، لم يراع أنها ضيفة عليه فى بيته حيث يقيم المؤتمر، لم يراع أن المؤتمر منقول لكل شاشات العالم، لم يراع أن الهدف من المؤتمر كان تحسين صورة الجيش وتوضيح لموقفه.. هددها بالطرد فأضاف إلى رصيد المجلس العسكرى نقطة جديدة من كراهية الناس.

كويس انه اكتفى بالتلويح بالطرد ولم يتبن طريقة تفكير الضابط الصغير مندوبه فى الميدان.

سياسة «اسكت» و «لو اتكلمت تانى....» تصلح فى الوحدة العسكرية حضرتك، فى مقر عملك تستطيع أن تتحدث إلى جنودك بهذه الصيغة، لكن خارج حدود الوحدة حضرتك مواطن مثلى مثلك لا أفضلية لأحد فينا على الآخر وهذا هو الأمر الذى لن يستوعبه المجلس العسكرى أبد الدهر، وهذه هى مشكلة الكثيرين معكم، أنتم تريدون مواطنين مخلة

وإعلام مخلة وسياسيين مخلة، ونحن نحلم بمواطنين أحرار كرامتهم فوق أى شىء.

المجلس العسكرى باختصار يمكن اختزال فكره فى فكرتين هما أهم ما فى المؤتمر من وجهة نظرى:

الخطوة الأولى: لو اتكلمت تانى هاطلعك برة.

الخطوة الثانية: تحية إعزاز وتقدير لجنودنا الذين سحلوا وقتلوا.

اللواء عمارة كان حريصا على رفع معنويات جنوده، وهذا الأمر ليس من اجتهاده الشخصى، أغلب الظن أنه النص الذى كتبه شخص ما خارج القاعة على ورقة وأرسلها مع ضابط شاب ليضعها أمام اللواء عمارة بينما كان يستعد لمواصلة حواره مع الصحفيين لكن الورقة غيرت مسار المؤتمر فانقطع الحوار وتم تثبيت المشهد عند الإشادة بالجنود البواسل.

من فضلكم رحمة بنا واحترما للمؤسسة العريقة التى تمسكون بزمامها فى هذا الوقت الحساس، واحتراما لجنود وضباط كثيرين بعيدين عن المشهد وكلى ثقة أنه يزعجهم، أرجوكم شدوا الرحال فى أقرب فرصة، إما أن تسلموها لرئيس البرلمان الذى انتخبه الشعب أو تتركوا الشعب يختار من يحكمه بنفسه.. على الأقل سيكون مدنيا مثلنا يشبهنا ويخاف علينا ولا يعرف طريق التعالى والعند ولا يجرؤ أبدا أن يقول لواحد فينا: «لو اتكلمت تانى هاطلعك برة».

رسائل لمن هم بعيد (٢٢-١٢-٢٠١١)

(١)

خطأ كبير أن تبرر العنف بأنه سلوك معتمد فى كل دول العالم، لا أحد فى العالم يحكمه مجلس عسكرى غيرك.

خطأ كبير أن ترى ما فى التحرير الآن ثورة سياسية لها مطالب تتنافى مع شرعية الانتخابات والبرلمان والاستفتاء التى يحترمها الجميع ولن نسمح لأحد بالالتفاف عليها، من حق الناس تقف فى وش اختيار المجلس العسكرى للجنزورى رئيس حكومة (طالما راجعت كل القوى السياسية من إخوان أو ثوار أو ليبراليين قرارات المجلس العسكرى وكثيرا ما استجاب لهذه الآراء.. أذكرك بجمعة الإسلاميين ضد الوثيقة التى جمدتها).. بس من المستحيل تقف قدام حد الشعب أجمع عليه بانتخابات رسمية وعندك دليل كل الانتخابات النقابية اللى فاز بيها الإخوان من غير ما حد يعتصم ويرفض النتيجة.. وعندك نتيجة مجلس الشعب اللى ما حدش اعتصم ضدها.. ما تخلطوش الأمور.. اللى فى التحرير دلوقتى مش خناقة سياسة دى خناقة ناس عاديين وأقل من العادي كمان ضد ناس بتقتل وتسحل وتهين وتستفز.. لو وقفت شاب من اللى كان بيضربوا طوب مش هتلاقيه عارف الفرق بين البرادعى وحازم أبو إسماعيل ولا يعرفهم.. هتلاقيه بيكلمك على أصحابه اللى ماتوا.

(١)

لماذا لا تتحدث حضرتك عن البلطجية الذين يملؤون كل مكان فى مصر؟

بلطجية الإعلام الذين يسخرون من الموتى والمسحولين وكل من يقدم مبادرة وطنية، أيهما يسعدك التعامل معه أكثر.. من يلقى حجرا دفاعا عن نفسه أو ثأرا لعنف تعرض له بشر لا يعرفهم شخصيا ولا يربط بينه

وبينهم سوى الجنسية؟. أم من يلقى فى وجهك اتهامات باطلة وأحكام نهائية تشكك فى شرفك ودينك وعرضك ووطنيتك؟ شخص يسحب منك الجنسية لأنه يمتلك شاشة أو عمود صحفى ويمنحها مضاعفة للقتلى؟

البلطجية على الشاشات وفى الداخلية وفى صفوف الجيش وبين النخبة المثقفة التى تتفنن فى هدم صورة من تحركه نخوته وتصويره خائنا، البلطجية من الممكن أن تكون حضرتك واحدا منهم وأنت تهدر دمى إذا قلت أنك مسلم بطاقة تنتفض لمصلحة سياسية ولا تنتفض لحقيقة دينك الذى يجعلك شهيدا إذا ما مت دفاعا عن عرضك، البلطجية من الممكن أن تكون حضرتك واحدا منهم وأنت تتهم كل من يقف إلى جوار الثورة أنه خائن يستحق الإعدام أو منافق على أقل تقدير.

(٢)

من فضلك لا تتهم أحدا بأنه ينافق الثورة.. من القواعد العلمية للنفاق أنك ماتنافقش القلة التى يقف فى وجهها أغلبية الشعب بقياداته.. وأنك ماتنافقش حد مش هتكسب من وراه غير الشتيمة والتعليقات البايخة والتخوين المجانى.. وإنك ماتنافقش حد لدرجة إنك ممكن ماترجعش بيتك تانى.. ده نفاق إيه ده اللى جى على الواحد بخسارة؟ ما هو المقابل الذى يوازى كراهية الأغلبية أو فقدان حياتك؟ إذا كنت تراها أمرا جالبا للشهرة فما قيمة الشهرة إذا كانت الأغلبية تراها شهرة فتاة ليل؟

لماذا تتورط حضرتك فى ترديد اتهامات تحول بينك وبين أن تستوعب الصورة كاملة؟ لماذا وحضرتك يمكنك أن تكون (صقر حكيم) تفضل أن تبدو كـ (بغبغان رغاى)؟

(٣)

فيه ناس فاهمة تسليم السلطة غلط الموضوع مافيهوش لوى دراع ولا التفاف على إرادة الشعب لأن الرئيس اللى هييجى هيبقى باختيار الشعب مش باختيار الميدان ولا أى جهة.. لو رئيس مجلس الشعب فهو شخص منتخب من النواب اللى انتخبهم الشعب وإذا كان رئيس طبيعى فهو هييجى بانتخابات أيضا.. الرئيس المدنى هيعرف يتعامل مع كل الخناقات المدنية اللى جاية بداية من لجنة صياغة الدستور لحد صياغته والاستفتاء عليه.. العسكر أغشم من أنهم يوحدوا الناس فى الفترة دى وأقل وضوحا بكثير من أنهم يكونوا على الحياد ومايدخلوش علينا كل شوية باختراع من اختراعاتهم اللى بتربكنا وتفرقنا.. الموضوع عايز تفكير من حضرتك وأوعى تصدق أنه حل معمول علشان يرضى حد بعينه

(٤)

كل المقالات التى كتبها الواحد فى بدايات الثورة عن ضرورة دعم الجيش وعن كونه خط أحمر وآخر أعمدة الدولة وأن وجوده بيننا يحمينا ويقوينا وعن أهمية إعمال العقل والهدوء ودعم الاستقرار وعجلة الإنتاج.. كل هذه المقالات من المستحيل أن يتبرأ الواحد منها، لقد كانت صادقة جدا فى وقتها وسأنشرها كاملة ضمن شهادتى عن العام الأول من الثورة، أعتز بها جدا ولا أراها ضد ما أومن به الآن لكنها تزيدنى تمسكا به، فمع كل عودة للنظر فى هذه المقالات أتأكد أننى لم أدخر جهدا فى دعم فرصة المجلس العسكرى كاملة وأننى وقفت إلى جواره بمنتهى الإخلاص قدمت له كل ما أقدر عليه من عون لكنه لم يعاملنى بالمثل.

أما ما سبق أن كتبته عن الأخطاء التى يقع فيها الثوار فأنا لا زلت مصرا عليها خاصة وأنها لم تشهد تحسنا ملحوظا، لكن كل ما يقعون فيه من أخطاء حماسية يتوارى خجلا أمام الكوارث التى تقع فيها بقية الجهات والأطراف.

أما عن ضرورة احترام كل وجهات النظر فهو أمر لا مفر منه حتى لو كان الواحد يفعله على مضض فى الأيام الأخيرة، أحيانا يلتقى الواحد بوجهة نظر قاسية فيقسو بدوره فى الرد على صاحبها، بعدها يشعر الواحد بالندم لأننى أعرف جيدا أن صاحبها لم يكن مغرضا ولكنه مجرد مواطن عادى له من الأمر ما يراه بعينيه على السطح فقط.

(٦)

آخر ما يمكن أن يقبل به الواحد هو تدخل أجنبى.

أنا شخصيا أفضل أن أموت برصاصة من عسكرى مصرى على أن يموت عسكرى مصرى برصاصة أجنبية.

أذكرك فقط أن البلطجية والقلة المندسة هم الذين طردوا السفير الإسرائيلى من مصر عندما قتل جنودنا على الحدود.

قام بها بلطجية التحرير وليس أحد آخر فلا تخلط الأمور ببعضها أرجوك.

أن تطول أعمارهم (٢٣-١٢-٢٠١١)

مبارك ورجاله وبقايا نظامه والفلول والطرف الثالث والعناصر المندسة والقلة المأجورة والأصابع الخارجية، أدعوك يا رب أن تطيل فى أعمارهم حتى يرونها بأعينهم.

يرون الأيام التى سيبهر فيها المصريون العالم بما هو أهم وأقوى من تنظيف الميدان ودهن الأرصفة والوقوف فى طابور طويل من أجل عرس الديمقراطية، الأيام التى ستشهد بلاد العالم كلها وهى تتسابق على خطف المصريين ليعملوا لديها والمصريين راسهمِ وألف سيف «مش ماشيين».

يرون الأيام التى سيلتف فيها المصريون حول حلم واحد هو مشروع حياتهم، يرون تلك الطاقة الجماعية التى هزت البلد أيام ماتش الجزائر وهى تهز الكوكب لتبنى بلدا كامل الأوصاف.

يرون الأيام التى سنتندر فيها على فترة كوميدية كانت مليئة بنماذج من عينة توفيق عكاشة ونتساءل كيف كنا مغيبين لهذا الحد لدرجة أننا جعلنا شخص من هذا النوع رمزا من رموز المجتمع، الأيام التى لن تقبل فيها أى محطة تليفزيونية مصرية محترمة أن تفتح باباها ليعمل فيها علماء دين من نوعية خالد عبد الله أو تفتح برامجها لضيوف من نوعية مرتضى منصور أو تخصص أوقاتا بالساعات الطويلة لتحليل ماتش كرة قدم تافه أو تسمح لكل من هب ودب أن يظهر ليفتى ويتّهم ويشوه ويضلل ويفرق ويصدر أحكاما نهائية مجانية، محطات تستغنى بسهولة عن إعلاميين أو ضيوف ضررهم أكثر من الإعلانات التى تأتى على حسهم.

يرون الأيام التى يوجد بها نسخة من ميثاق الثورة فى كل بيت وصالون حلاقة ومكتبة مدرسة، الجميع يحفظونه ويؤمنون بكل ما فيه من مواصفات للمواطن المصرى كما ينبغى أن يكون والبلد كما يليق بتاريخها العظيم.

يرون الأيام التى تغربل فيه كل قوة سياسية نفسها لمصلحتها ومصلحة البلد بكل ضمير وأمانة، فتجيد انتقاء من يتحدث باسمها وتهلك نفسها فى اختيار من يطل منها على الناس لينصح أو يعلم أو يناضل دفاعا عن حق.. ولا تتردد فى إبعاد الصبية والمتطرفين والجهلاء عن صفوفها حماية لها ولنا، قوى سياسية تمتلك براعة ما فى الاعتراف بالخطأ والقدرة على تصحيحه، وتتدرب على اكتساب مهارات جديدة فى التواصل مع الخصوم وإعادة تصنيع الخصومة للوصول إلى مصلحة عامة.

يرون الأيام التى نشق فيها الطريق إلى أعمالنا ومدارسنا وجامعاتنا بسهولة ويسر والابتسامة هى الغالبة على الوجوه المتناثرة حولك فى الطريق، الأيام التى يشعر فيها المواطن بالفخر عندما يتواصل مع مصلحة حكومية يدخل ويخرج وقد ازدادت محبته لمؤسسات علمها النظام أن تخدم المواطن بتفانى وإخلاص بدون تعقيد بدون رشاوى بدون البحث عن واسطة، الأيام التى يتنافس فيها المسلمون والأقباط لإثبات من الذى يحب هذا البلد أكثر لا يتنافسوا لإثبات من الأكثر، الأيام التى لا تنجح فيها أفلام تافهة أو أغنيات ساقطة أو كتاب منافقون أو رجال أعمال حلانجية أو علماء دين يسيئون للديانات كلها أو دعاة للحرية يسيئون إلى قيمنا وأفكارنا، الأيام التى نضع فيها (رجل على رجل) ونتشرط على العالم عندما يفكر أن يستورد منا ولو قنطار قطن، الأيام التى سنغزو فيها الصين ونبيع فى أسواقها تماثيل خشبية مبهجة مصرية الصنع لزعيمهم ماوتسى تونج.

الأيام التى سيهتم فيها كل شخص بما يجيده فقط، الأيام التى سيعود فيها إلى مواقعهما الحقيقية التى برعا فيها أكثر جهتين أضروا أنفسهم وأضروا من حولهم باشتغالهم بالسياسة (المجلس العسكرى ونجيب ساويرس)، الأيام التى يلهم فيها مشايخ مصر العالم كله نظرة جديدة للإسلام، مشايخ «النور» وليس» التوحيد والنور»، الأيام التى لا تفرق فيها مع الناس كم يكسبون كل شهر لأن الحد الأدنى من المعيشة الكريمة متاح للجميع ولا يرتبط بالدخول قدر ارتباطه بالحصول على حقوقك الطبيعية فى المأكل والمسكن والمعاملة، الأيام لا نحتاج فيها

لدعوة لشراء المنتجات المصرية ولا حملة لمحو الأمية ولا فرض عقوبات حتى لا يزوغ أحد من التصويت فى الانتخابات، الأيام التى لا يطارد فيها أمناء الشرطة من لا يربط حزام الأمان لكنهم يطاردون من يكوم القمامة على جانبى الطريق، الأيام التى سيفوز فيها الزمالك بالدورى والأهلى بكأس العالم للأندية ويقوم فيها الجيش والداخلية بتسريح لاعبى فرقهم الكروية ويفكوهم من الكورة ويلتفتوا لشغلهم.

الأيام التى لا يفرقنا فيها شىء.. لا الميادين ولا عصى العساكر ولا خانة الديانة فى البطاقة ولا وجهة نظر فى السياسة ولا استفتاء مغلوط ولا فتوى متسرعة ولا قرار بناء كنيسة ولا قبطى يستنجد بالغرب، الأيام التى لا مجال للانقسام فيها إلا يوم ماتش القمة.

الأيام التى سيكون الناس فيها على علم حقيقى بقيمة من ماتوا ويكون الثوار فيها هم كل الشعب بحيث لا يندس بينهم أحد، الأيام التى ستجعل ما نعيشه حاليا صفحات من كتاب التاريخ كانت صعبة ولكن المخلصين على كل الجبهات هم الذين ساعدوا الجميع على اجتيازها.

يارب أطل فى عمر الفلول وأنصار الثورة المضادة والمخربين والعملاء والجهلة والمتزمتين ونزلاء طرة والمتعالين وأرباب الوقاحة، لا أريد إعداما ولا أحكاما بالسجن مدى الحياة ولا رد أموال ولا مصادرة للممتلكات ولا أى ضرر من أى نوع، أتمنى أن يحتفظوا بكل حواسهم حتى هذا اليوم ليعرفوا جميعا أنهم دون قصد جعلونا نحب هذا البلد أكثر ونخاف عليه ونؤمن أنه ملك لنا بعدما كنا نغرق من قبل فى قناعة (وأنا مالى)، ليعرفوا أنهم دون قصد يحركوننا إلى الأمام حتى لو كانت حركة متوترة، ليعرفوا أنهم زادوا الثوار ثورة وأخرجوا الصامتين من بيوتهم وصار حتميا بكل مقاييس تاريخنا كمصريين أن تلتقى المسارات كلها فى النقطة التى سنبدأ من عندها الأيام التى حدثتك عنها يا صديقى، هى قادمة بلا شك.. فقط يلزمنا بعض الوقت.. لذلك أدعو لهم بطولة العمر حتى يرونها ويتحسروا على أنفسهم.

(حتى يكون الحزن على المجمع العلمى دقيقا)

كثيرا من الدقة ينقصنا جميعا هذه الأيام.

حتى الحزن والغضب ينقصهما الدقة.

مشهد الفتاة المسحولة يرفضه الواحد بالفطرة، الفطرة تحكم حقيقة شعورك تجاه هذا المشهد، الفطرة هى التى تجعلك تتجاوز الديانات والظروف أمام مشهد هيكل عظمى لطفل إفريقى فى مجاعة، الفطرة السليمة ستتأذى من المشهد، وسيحلم صاحبها لو أن فى يده شيئا يقدمه إلى هذا الطفل، بغض النظر عما أوصله إلى هذه الحالة.

الفطرة (بتاعت ربنا) تجعلك تضرب فرامل مؤذية وتشعر بالذعر يختلط بالإدرينالين فى جسدك إذا لمحت فى أثناء سيرك قطة متهورة تعبر الطريق أمام سيارتك فجأة.. الفطرة هى التى تدفعك إلى هذا التصرف لأنك تؤمن أن القطة (روح برضه زينا).

أنت تتحدى فطرتك عندما تتجاهل أصل المشهد وتهتم بخلفيته، تتفنن فى تجميد خام المشاعر التى رزقك بها الله لإثبات وجهة نظر سياسية، لا أقول لك ثُر على المشهد وشارك فى الاعتراض عليه، لكن من الدقة أن تتأذى أولا وأن تنحاز إلى فطرتك التى خلقك الله عليها ثم ابحث للمجلس العسكرى عن مخرج من هذه الورطة، ليس طبيعيا أو فطريا أن تدهس القطة ولا تتأثر، بل وتقول «أكيد هيه اللى غلطانة، إيه اللى خلاها تعدى الشارع فجأة كده»، صدق أو لا تصدق أنت الخاسر الأول فى هذه البجاحة، وأدعو الله أن يجعلك تختبرها بنفسك حتى تعود إلى فطرتك وتعرف أن الله حق.

نحتاج إلى الدقة حتى فى مطالبة الناس بأن (عودوا إلى بيوتكم وكفاية كده)، من حقك تماما أن توجه هذه الدعوة، وقد أشاركك فيها،

لكن كن دقيقا واطلب من الناس العودة إلى بيوتها مقابل أمور محددة تجعلهم مخطئين إن رفضوها، قل لهم عودوا إلى بيوتكم ودعونا نشعر باستقرار نفسى على أن تروا بأنفسكم القتلة سواء كانوا جنودا أو طرفا ثالثا دخيلا يقف أمام جهات التحقيق، عودوا إلى بيوتكم وامهلوا القوى السياسية الشرعية وقتا لإدارة مطلب تسليم السلطة، عودوا إلى بيوتكم ولو لمجرد أننا أصبحنا نخاف عليكم ولا نملك شيئا نقدمه لكم، ليس من الدقة أن تقول لهم عودوا لمجرد أنك تريد منهم أن يردموا بركة الدم علشان حضرتك عايز تعدى.

نحتاج إلى الدقة حتى عند الاعتصام، المطالب المشروعة لا تكفى، والنوايا الحسنة صالحة للعمل فى سويسرا، أما فى دولة عالم ثالث يحكمها عسكر يثرثرون دائما عن عنصر ثالث فلا معنى لها، الدقة تجعلنا نؤمن أن الاعتصام مسؤولية المعتصمين وأنا شركاء فى وقوع الضحايا لأننا نعجز كثيرا عن حمايتهم ولو من أنفسهم الغاضبة، الدقة تجعلنا مضطرين إلى اتقاء شر وقوع ضحية واحدة فى بلد لا يبكى ضحاياه لكنه يجلدهم بعد الموت.

حتى حزنك على المجمع العلمى ينقصه كثير من الدقة..

المسؤولون عن المجمع شركاء فى الأمر، مكان مثل هذا يضم جزءا من تراث مصر فى مبنى قديم متهالك، أليس هذا المبنى معرضا لحريق ضخم من مجرد عقب سيجارة أو خفير يعد بعض الشاى فى الليل؟ كيف تحتفظ بهذا التراث فى مكان كهذا من دون تأمين حقيقى ضد الحريق؟ نوادر الكتب التى يتفنن العالم فى حمايتها وتأمينها كان واردا أن نفقدها بسهولة وبأسباب أقل شأنا من حريق المولوتوف مثلما فقدنا العشرات فى حريق مسرح بنى سويف أو مثلما فقدنا دار الأوبرا الأصلية أو بيت الجوهرى أو أحد مبانى هيئة قناة السويس الأثرية، لماذا نتفنن فى اللطم بعد الكارثة؟ ولماذا لا نحاسب المسؤولين بالأساس عن حماية هذا التراث النادر؟

بلاش..

مع كامل الاحترام لأمير الشارقة وكامل التقدير لدعمه.. كيف يحتفظ الأمير بنسخ أصلية من تراث مصر النادر؟ كيف وصلت إليه مخطوطات هى ثروة قومية تخصنا ولا معنى أو مبرر لوجودها فى الخارج؟ حتى تكون دقيقا فى حزنك على المجمع يجب أن تعرف من المسؤول عن خروج هذا التراث من مصر ووصوله إلى سمو الأمير؟ هل كانت هدية من المسؤولين فى مصر؟ ومن الذى يملك أن يهادى جهة ما بتراثنا؟ أرجوك تأمل المشهد من كل جوانبه حتى يكون حزنك دقيقا ويصبح طريقة للبناء وليس أداة للهدم تستخدمها على مزاجك وأنت لا يعنيك المجمع قدر ما تعنيك أمور أخرى، أنا وحضرتك نعرفها جيدا.

....

(Obrigado Sr. Jose)

بعد أحداث ماسبيرو بيوم أقيم ماتش نهائى الكأس بين الزمالك وإنبى، تعرف حضرتك أننى زملكاوى لا يشق له غبار؟ لكن فى هذا اليوم وبعد أن رفضت الذهاب إلى الاستاد ظللت أدعو الله فى كل صلاة أن يخسر الزمالك هذا الماتش، كنت أرى فى فوزه كارثة عندما يخرج عشرات الآلاف للاحتفال بالشماريخ والطبل البلدى وتسهر كل القنوات الرياضية للصبح تعرض كليبات من إخراج محمد نصر على أنغام أغنية «باناديك تعالى» تعرض لقطات للاعبى الزمالك يطوفون الملعب بالكأس.. كنت أرى المشهد شائنا وهناك أكثر من ٢٥ مصريا ما بين مسلم وقبطى وعسكرى جيش يقضون ليلتهم الأولى فى المقابر، سيكون الاحتفال عارا علينا جميعا... استجاب الله دعانى، وبعد أن هدأت الأمور قليلا عدت إلى زملكاويتى ودعوت من قلبى أن «يا رب ورينى يوم فى بتوع إنبى» وبعد أسابيع من بداية الدورى اكتشفت أن الله استجاب لدعانى من جديد.

تذكرت هذا الكلام وأنا أتابع المستر جوزيه وهو يخلع جاكيت رواد الفضاء فى عز البرد ويحيى الناس كلها بفانلة عليها صورة مصطفى، الشهيد ابن الألتراس (الشهيد بالعند فى كل المعلقين الرياضيين الذين علقوا على الماتش قائلين عنه «المرحوم».. على أساس إنه اتوفى فى حادثة موتوسيكل)، انتفضت من مكانى ووقفت أصفق لجوزيه كأنى فى الاستاد وكأنه يرانى، وأصبح لجوزيه البرتغالى تصنيف فى قلبى بعيدا عن تصنيف الملاعب والمدربين وعالم الكرة كله على بعضه، صنفته ضمن قائمة «البنى آدمين» الذين تلتقيهم بالصدفة فى مسيرة حياتك وتضمهم إلى تصنيفك الخاص بناء على مواقف من هذا النوع تبدو صغيرة وسهلة وبسيطة لكنها تنفذ إلى النقطة الأبعد داخل القلب.

كم مرت على الواحد مباريات للأهلى كان يتمنى فيها هزيمته (معلش سيبنى أكمل كلامى) لا نكاية فى اللاعبين ولا الجمهور لكن نكاية فى

جوزيه، كنت أسعد بالأيام التى تشهد فرحتى فيه، إلى أن فرحنى بس.

عندما تتأمل موقف جوزيه ستكتشف أن الأمر أبسط مما يبدو.

هذا شخص سجّل موقفه ببساطة ثم عاد إلى عمله ولعب مباراته وكسبها.

لم ينزل إلى التحرير، لم يهتف أو يثُر، لم يبكِ على الاستقرار وهو يلعب مباراة كل شهرين، لم يشارك فى اعتصام.

لكنه أيضا لم يقل «وهو إيه اللى مودّيه التحرير؟".

لقد قدم الحد الأدنى المطلوب منه كبنى آدم.. أن يحزن على شاب مات.

عبّر عن حزنه ولم ينكره ولم يزيِف الحقائق.

لم يرتدِ فانلة كاكى مموهة ولكنه ارتدى فانلة بسيطة تدعو للشهيد بالرحمة.

فى الأمر فرصة لفكرة أود لو أكررها كل يوم.. ربما المثال «مش قد المقام»، لكن الأصل فى الموضوع أن تسقط انتماءاتك الصغيرة أمام الانتماء الأكبر.

انتماؤك إلى أكل العيش والاستقرار هو حق مشروع تماما، ولا تعتقدْ أننى ضده.. كاتب السطور لديه مشكلة فى موضوع الاستقرار لأنه يسكن فى شقة تطل على الأحداث من يوم ٢٥ يناير ويتفنن فى البحث عن طرق للخروج من وسط البلد وهو يحمل ابنته الصغيرة للطبيب فى الدقى، لكن هذا انتماء أصغر من انتمائك إلى جنسك البشرى وإلى وطن يكبر فيه عدد الشهداء بمرور الوقت دون أن يغير ذلك شيئا، والأدهى أن يستقر فى وجدانك أن الشهداء هم المخطئون.

وجهة نظرك السياسية هى انتماؤك الأصغر، لكن انتماءك الأكبر يجب أن يكون للأرواح التى حرم الله قتلها وللكرامة البشرية التى أن سقطت قيمها، ستكون أنت واحدا من بين الضحايا، انتماؤك الأصغر

يجعلك تتمسك ببقاء العسكر، وهذا حقك، لكن انتماءك الأكبر يجب أن يجعلك ترفض بقاء أى جهة سياسية فى الحكم على أنقاض آدميتك.

كان لدىَ اختيارات سياسية معينة فى طريقى لصندوق الانتخابات، لكننى لم أخبرك بها يا صديقى، ولم أدعُك يوما لأن تنتخب اتجاها معينا وترفض اتجاها آخر، لأننى لا أعرف كل المرشحين فى مصر، وأخشى إن أنا دعوتك لمقاطعة تيار سياسى ما فى الانتخابات أن أظلم نفسى وأظلمك وأظلم البلد كلها بأن أحرمها من شخص فى دائرتك أنت تعرف أنه مكسب حقيقى بينما أنا على البعد أحرم الحياة السياسية منه لأنه ينتمى إلى تيار لا أفضله، انتمائى الأصغر قلته فى صندوق الانتخابات، لكن الانتماء الأكبر يجعلنى أتفادى الوقوع فى فخ التعميم.

انتمائى الأصغر يجعلنى زملكاويا، والأكبر يجعلنى أتمنى خسارة الزمالك إذا كان مكسبه سيتحول إلى عار. انتمائى الأصغر يجعلنى أتمنى أن يشيل الأهلى خمسة فى كل ماتش، والأكبر يجعلنى أصفق لجهازه الفنى على موقفه المحترم.

عنْوان المقال «شكرا مستر جوزيه» بالبرتغالى، وجدير بالذكر أن هذا هو أكبر عدد من السطور أكتبه فى حياتى عن المستر جوزيه وتقديرى له، وأتمنى أن لا يفعل ما يجعلنى أكررها مرة أخرى، فإذا كان حب جوزيه هينسينى حب الزمالك، فلتذهب إنجى إلى الجحيم.

....

(مواطن أورجانيك)

للطبيعة كلمتها التى أثق بها بشدة، فكما وقفت فى طريق بقاء حيوانات الماموث القاتلة على قيد الحياة، لأن وجودها بيننا الآن سيكون بلا معنى، حرصت على أن يبقى كلب البحر ليجعلك تحمد الله على ما أنت فيه كل يوم، كلب البحر يعيش مأساة عبد الباسط حمودة بالضبط (أنا مش عارفنى) فلا هو قادر على أن يعيش كمخلوق بحرى مكتمل يمتلك القدرة على اختراق المحيطات بحثا عن الدفء، وهو أيضا مجرد كلب يستطيع أن يستمتع بالتنزه فى صحبة حسناء تجره بسلسلة فى شارع أبو الفدا بالزمالك. الطبيعة أيضا كما منحت سائقى الميكروباص فرصة الحياة كانت عادلة وحفظت توازن الكوكب البينى بأن خلقت لهم أمناء الشرطة.

ولكن لماذا أحدثك عن الطبيعة؟

بحسابات طبيعتنا نحن كمصريين لنا تركيبتنا الدينية المخصوصة ونمتلك خطا أحمر لكل شىء اسمه (ده حتى ما يرضيش ربنا) لا معنى للخوف من صعود التيار الإسلامى، وإن كنت تخاف من السلفيين مثلا فأرجوك أعِدِ النَّظر لأنهم هم من يجب أن يخاف، لأن المهمة ثقيلة والمسؤولية فادحة، ونحن شعب فى منتهى الغلاسة، لا أحد يستطيع أن يجبرنا على النقاب ولا أحد يستطيع أن يجبرنا على البكينى، وضد الطبيعة أن تبدأ اللطم قبل المباراة، أنت الآن ترهب التيار الإسلامى وتخزق عينيه مبكرا، صحيح أن الشواهد تبدو غير مطمئنة فى بعض الأحيان مثل أن يضيف الشيخ حازم شومان إلى كتاب العبادات جعْل التصويت للسلفيين فى الانتخابات فرضا، لكن شومان ظاهرة صوتية، وراجع معى تاريخ الظواهر الشفاهية لتكتشف أنه لا يمكنك أن تعول عليها.

مثلا قال ناصر فى الستينيات إنه سيلقى بإسرائيل فى البحر فاستمتعت إسرائيل بالبحر فى جنوب وشمال سيناء لسنوات طويلة.

وقال مبارك أنا أو الفوضى والنتيجة أن كليهما أصبح موجودا. * وقال الإخوان إنهم سيسعون إلى ثلث البرلمان فقط ولطبيعة الظروف والمرحلة والشعب سيحصدون أكثر من نصف المقاعد بكثير (حاول أن تصدق أنه أمر مرعب بالنسبة إليهم فقد كانوا يتوقعون أنهم سيقتسمون المسؤولية مع طرف آخر فأصبحوا فى صدارة المشهد).

أما الشخص الوحيد الذى كان موضوعيا فى شفاهيته فهو الكابتن حسام حسن عندما قال الزمالك قادم، لكنه لم يحدد الموعد وترك النهاية مفتوحة.

الفكرة لخّصها الصينيون فى حكمة بسيطة «لا تعبر النهر حتى تأتيه»، والهلع الذى تبثه ضد التيار الإسلامى هناك من يبث ما يشبهه ضدك إن كنت من شباب الثورة أو من الليبراليين أو غيرهم من التيارات الشائعة (كل جهة فينا لها تشددها وتطرفها الذى لا يعبر عنها إجمالا)، كُرة هلَع من الثلج تكبر وتعمينا عن الحقيقة.

لا تصدق كل ما تسمعه، وإذا صدقته أرجوك لا تعتبره إجابة نهائية.

المشوار طويل ودرسنا زمان فى كتاب «عبقرية عمر» لعباس العقاد، الذى كان مقررا علينا فى تالتة إعدادى يقول: (المسؤولية تغيّر أطوار النفس) فلتوجل الحكم حتى تنطلق المباراة باستلامهم للمسؤولية فإن أجادوا فالدعم من جانبك واجب وإن ضلوا الطريق (مش هيكونوا أغلى من اللى راحوا).

أقولك على حاجة؟ (حرَّص ولا تخوّن).

لا تكن مثل الشخص الذى انفجر إطار سيارته فى منطقة مقطوعة بعد منتصف الليل ولم يكن لديه استبن، تلفتَ حوله فوجد منزلا بعيدا فتحرك باتجاهه وكان فى أثناء سيره يفكر أنه ربما ينزعج أهل البيت من الطَّرْق على بابهم فى وقت متأخر وربما لو عرفوا سبب الطرق لانزعجوا أكثر، وقد يكون ساكن البيت رجلا عصبيا فيوجه كلمة مهينة، ساعتها لا بد أن يرد الإهانة وإذا رد الإهانة فقد ينهال صاحب البيت بالصفع على قفا صاحب السيارة فيضربه بالمِثل فيسحبه الرجل إلى الداخل وينفخه، ظلت الأفكار تكبر فى دماغ الرجل وهو يرن الجرس، فما أن فتح له الرجل صاحب البيت قائلا «تحت أمرك» حتى قال له صاحب السيارة بانفعال شديد «مش عايز حاجة من وش أمك".

لماذا أحدثك عن الطبيعة برضه؟

لأقول لك: دع التاريخ يأخذ مجراه وعد إلى طبيعتك أنت.. تخلص من السموم والهرمونات والمبيدات التى تبتلعها بمزاجك فى كل لحظة، واجتهد قدر الإمكان لكى تكون «مواطن أورجانيك".

....

استراتيجية الانسحاب من المواجهة لن تحرج العسكر أبدا، ومَن ينسحب معترضا عليه أن يراجع نفسه.. ففى هذه الظروف القتال فى الملعب خير من إشعال الشماريخ فى المدرجات.

بمرور الوقت والأحداث أكتشف أن تأكيد العسكر الدائم أنهم لن يتمسكوا بالسلطة نسخة من أداء الشخص الذى يؤكد للجميع أنه قادر على الإقلاع عن المخدرات فى أى وقت.

الثورة الثانية جزء كبير منها لا بد أن يكون موجها ضد معظم الذين فشلوا فى إدارة المعركة السياسية ومواجهة المجلس العسكرى إما لعصبية وإما لحسبة مصالح وإما لجهل، جزء كبير منها لا بد أن يكون موجها ضد الذين ينسحبون من المواجهة حتى يموت غيرهم فى الشارع فيعودون أقوى.

البلطجية استولوا على بيت العيلة فى أكتوبر، قبلهم كان اللصوص احتلوا «بيت العيلة» بحجة «أكتوبر".

العسكر بدؤوا بمجلس، وبفضل الناس قد يتحول إلى مجعص.

أخشى بمرور الوقت أن تتحول فكرة "حماية الثورة" إلى "ضربة جوية " جديدة تأسرنا لسنوات طويلة.

المسيرة النسائية العظيمة على هامش أحداث مجلس الوزراء أثبتت أن هناك قطاع مهم من العمل الوطنى "يُشار إليه ب البنات".

المسيرة النسائية ذكرتنى بسيدة عجوز فى العريش قالت لى أن البنت السيناوية" كانت بتخيط جروح الجندى المصرى فى ٧٣بخيوط من شعرها الطويل".

بعض السلفيين غطوا التماثيل بس التماثيل عرَّت بعض السلفيين.

فى أثناء مشاهدتى فيلم «جرى الوحوش» اكتشفت أن المجلس أخد الترلوب وبرده ماعرفش يخلِّف، وإحنا بقينا ماشيين نكلم نفسنا، والقرد جوه القفص لسه بيتنطط.

هاجم أنصار الشيخ حازم ظهوره مع مذيعة متبرجة، لكن الشيخ حازم دافع عن حق ريم ماجد فى التبرج ما دام البرنامج سياسيا وليس برنامجا دينيا.. العلمانية بتنفع ساعات.

رحل الفنان سيد عزمى بجزأ من أحلى أيام الطفولة.. سيد عزمى صاحب الأداء الصوتى لشخصية (بُقلظ) الشهيرة فى الثمانينيات.. بُقلظ كان واحدا من أشرف العرائس المتحركة فى العهد السابق.

لسنوات والواحد لا يصدق مسألة المختل العقلى المسؤول عن بعض الجرائم، اليوم اندهشت من تعبير لجنة تقصى الحقائق فى حادثة ماسبيرو عندما حمّلت المسؤولية لـ(مدنيين مجهولين) على الرغم من أنه ولأول مرة كان الواحد سيصدقهم إذا قالوا إن ما حدث مسؤولية (مختلين عقليين).

أحلم كثيرا أن أتحول إلى الكائن الفضائى «E.T» لمدة عشر دقائق أقوم خلالها بالدخول فجأة إلى اجتماع المجلس العسكرى وأستمتع برد فعلهم فى هذة اللحظة.. الخوف بس إن حركة زى دى قد تؤجل انتخابات الرئاسة كمان سنتين.

بمرور الوقت يكتشف الواحد أن مبارك أرحم من كثيرين ينتمون إلى النظام السابق.. الراجل رضخ لإرادة الشعب بعد ١٨ يوما ورحل عن منصب رئيس الجمهورية، بينما هناك كثيرون بعد تسعة أشهر من الضغط، ما زالوا يقاتلون للاحتفاظ بمنصب رئيس جامعة أو رئيس

مكتبة عامة أو حتى بعضوية البرلمان.. يوافقونك على الإطاحة بمبارك لكنهم يؤمنون أن الثورة تيجى لحد عندهم ولازم تقف.

من المؤكد أنها ليست مصادفة أن تغزو المنتجات الصينية الأسواق المصرية فى التوقيت نفسه تقريبا الذى بدأت فيه عمليات الخصخصة.

المتظاهرين اللى مبارك بيتحاكم على قتلهم ارتاحوا و سابونا نتعذب بالعقول اللى قتلها على مدى سنين.

لواء شرطة خرج معاش فتح محل كاوتش و كتب عليه نفخ و ضبط نفس.

الدرس الذى يجب أن نتعلمه من مخالفة الأوفسايد فى ملاعب كرة القدم هو أنه لا توجد طرق مختصرة للأماكن التى يجب أن يذهب إليها الإنسان.

العقل يجعلك تفهم.. وحده القلب يجعلك تصدق.

دولة إسلامية أجمل ما فيها الليبرالية، أو دولة ليبرالية أجمل ما فيها أنها تستلهم روح الإسلام ورسالته... هل لديك اختيارت أفضل؟

احترس من اللحظة التى تعاقبك فيها السماء بالاستجابة لدعائك.

هل تحمى الشهرة صاحبها المناضل من الموت أو التعذيب أو ابتلاع اللفافات أو حجر يقتله من فوق عمارة فى العباسية أو التعذيب على يد الشرطة العسكرية أو الخطف على يد فلول أمن الدولة؟ أم أنها مجرد مصادفة؟

هناك فريقان يرى كل منهما طريقا للاستقرار عكس الطريق الذى يؤمن به الفريق الآخر.. الأول يرى أن طريق الاستقرار هو تجميد الثورة، والآخر يرى أن طريق الاستقرار يبدأ بإحياء الثورة، أعلن اليوم عن ميلاد فريق ثالث يرى أن طريق الاستقرار يبدأ بغلق ملف الثورة تماما، والبدأ فورا فى واحدة جديدة.

أجمل ما فى الثورة أنها خلصتنا من نظام كان يتعامل معنا كما نتعامل نحن مع الدجاج، فنحن نأكل الدجاج مرتين.. مرة قبل أن يولد ومرة بعد أن يموت.

أجمل ما فى الثورة أنها خلصتنا من نظام كانت مرجعيته فى العمل دائما هى قانون نيوتن.. لكل فعل رد فعل حكومى، مساوٍ له فى القوة ومضاد له فى الاتجاه.

سنتخلص من مشكلة القمامة عندما نؤمن بأن صندوق القمامة ليس ضريحًا يلقى المجاذيب نذورهم حوله.

من يخوّف الناس بـ«قال الله وقال الرسول» لو كان يعى كلام الله والرسول فعلا لخاف هو أكثر.

فى مصر.. هل هى مصادفة أن المختلين عقليا عند تسريحهم من المستشفيات يهتمون بتنظيم المرور؟

أكثر ما يحزنك فى وفاة الغاليين.. لوعة شعورك بأنه كان هناك موضوع مهم تريد أن تفتحه معه ولم تواتك الفرصة.

قد ننفق كل ما نمتلك لكى نحصل على حكم البراءة.. وحدهم الأطفال يحصلون على هذا الحكم مجانا مع كل التفاتة تبدر منهم.

نعرف أن النقود مزورة عندما نكتشف أنها لا تؤمن احتياجاتنا.. بالمنطق نفسه كنا جميعا على يقين بأن كل الانتخابات السابقة مزورة.

الفرق بين أيام زمان والأيام التى نعيشها هو الفرق بين فتوات نجيب محفوظ والبلطجية.

الناس هتقدر ت حل أى مشاكل تقابل مصر الفترة الجاية بس الناس نفسهم مالهمش أى حل.

....

(شوفت ربنا ؟)

أعلم تماما أن غض البصر له حلاوة لا يجدها فى قلبه إلا مؤمن، أحسبنى كذلك، وأدعو الله أن يغفر لى التفاتة قد تطول منى باتجاه فتنة تسير على قدمين بذكرى لحلاوة خلقه وتسبيحى بها بطول هذه الالتفاتة أو أطول قليلا.

أنا المتيم بإبداع الله لا أرى سواه فى كل ما يلمس القلب على هذه الأرض، بداية من جملة موسيقية رصينة وصادقة، مرورا بتمريرة كرة متقنة من لاعب موهوب، أو فى طفلتى عندما تهذى بحروف مبهمة فى أولى محاولاتها للنطق وتشكل هذه الحروف فى مرة كلمة «بابا» بالصدفة البحتة، فى سجدة تطول دون سابق ترتيب، فى معجزة رائحة الجوافة الساحرة، فى بهجة بل الريق بعد عطش، فى إنسان يقول جملة مفيدة موحية قد تغير حياتك، فى أموال تنتظرها من جهة فلا تأتى ثم تداهمك بغزارة من حيث لا تتوقع، فى الراحلين الذين يدميك فراقهم فيزورونك فى الأحلام يطبطبون عليك قادمين من بلاد مجهولة تتمنى لو تسألهم عنها، فى الأصابع التى تتحرك الآن على الكيبورد، فى الجنود المجهولين الذين يملؤون حياتنا.. الحارس اللى على العين الذى يظهر وقت الخطر والملائكة التى تحمى الأطفال من اندفاعهم الفطرى والبركة التى تضاعف رزقا قليلا والعقاب الفورى الذى يدفع شخصا ما أن يقول لك (شوفت ربنا؟).. كلما حدث معى هذا الموقف لا أجد ردا سوى أننى (مش شايف غيره).

فى الأسئلة التى لا إجابة صريحة لها.. مجرد يقين يستقر فى قلبك، فى شعورك أن الحياة حلم ستعرف تفسيره بعد الموت، فى دهشة المرض وفى عز قسوة الألم وفى ضحكة عميقة من المستحيل أن تقدر على شرح كيف انطلقت من داخلك، ولماذا تركت بداخلك هذا الشعور المريح، فى الترتيبات القدرية المذهلة التى تثبت لك أنك أسأت التخطيط وأنه صحيح

أن الحتف قد يكون فى التدبير أحيانا، فى دعاء يستجاب فأفرح، وفى دعاء لا يستجاب فأوقن أن الفرحة مدخرة لوقت لاحق فى أمر آخر، فى لغز الوقت.. فى اللحظة التى نفشل جميعا فى الإمساك بها ولا نعرف من أين أتت وإلى أين انصرفت؟ فى راحتك للون ما وامتعاضك من آخر، فى يد غريبة تمتد لتنقذك من أمام سيارة مسرعة، صاحبها لا يعرفك، لكنه يعرف أن حياتك مهمة حتى لو كنت أنت غير متأكد من ذلك، فى أقسى لحظات الشك وفى أصفى لحظات اليقين، فى معجزة الشفاء، وفى لوعة الشعور بالجوع، فى صوت دقات القلب عندما تضع رأسك لتنام على إيقاعه، فى غموض فكرة النوم، فى الإيمان بأنك مدين بالشكر فى كل مرة تستيقظ فيها من جديد، فى مواصفات يمتلكها كل واحد للفرحة تختلف عن الآخرين، بحيث لا تتضارب الأفراح، فيستأثر بها واحد، بينما الباقيين كلهم باصين له فيها، فى ذهولك بالتقدير واللطف، فى النعم وفى رضاك بحرمانك منها، فى قدرتك على أن تسمى الأشياء، معجزة أن أول ما تعلمه سيدنا آدم هو الأسماء، هذه النعمة الضخمة التى لولاها لظل العالم حتى يومنا هذا يقول على كل شىء فى الوجود (البتاع)، تلك المعجزة التى يبدو الخرس أرحم منها كثيرا على الأقل ستكون محروما من القدرة على الكلام، وهو أمر لا يقارن بقسوة أن تمتلك القدرة على الكلام ولا كلمات.

الإيمان بالله (مش شطارة) بل نعمة تتحول بمرور الوقت إلى اختيار تتمسك به، ويخدعك من يقول (ربنا عرفوه بالعقل)، فكم حفل تاريخ الملاحدة بالعباقرة، الحقيقى أن العقل قد يحول بينك وبين المعرفة.. فطوبى للمجاذيب.

....

صدر للكاتب

١. مشوار لحد الحيطة - شعر (١٩٩٨).

٢. لابد من خيانة - شعر (١٩٩٩).

٣. عرفوه بالحزن - شعر (٢٠٠١).

٤. بالقرب من نهر بيدرا جلست وبكيت - رواية مترجمة (٢٠٠٣).

٥. وضع محرج - شعر (٢٠٠٤).

٦. شكلها باظت (٢٠٠٥).

٧. كابتن مصر (٢٠٠٦).

٨. ابن عبد الحميد الترزي (٢٠٠٧).

٩. قهوة وشيكولاتة - شعر (٢٠٠٨).

١٠. جر ناعم (٢٠٠٨).

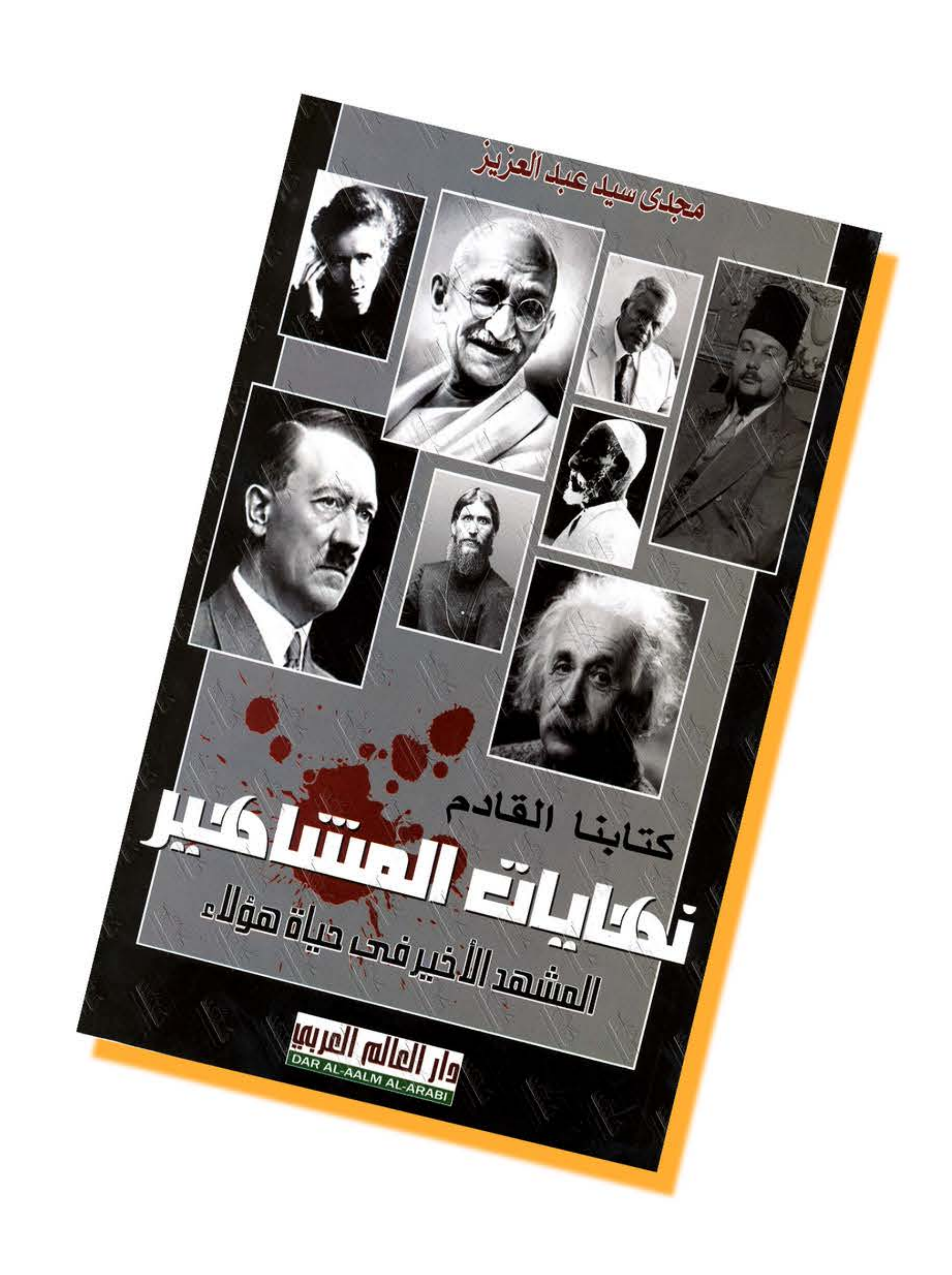
١١. الخيانة مشوار محرج لحد الحزن - مختارات شعرية (٢٠٠٩).

١٢. رصف مصر (٢٠٠٩).

١٣. زملكاوي (٢٠١٠).

١٤. برما يقابل ريا وسكينة (٢٠١٠).

الفهـــرس


مجدى سيد عبد العزيز
كتابنا القادم
نهايات المشاهير
المشهد الأخير فى حياة هؤلاء
دار العالم العربي
DAR AL-AALM AL-ARABI